يتيمة الدهر

في محاسن أهل العصر

لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري

المتوفى سنة ٤٢٩ هجرية

بتحقيق

محمد محيي الدين عبد الحميد

عفا الله عنه

الجزء الثاني

تطلب من ناشره

مكتبة الحسين التجارية

لصاحبها، محمود توفيق

مطبعة حجازي بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسل الله أجمعين ،
وعـــلى آلهم وأصحابهم .

الوزير أبو مروان عبد الملك بن جهور

أنشدت له [من البسيط] :

أسقمت قلبي فكن أنت الدواء له ... ولا تدعه بأيدى الشوق مختزما(١)
عيناى أورثناه سقمه نظرا ... رضيت دمعى من عينى منتقما

وقوله [من الكامل] :

ألحاظه منهوكة النظر ... ضعفت نواظرها من الخفر(٢)
وحديثه أشهى لسامعه ... من نغمة الشادى على الوتر(٣)
ورضابه أشهى على كبدى ... من رى عذب بارد خصر(٤)
وكأن قلبي حين يفقده ... ما بين ذى ناب وذى ظفر

وقوله [من البسيط] :

يا أحسن الناس فى عينى مبتسما ... وأعذب الخلق عندى منطقاً وفما
حلت بقلبي من عينيك نازلة ... من الهوى صيرتنى فى الورى علما
لم تبق جارحة منى أقلبها ... إلا بعثت عليها بالهوى سقما
فارحم مقام محب ما شكا وبكى ... تبرما بالذى يلقى ولا ندما(٥)

وقوله [من السريع] :

أملح ما تنظر عيناك ... شاك شكا الحب إلى شاكى
يقصر من ذكرك ليلى على ... أنى عيه ساهر باكى

---

(١) المختزم : اسم المفعول من مصدر اختزمته المنية ، مثلا ، والمقصود أنه هالك
(٢) الخفر ـ بفتح الخاء والفاء جميعا ـ الحياء ، أو أشد الحياء
(٣) الشادى : المغنى ، شدا يشدو شدوا ، والوتر : آلة من آلات الموسيقى
(٤) الخصر ـ بفتح الخاء وكسر الصاد ـ البارد
(٥) التبرم : الملل والضجر والسآمة ، و« ندم » فعل معطوف على « شكا »

ولى فؤاد يستجير من الـــشوق إلى برد نناياك
سيدقى لو كنت أبصرت ما يصنع بى حبك أبكاك

وقوله [من البسيط] :

أنار لى وجهه ليـــلا فقلت به بدراً تماماً على الآفاق يطلع
ومر يمشى دقيق الخصر يجذبه ردف ، فقلت:ادركوه قبل ينقطع(١)

وقوله [من الوافر] :

أجلك أن تحل بك الأماني فكيف بأن أراك وأن تراني
وأكره أن يمتلك التمنى حذارا أن يبوح به لساني
ولو أنى استطعت لفرط نجوى عليك لما رآك الحافظان
وما أشكو إليك بغير دمعى بيان الدمع أعرب من بياني

وقوله [من البسيط] :

اليوم منقبض والدمع منبسط وحب من شفنى بالروح مختلط
حملت فلى أن نسلو تذكره فقال إن الذى حملتنى شطط
تسومنى لصبر عن روحى وتمنعنى عن ذكره ،إن هذا من رأيك الغلط

وقوله من الوافر

يرى العشاق لاقوا ما ألاقى فقد باعت بى النفس التراقى ؟
حصصت من الهوى بأمر سيء وكنت أرى الهوى عذب المذاق
أنا العبد الذى لا عتق يرجو ولا يجد السبيل إلى الإباق

وقوله من الطويل] :

وما سرنى أن الهوى غير صاحبى وأن جراح العشمين فى ملكى(٢)

---

(١) وصف الشعر من أدركوه أيستقيم به الوزن

(٢) العشمين جمع عشمى . وهو منسوب إلى عشم . وعشم :=

ولا كنت أرضى أن أرى متحليا من الحب لو أعطى به خاتم الملك
نسيم الهوى أذكى وإن جار واعتدى على أنف العشاق من نفحة المسك

وقوله من الطويل] :

ومن يحمد الصبر الجميل على الهوى فإن خلاف الصبر عندى أحمد
إذا كان قلب المرء لا بألم النوى ويشكو لظى نيرانها فهو جلمد

وقوله [من الكامل] :

أحوى النواظر ألعس الـــشفتين عذب الريق ألمى(١)
مخضر شاربه عـــلا درا يريك الدر نظما
لو زارنى طيف له عند الهجوع ولو ألما
لأعاد روحا أو لفر ج من هموم النفس هما

أحمد بن عبد ربه الأندلسى ، رحمه الله تعالى !

أنشدت له [من الكامل] :

سكرت على عواذلى بلحيتى وعلى الذى لم يعد بى أعدبنى
أيها عليك فقد كبرت عن الصبا ونهى المشيب عن الذى تنهانى
أنى وكيف وقد رأين بغبرى عن عهدهن إذا العيون رأينى

= عدرى . وعشمى ، وعبمى ، فى النسب إلى عبد الدار وعبد شمس وعبد القيس . وعليه جاء قول الشاعر ، وهو عبد يغوث بن وقاص الحارثى :

وتضحك منى شيخة عبسمية كأن لم ترى قبلى أسيرا يمانيا

وأراد بالعبسميين بنى أمية

(١) ألعس . وصف من اللعس ، وهو سواد مستحسن فى الشفة والألمى الوصف من الألمى . وهو أيضا حمرة فى الشفة

وعلى مفارقة الشباب شمتن بى ... وعلى معاداة الصبا عادينى
أدنينى حتى إذا التهب الجوى ... أقصينى أضعاف ما أدنينى
وفتنى بلواحظ تشكو الضنى ... داق بهن ، وربما داوينى
يذكين فى قلبى وبين جوانحى ... حرقا بنار جحيمها أصليني

ومنها أيضا :

يا ابن الخلائف ، إن أيام الغنى ... أيامك الغر التى أغنينى
بنوالها وسجالها وثمالها ... أسقينى حتى لقد أروينى

وقوله [من الكامل] :

وصحائح مرضى العيون شحائح ... ببض الوجوه نواعم الأبشار
أضنينى بلواحظ تشكو الضنى ... وكسونى ماهن منه عوارى
بجوى حوته مهجتى عن مقلتى ... والجار قد يشقى بذنب الجار

وله فى العذار [من الكامل] :

ياذا الذى خط الجمال بخده ... خطين هاجا لوعه وبلابلا
ماصح عندى أن لحظك صارم ... حتى لبست بعارضيك حمائلا

وفى مثله [من الكامل] :

ومعذر نقش الجمال بمسكه ... خداً له ندم القلوب مضرجا
لما تيقن أن سيف جفونه ... من نرجس جعل النجاد بنفسجا

وقوله [من الوافر] :

سللنا أمامه بالأماني ... وولج بنا البعاد من التداني
إذا ماقلت. أين الوصل؟ قالت: ... طلبت العز فى دار الهوان

وقوله من الخفيف] :

بذمام الهوى أمت إليه ... رحمة العقار أفضى عليه

بأبى من زها على بوجه كاد يدمى لما تنثرت إليه
كلما علنى من الراح صرفا علنى بالرضاب من شفتيه
ناول الكأس واستمال بلحظ فسقتنى عيناه قبل يديه

وقوله [من الرمل المجزوء] :

أيها البدر الذى حسن علينا بالطلوع
ابغ لى عندك قلبا طار من بين ضلوعى
يا بديع الحسن كم لى فيك من وجد بديع

وقوله [من الطويل] :

وساحبة فضل الذيول كأنها قضيب من الريحان فوق كثيب
[إذا ما بدت من خدرها قال صاحبى : أطعنى وخذ من وصلها بنصيب

وقوله من الكامل] :

ينبيك أنك لم تجد وجدى ما خدت العبرات من خدى (١)
نام الخلى عن الشجى به وجفا الملول ولج فى الصد
كنت الشفاء فصرت لى سقما أبدا تنوق إلى هوى مردى (٢)

وقوله من الطويل :

سقونى حمامى يوم سافوا حمولهم فرحت وراحوا بين ساق وسائق
وأخرس لفظى وهو ليس بأخرس وأنطق دمعى وهو ليس بناطق
فيا بأى تلك الدموع التى همت فدلت على مكنون تلك العلائق

---

(١) ينبيك : أصله يبنيك فسهل الهمزة بقلبها ياء مع تحركها وتحرك ما قبلها ، وخدت : أثرت . وجعلت خدودا أى شقوقا

(٢) تنوق : تشغف وتميل أشد الميل ، والمردى : المهلك

وقوله [من الكامل] :

أزف الرحيل فودعتني مقلة ... أوحت إلى جفونها بسلام
وتطلعت بين الخدوج كأنها ... شمس تطلع في خلال غمام(١)
وشكت نار الصبابة والهوى ... بمدامع سبقت بغير كلام
كنباه رمل قد تربعت الحمى ... بين الظباء العفر والآرام(٢)
حتى إذا ضرب المصيف رواقه ... صافت بظل أراكة وبشام(٣)

وقوله من الطويل :

ألا إنما الدنيا غضارة أيكة ... إذا اخضر منها جانب جف جانب
هي الدار ما الآمال إلا فجائع ... عليها ، ولا اللذات إلا مصائب
فكم غضت بالأمس عين قريره ... وقرت عيون دمعها اليوم ساكب
فلا تكتحل عيناك منها بعبرة ... على ذاهب منها فإنك ذاهب

وقوله من الطويل] :

صحا القلب إلا نظرة بعد الأسى ... لها زفرة موصولة بحنين
بلى ربما حلت عرى عزماته ... سوالف آراء وأعين عين
لواقط حبات القلوب إذا رنت ... بسحر عيون وانكسار جفون
وريط من الموشي أينع نبته ... ثمار صدور لا ثمار غصون
رود كأن الربع لمسها ... ثياب خضاب لا ثياب مجون
قرن نحوه ديمة عن نور أوجه ... عمى بها الألباب أي جنون

---

(١) الخدوج : مراكب للنساء كالهودج . واحدتها خدوج ، بكسر الخاء
(٢) العفر : هي التي يعلو بياضها حمرة . أو في سوادها احمرار والآرام : جمع رئم . وهو ولد الظبية
(٣) المصيف : أي وقت الصيف من المصيف . والبشام : بفتح الباء شجرة السحاب شجر عظيم الرائحة

وجوه جرى فيها النعيم فكللت ... بورد خدود يجتنى بعيون
سألبس للأحزان ثوب تصبر ... وإن لم يكن عند اللقا بحصين
وكيف ولى قلب إذا هبت الصبا ... أهاب بشوق فى الفؤاد كمين

وقوله [من البسيط] :

ونائح فى غصون السدر أرقنى ... وما عنيت بشىء ظل يعنيه
مطوق بعقود ما نزايله ... حتى تزايله إحـــدى ترافيه
قد بات يبكى لشجو ما دريت به ... وبت أبكى لشجو ليس يدريه

وقوله [من الخفيف] :

وقضيب يميس فوق كثيب ... طيب المجتنى لذيذ العناق
قد بغى كما استهل يغنى ... ساق حر مغرد فوق ساق(١)
ينثر الدر فى المسامع نثراً ... بين در منظم مستاق
واقتضضنا من العواتق بكرا ... نكحت أمها بغير صداق
ثم بانت ولم تطلق ثلاثا ... لم تبن حرة بغير طلاق
ديننا فى السماع دين مديـــنى ، وفى شربنا الشراب عراقى(٢)

وقوله من الوافر :

سرى طيف الحبيب على البعاد ... ليصلح بين عبنى والرقاد
فبات إلى الصباح يدى وساد ... لوجنته كما بدء وسادى
بنفسى من أعاد إلى نفسى ... ورد إلى جوانحه فؤادى
خيال زارنى لمـــا رآنى ... عدينى عن زيارته عوادى

---

(١) ساق حر : هو ذكر الحمارى المعروف بالحمام القمرى ، سمى بذلك لأن حكاية صوته ساق حر

(٢) يريد بالمدنى المنسوب إلى عالم المدينة الامام مالك إذ يبيح السماع ، وبالعراقى المنسوب إلى عالم العراق أبى حنيفة إذ لم يحرم غير المسكر من النبيذ

يواصلني على الهجران منه ويديني على طول البعاد

وقوله من الطويل[1] :

وريان من ماء الشباب تهاتفت به نشوات من صبا ودلال
كما اهتز بان من أكاليل روضه تلاعبه ريحا صبا وشمال
تعلم منه الهجر طيف خياله هدوءاً فما يلقاه طيف خيال
وأعرض حتى عاد يعرض في المنى ويمنع ذكراه الخطور ببالي

وقوله | من الكامل :

بأبي غزال صد بعد وصاله وزها على بحسنه وجماله
سلب الكرى عيني وأنسها الكرى وحمى خيالي من لقاء خياله

وقوله من البسيط | :

مستوحشاً من جميع الناس كلهم كأنما الناس أفناء على بصري

وقوله من الطويل :

أما والذي سوى السماء مكانها وسن مرج البحرين يلتقيان
ومن فطر الأوهام من غير رؤية أنلت من إدراك كل عيان
ما خلقت كفاك إلا لأنها عصا لم يخلق لهن بنان
تعين أفواه ، وإعطاء نائل ، وتقتاب هندي ، وحبس عنان

عبد الملك بن سعيد المرادي

من قصيدة | من البسيط

[illegible] المستول على خبره
[illegible] عن أن الموت في صدره
[illegible] وهلاك الصب في نظره

[1] ذكرني من أخذه بعض شيوخي لأبي وأسهد . ويطلق على النوم

وقوله [من الكامل] :

قرب بسبي ذوى العقول أنيقا ورشا بتقطيع القلوب رفيقا
ما إن رأيت ولا سمعت بمثله درا يصير من الحياء عقيقا
وإذا نظرت إلى محاسن وجهه أبصرت وجهك فى سناه غريقا

وقوله [من الكامل] :

برح الخفاء فأعتبي أو عاتبي فهواك سد على رحب مذاهبي
لو كنت أعلم لى سوى فرط الهوى ذنباً إليك لكنت أول تائب
يا ظالما لا يستفيد بظلمه متعتبا فى الحب غير معاتب
هلا عطفت على عطفة راحم لما ذللت إليك ذلة راغب

الوزير أبو عثمان عبد الله بن يحيى بن إدريس

أنشدت له من الطويل :

أسحراً سقت عينى جفونك أم خمرا فقد رحت ملآن الجفون به سكرا
وشعراً أرانى صبح وجهك أم دجا ووجهاً جلا إظلام شعرك أم فجرا
وجسم تثنى بين ثوبيك ناعم أم الغصن اللدن اكتسى ورقاً خضرا

وقوله [من الخفيف] :

رب خمر تربتها من جفون وريا ض جنيتها من خدود
إذ يشج الثغام ريقا بريق ويلف المناف جيدا بجيد
تحت ظل من النعيم ظليل وبقاء من السرور مديد

وقوله من الخفيف :

بل بين الضلوع يرعى شوق وغليلا يذوب منه الحديد
وحنين إليه فى طول ليل ما إلى الصبح من دجاه وصول

غاب صبري الجميل إذ غاب فيه وجهه عن المليح الجميل

وقوله من الخفيف |

إن بين الضلوع شوقا دفينا ترك القلب والهوى مستكنا
يا غزالا يعصي القلوب هواه وهلالا يعشي سناه العيونا
أنت عندي الصلاة والحل حرمت الحيل فيك الضنينا

وقوله من البسيط |

لا أرعوي وإن لم أقض من وطري إلا لبانة أشواق ومدكر
أكف كفي وأنهى من تقلبه قلبي وأقصر من سمعي ومن بصري

* *

يوسف بن هرون البطليوسي

أنشد له | من الكامل

هو طالمي بكل أرض عنه من أن أحيل المحض في حبه
أعصيت فيه وحبه من أدنى غني وما أغنيت من عيبه
وكأن در حد كل حمرة الياقوت من نظر العيون إليه

وقوله | من بسيط

أعمرك الله عني وعن صور واس من لواحظك المراض
وحبي وعمرك ما عمري ومدى عمري وليس له تقاضي
وهب أن [illegible] مدك الدر معتط وراض
أخ [illegible] وأعطيك الأمان من العضاض

عبد الله بن إسمعيل بن بدر

قال [من البسيط] :

أشكو إلى الله من سمعي ومن بصري ما يجلبان إلى قلبي من الفكر
قد كنت أسمع عمن لست أذكره حوفاً عليه من التصريح بالذكر
سمعت حتى إذا أبصرت قلت له : يا حبذا الله ما هذا من البشر

* * *

سعيد بن محمد بن فرج

أنشدني له [من البسيط] :

سمعي فلا كان أعمى بالبكا بصري وقاد قلبي إلى الأحزان والفكر
فإن بكيت مقلة من فقد من عرفت فقد بكيت بمن لم أدر بالنظر
فواصفيه رويدا إن وصفكم لم يبق من جلدي شيئاً ولم يذر
قالوا بدا فعلمنا بالسرار له لما تلمح منه الليل والقمر

وقوله [من الكامل] :

سقم الأحبة للقلوب سقام وإذا القلوب سقمن فهو حمام
لله بدر قد تنقص نوره بالسقم . وهو بما سواه تمام

وقوله من المتقارب

بكيت ومثلي بكى للوداع وعاصي الهوى يسوء مطاع
ولم أحمد الصبر يوم النوى ولا كان من فعله في طباعي
ولو كنت لما أتيك من بينهم بكيب على عهد حب مضاع

وأنشدني بعضهم شعر من الوافر

كلامك تحت ريقك . ذا بهذا مزاج سلافة حلو عذب
فلو أني إذا أسمعت هذا سرت بذاك صاع على نحي

فان أبصرتني منه صريما فغالط في هواي وشاة صحبي
وقل هو نشوة من خمر حب فإن الدن قد يدعى بحب

* * *

يحيى بن عبد الملك بن هذيل
رحمه الله تعالى!

أنشدني له [من الخفيف] :

لا تلم هائما قد استحسن الوجـــد وكل أمره إلى استحسانه
فأنا الطائع المشوق لمن صا ريريني الهوان في عصيانه
مر بي خاطرا يكاد من العجـــب به أن يراع في ريعانه
في ملاء كأنه وهو فيها ورد خديه في جنى سوسانه
يشتكي بالفتور من كسل المشـــى ولا يشتكيه من أجفانه
ولقد شفني وأسهر طرفي لمع برق يزف في لمعانه
شمته والظلام يفتر عنـــه كافتراز الزنجي عن أسنانه

وقوله من الطويل :

ألا عوده من طيفه فيرى حالي ألا يا اذكاري لنكري لي أتى تالي
يكاد يضيق الجو من عظم زفرتي وتهفو نجوم الليل من فرط إعوالي
أبى غير تعذيبي ولو أمر الردى أطاع ولكن فعله هو أنكى لي

وقوله من الخفيف] :

والثريا دنت من البدر حتى خلتها دارعا يدير مجنـــا

وقوله [من الكامل] :

ومزنة والبرق ينسج فوقـــا بردين من نور وظل باكي
مالت على طي الجناح وإنمـــا حملت أريكتنا قضيب أراك

وقوله فى الخضاب [من الكامل]

لما رأت شعرى نصر لونه ... ورأته محتجبا وراء حجاب
قالت: خضبت، فقلت: شيبى إنما ... لبس الحداد على ذهاب شباب

قاسم بن عبد الرحمن العجلى

أنشدنى له [من السريع]

استحسن الأغصان من قده ... وحار ماء الحسن فى خده
إن اشتاق إلى ريقه ... طوق لم يرشف من برده

محمد بن هشام بن سعد الخير

أنشدنى له من الخفيف

يا سقيم الجفون من غير سقم ... حاش لله أن تنوء بإثمى
أنت أذكيت فى الحشا نار شوق ... وجعلت السقام يلهو بجسمى
ما أبالى بمن لحانى إذا قا ... م خطيباً بسحر عينيك خصمى

عبد الله بن حارث

قال من الطويل

عرائم وجد ما يحل لها عقد ... وحر به دمع لبس يبق لها جد
مقلة دموع لرقاد كأنما ... جرى بين عينيه وبين الكرى جمد
وناديه الإعراض لا عن ملاله ... ولكن إعراضاً يولده الود
مبسمه زهر جد منعم ... كأن شعاع الشمس من حدها يبدو

وقد وثقت منى بعزم صـــبابه لها دون عقد الصبر من مهجتى عقد
وما الصد إلا كالوصال إذا غدا لعـــبر ملال أو قلى ذلك الصد

* *

عباس بن قرماس

أنشدنى له [من الطويل] :

وأحور ما يعنى العيون من المشق له كذب فى الجد أحلى من الصدق
وللحسن فى خديه شمس مقيمه وبدر كمال لا يحور إلى محق(١)
وما العيش إلا ميتة الهجر والنوى بأحور ما يبقى هواه ولا يبقى

* *

أحمد بن محمد بن فرج

قال من الوافر] :

نفسى من يصد بغير ذنب سوى إدلاله تقه بحى
عجبت لقلبـــه قاس كجسمى ويحكى جسمه فى اللين قلبى
فلا بالنشاكل كان قاس قاس ، واغدى رطب لرطب
وإن لم ينعطف باللين فظ فقولى بالقساوة قلب صب

وقوله من الوافر :

أيسلو أنا فى حب بادى تشكر الطيف أم تشكر الرقاد(٢)
يرى وأرادنى أملى ولكن عففت فلم أنل منه مرادى
وما فى اليوم من حرج ولكن جريت من العفاف على اعتقادى

---

(١) لا يحور : لا يرجع . والمحق : أول ما يبدو من النقصان

(٢) بادى : أى ـ أن تقول ـ شىء ـ لم يستقم له الوزن فقلب الهمزة ياء

وقوله [من الوافر] :

وما زال الهوى سكناً نقلبي ... أفر إليه من نوب الخطوب
وألتذ الغرام المحض منه ... وأستحلى به حتى كروبي
كذاك الحب ضيف ليس يأتي ... إلى غير الكرام من القلوب

وقوله [من الطويل] :

بمهلكة يستهلك الجهد عفوها ... فتترك شمل العزم وهو مبدد
يرى عاصف الأرواح فيها كأنه ... من الأين يمشي ظالع ومقيد(١)

أبو الصخر عبد الله بن محمد

قال [من الخفيف] :

حذا العيش بين يوم وصال ... مستجد وبين يوم صدود
وحديث موشح بعتاب ... فيهما نزهة الفؤاد العميد
من غزال في مقلتيه سهام ... من أمضى من مرهفات الحديد

وقوله [من الطويل] :

وكم ليلة قد نادمتي نحومها ... أديم صبوحا عندها وغبوقا
يعاطيني كأساً ألذ من المنى ... وأعذب من ريق الأحبة ريقا

وأنشدني لبعض شعرائهم من الطويل] :

أيا شمس دنياي التي كلما غدت ... فما عزه المولى ولي ذلة العبد
أعالج داء الدهر منك بدائي ... وقد قيل قدما : عالجوا الضد بالضد

---

(١) الأين ـ بفتح فسكون ـ التعب والاعياء من أثر جهد ونحوه . وظالع ـ لمن به ظلع . وهو شبه العرج

زكريا بن يحيى المعروف بابن الطنجية

أنشدني له من الكامل :

صبراً على هجر الحبيب وصده ... لا يؤيسنك هجره من وده
لا تقنطن من الصدود فإنما ... لين الزمان معرض بأشده
وأنا الفداء لشادن علقته ... حبيه صبري تحفة عبـــده
ماء الشباب يجول في وجناته ... وحسام رونقه يجول بخده

وقوله ، من الكامل ، :

قف بالمطى على المنازل ... بالسفح من حصن فعاقل
دمن أناخ بها الربيـ ... ـع وحل أثقال الرواحل
لعبت بهـا هوج الريا ... ح بالغدو وبالأصائل
تستن في عرصاتهـا ... وبكر أذيال القساطل
حتى كأن رسومها ... إخلاق أجفان المناصل
أو أسطر من عهد ذي الـ ... ـقرنين في الصحف الأوائل

فاتك الشهواجي

[قال في غلام يوصف بالزهر :

رسالة من كاف فؤاد ... معذب بالصد والبعاد
أحمد ربي على السهاد ... بكل دمع رائح وغادي
إلى الذي شق جنح ليـ ... ـل الهجر رحمي البال
برد هجران وبرد مطلـ ... ـي وبرد سقم عنه سالي
يا عضو في محور تخصـ ... ـر رحيم للذل والمعالي
ناظر بـ ... ـد في شرود سباق

بلغت أعداى الذى أحبوا صرت على والزمان ألب
هذا جزا من بصبى يصبو عثرت والطرف الجواد يكبو
يا عبد ما تعرف ما ألاق يا عبد ما شوقك كاشتياق
نفس بحق الود عنْ خناق ما شدد الهجران من وثاق
ياذا الذى يملكنى بطرفه يا من يجل الوصف عند وصفه
يا قاتلى بوعـــده وخلفه ارحم محبا قد دنا من حتفه
ارحم عزيزاً فى هواك ذلا ألبسته ثوباً فـــا تملى
قطعه العذال فيك عذلا يا بدر تم فى السما تجلى
ارث لقلب دائم الجراح ارع انهتاكى فيك وافتضاحى
لا تقبلن فى قول لاحى ياذا الذى بكفه سراحى(١)
فقد عفا الرحمن عما قد سلف فعد عن زور التصابى والصلف(٢)
واحن على الصب بوصل وانعطف إن لم ينله منك إحسان تلف
بحق ما فى فيك من رضاب يا من غـــذته نعمة الشباب(٣)
لا تقطعن الدهر فى عتاب فقد تقضى زمن التصابى
بحق من أنزل صحفاً وكتب اجعل إلى القلب طريقا وسبب
يا لعبة وافت على كل اللعب قد مسنى بعسدك بؤس ونصب
لم يرض بالذلة غير بذل واست أرضى بقبيح الفعل
إنى أرى من دون هذا قتلى فاقطع وصالى أو تجد بالفضل

وهى طويلة جداً

---

(١) اللاحى : اللائم الذى ينقد فعلات ويعيبه . وسراحى : قد أسرى
(٢) الصلف — بفتح الصاد واللام — الكبر
(٣) الرضاب — بضم الراء — الريق

أبو بكر إسماعيل بن بدر

أنشدت له [من الطويل] :

غزال جنينا الورد من وجناته ... على أنه منا القلوب بها يجنى
إذا ما بدا والليل منسدل الدجا ... رأيت سناه كيف يفعل بالدجن
أخبره بالطرف أنى أحبه ... فتخبرنى عيناه أن قد وعى منى

وقوله [من السريع] :

كيف ترى شوقى وتعذيبى ... يا غاية فى الحسن والطيب
إن الذى قال على العدى ... إفك كما قيل على الذيب
يا يوسف الحسن أما رحمه ... يكشف عنى ضر أيوب ؟!

* * *

مؤمن بن سعيد بن إبراهيم

أنشدت له [من مجزوء الرمل] :

قل لمن لست أسمى ... بأبى أنت وأمى
ما على بعض طباء الـ ... إنس لو فرج همى ؟
سيدى ، وجهك شمس ... أشرقت أم بدر تم ؟

وقوله من الكامل :

أودى الفراق عدمه فكأنه ... بعد الظعان ميت لم يلحد
يا طاعناً وهى بقلبى إذ عدا ... ما الصبر من حزعى عليك بأحمد
أفيض عنك دموع عينى عندما ... أفدى فيك صبرى وتجلدى
الله يعلم أن بى صبابة ... من يوم بنت حبلها لم يبرد

وقوله من الكامل :

ذكر الرصافة قد شجانى ... [illegible] ما حصوه مهراق

كم بالرصافة من أخ لى مسعد لولا النوى ما جئتهم مشتاقا
يا حبذا أرض الرصافة منزلا لقى الفؤاد بذكره ما لاقى
لا تنكروا شوقى إلى بلد به أهلى فحكم البين أن أشتاقا

وقوله [من الرمل] :

إنمـــا أرى بقدرى أننى لست من بابة أهـل البلد
ليس منهم غير ذى مقلبـة لذوى الألباب أو ذى حسد
يتحامون لقائى متلسا يتحامون لقاء الأســد
طلعنى أتعل فى أعينهم وعـلى أنفسهم من أحـد
لو رأونى فعر بحر لم يكن أحـــد يأخـد منهم بيـدى

* * *

الوزير أبو وهب عبد الوهاب بن محمد

قال من الرمل المحرو.

قتلت عبدك عبـدك قبل أن تقضيه وعدك
حلت عن عهد محب لم يزل يحفظ عهدك

عبد محمد بن حسين بن طلحة العيسى

قال من الخفيف

كيف صبرى ، أمانح التقلين بخلف موعدى ولاو بدينى
كلما رمت وصلها وصلنى بصدود ودنتى بين
هى رسى الحصون لكن نوم مد أرتيه أدهشت نوم عينى

الوزير أبو عثمان عبيد الله بن محمد بن أبي عبيدة

أنشدت له [من المتقارب] :

أمولاى حتى متى أضرع ... وأشكو إليك فما تسمع
نبابي الوساد وطول البعاد ... وطار الرقاد فما أهجع
أود بأن المنايا أتت ... وأين يرى اللحد لى مضجع
يقطع قلبي صدودك عنى ... فما لى فى عيشة مطمع

وقوله [من الوافر] :

صدود ليس يبلغه عقاب ... وعتب ليس يثنيه عتاب
وإبعاد بلا ذنب طويل ... وإعراض وصد واجتناب
فلا سهر يطيب ولا رقاد ... ولا أكل يسوغ ولا شراب

محمد بن مطرق بن شخيص

أنشدت له [من الطويل] :

يقولون كم تدعو إلى غير راحم ... وما كل من يشكو إلى الناس يرحم
وددت بأن يرضى فإن جاد بالرضا ... بفكر فى ذنب المحب فيندم

وقوله [من الخفيف] :

كان فى كثرة العتاب دليل ... لى على أن من هويت ملول
من نوى جفوة تقول فى الحب ... ب على من يحبه ما يقول
وتطلى الوصل أو صدنى فقدتى ... مع طول العتاب منك قليل
وأسلكى بى سبيل عروة إن لم ... تجدى لى إلى رضاك سبيل

وقوله [من الطويل] :

ولم أدر إذ رموا الهوادج بالضحى ... أشرق أهلى أم نهارى مطل ؟

فياجفن عينى كيف تطمع فى الهوى بنوم وبوم العاشقين محرم ؟

على بن حتفان بن أخت النظام

أنشدت له ، من الكامل] :

وذكرت ما يلقى المحب مخافا بعد الأحبة من جوى وسهاد
بالله لا تنس الوداد فإننى باق على عهدى ومحض ودادى

محمد بن عبديس الجنانى
رحمه الله !

أنشدت له ! من المتقارب] :

إليك أمد بشجوى يدا فقد بلغ الحب منى المدى
يريد المحاسن أنت الذى فد ابتنى فى الأسى مفردا
ترفق فلو كنت بعض العدى وفعلك فعلك ما بى عدا
أرحنى فقد بت مما لقيت وأروح ما أرتجيه الردى

أحمد بن أبى صفوان بن العباس بن عبدالله بن عمر بن مروان

قال [من البسيط] :

هلو ترانى نشوانا أميل على هذا وذاك بلا خوف الرقيبين
والكأس بسعى ونقرا العود يخمرها وعقل كأسى من ريق الغزالين
رأيت أحسن مرقى ومنهجه لبث العرين صريعا بين رعين

أغلب بن شعيب

أنشدت له [من الخفيف] :

رب ليل أحييت فيه سنا الصبـ ـح بوجه يغني الوجوه سناه
بات والراح في غلائلها البيـ ـض تعاطيكها به راحتاه
فأعار الكؤوس نوريد حديـ ـه وطيب النسيم من رياه
وكأن المدام قد علمتها كيف تسبي ألبابنا مقلتاه

وقوله [من الخفيف] :

قد توهمت حادث البين إشفا قاً عليه من قبل حين وقوعه
فرأيت الفراق دل على أن فراق الحياة في توديعه

وقوله من الخفيف :

من لحير المنسوق من أشواقه ويكف الدموع من آماقه
باك على من غادر القلب مني فرقاً من تأسفي لفراقه

وأنشدني لبعض أدبائهم من الطويل

وليلة أنس كاد يسفر فجرها وتسفر في عيني بها الظلم السكدر
لقيتك فيها بالأماني ذاكر فياطيب ليلي من لقاء هو الذكر
أقمتك في عيني لنفسي تذكرا فعرب وصل ما تعالبه الهجر
أسمت بطرا لبدر حسناً وبهجة فقلت لا تسري كما يعمل البدر

* * *

محمد بن سليمان الفلكي الأكبر

قال [من المنسرح] :

أمثل سوقي بك يمرح وهو بروحي وحسبي ممترح
لي لقاي من هوى وبر برؤيته أعوض فيه عليح

وابأبى من يذيب نفسى بالتـــكريه منـــه الدلال والغنج
علم طرفى السهاد من طرفه الســـاحر ذاك الفتـور والدعج

* * *

حسن بن محمد بن ربيع الفانى

قال [من البسيط] :

لولا جفونك ماستولى بى الكمد ولا تحـــكم فى أجفانى السهد
الهجر يذكى جوى قوم فيا عجباً للوصل يذكى جوى قوم فيتقد
كأنه ليس يبقى فى جوانحـــه إلا ليشقى بما يلقى وما يجد
هـذا مقام فؤادى فى تشـوقه فلا تسل بعد ذا أن كان لى كبد

* * *

عبـــــد الله بن بكر
رحمه الله تعالى!

أنشدت له [من الخفيف] :

حسدت نفسى الطبـب وقالت بيت كفى مكان كف الصبب
عجباً كف ساعدته يداه تصد ذاك المطرف المخضوب
لبت وجه الحبيب كان من الدنـــيا ومن حسنه الخلود نصيبى

وقوله من الكامل] :

لما رأيت شعاع وجهك قد بدا متهللا تستقبل البرق
سحت من عجب دموعى منى للشمس مطلع سوى الشرق؟
ما كنت أحسب من صورها متكوناً أبدا من الحلق

وأنشد للكلى الوافر]

سقى من ثوبه نشوى وما يحسو كما يحسو لبيب

هو الداء الذى لم يشف منه لقاء يلتقيه ولا مغيب
وتروى بالعناق طلوب قوم وظمأ لو تعانقت القلوب
على أنى إذا ما غبت عنى وإن أصبحت فى أهلى غريب

قال : وعتب الحكم ولى العهد على الكلبى فى بعض الأمر فأقصاه وأبعده، فكتب إليه كتابا متصلا[1] ، وجعل عنوانه «عبده الكلب إلا أن يمنحه مولاه باء نسبته» فاستظرف الحكم كتابه، وضحك منه، ودعاه فأعتبه[2] ، ووصله

* * *

محمد بن حفص بن فرج

قال [من البسيط]

يا من عدت نفسه نفسى فإن سلمت سلمت أو ألمت فاسمها الألما
ما إن علمت الذى تشكوه من سقم حتى وجدت بنفسى ذلك السقما

وله [من الخفيف]

فى الملى راحة لكل حميد تشفه الحب بالبلوى والصدود
إن ناءى الحبيب أدنته منه بعدا فى العباد غير بعيد
أو جفاه فإنه لمنيل واصل حبله رغم الحسود

عبد الله بن محمد بن فرج الأندلسى

[من الطويل]

سكا السقم من أهوى وحد به ضنى ولا مس منه الصاد فى الحب
وما عذبه إلا وسقمى وحبه وأحزن نفسى الحب والكرب

(١) متصلا متتابعا
(٢) أعتبه إذا رجع إلى ما يحب

وقوله [من الخفيف] :

ما لهذا الصدود من غير معنى ... يا حبيبى ، إلى متى تتجنى؟
أنت غصن فكيف تقسو لحان ... مد كفا وأنت تهتز لدنا
إن تكن قد مللت قربى فباعد ... ت قليلا لعلنى سوف أدنى
أيها الناخل الممانع حد لى ... من حياتى بعض ما أتمنى
أو أرحنى بالموت فالموت عندى ... هو خير من أن أعيش معنى

وقوله [من الطويل] :

رحلت وقلبى عنك ليس براحل ... ورلت وصبرى عنك أول راحل
وحدث بأن العيس العتاق وإنما ... رحيلى من الدنيا بتلك الرواحل
ومن عجب أختار فيك مبيتى ... وما فى المنايا من خيار لعاقل

وقوله [من المنقارب]

نظرت إلى عقدات الكتب ... بعينى مسوق إليها كئيب
وكم نظره ملأت باطنى ... إليها دما مستهل الغروب
رعى الله أهل كثيب اللوى ... كرعيك منهم عهود الحبيب[١]
وتسقى فيهم حبوب السماء ... كما سقى الله ربع الحبيب[٢]

وقوله [من الطويل] :

أرى نار ليلى بالعقيق لوائح ... فهذا الهوى والشوق وهى روائح
وريح إليه هى تسرح فى الضحى ... وإنسان عينى فى الدموع سوائح

---

(١) الكثيب : تل من الرمل . واللوى : ما التوى من الرمال .

(٢) الربع : ضد الفقر

فسلى بوجد لو تقسم فى الورى لما بات بين الخافقين صحيح
فيا لك ناراً تصطليها حواشى ودون الصلا منها مهامه فيح(١)

* * *

محمد بن أحمد بن قادم

قال من الخفيف .

لم أبح باسمه لأنى ضنين باسمه أن تذيله الأفواه
أنا من خاطرى أغار عليه عند ذكرى له فكيف سواه
ساء ظنى لفرط غيرة قلبى مع على عفاف من أهواه
وإذا ما سمعت من يشكى حرقة خلت أنها شكواه

وقوله [من البسيط

إنى رعيم لمن أسهرت مقلته أن لا يطيف به طيف من الوسن
سبحان رب الورى ما كان أعطفنى حتى رمتنى الليالى فيك بالمحن

وقوله من الخفيف]

قد ترنح الملى وريح الهموم واسفح الدمع فيه سفح الغيوم
عبرت فيه صروف الليالى ومحاها الغمام محو الرقيم
ساء ما اعتاض السحب من ذا ت المعالى عمت الغيوم
فالأسى حين تعدم النفس تحسو ل على قدر جوهر المعلوم

وقوله من الوافر

أما والبيت والنسك الحرام وزمزم والمشاعر والمقام
لقد حنت ركاب الرشد حتى شحطت فى الخلى من العرام
إذ شاق الحنين فؤاد حر فكيف به إذا زاد المستهام ؟

(١) الفيح الواسعة واحدها فيحة

تحن إلى حنين العيس نفسى ويبعث شجوها نوح الحمام
وإن حياة نفس كل شيء يشوقها لموشكة الحمام

وقوله [من الكامل] :

ما كان تركى للعيادة عن قلى منى ولا لتبدل وتغير
لكن علمت إذا سمعتك تشتكى أن لا يقوم به جميل تصبرى

* * *

محمد بن عبد العزيز العتبي

قال [من الكامل] :

فاسأل بهن ربوعهن ، وما الذى يجدى عليك سؤال ربع داثر ؟
عفت معالمه الليالى مثل ما عفى سواد الشعر بهجة عامر

وقوله [من الكامل] :

حوراء خود تستعير إذا مشت لين القضيب الناعم الميساس
لانت أناملها ولكن قلبها فى قسوة الحجر الصلود القاسى

وقوله [من الكامل] :

ألا فى سبيل الله قلب متيم أصيبت بين الظاعنين مقاتله
هوى صبره بالبين من ذروة الهوى وغالته إذ بان الخليط غوائله
وبين الحول المستقلة شادن أغن غليظ القلب رخص أنامله
تيقنت أن الصبر عنى زائل عشية زمت للرحيل رواحله

* * *

محمد بن مروان بن حرب

قال من مخلع البسيط] :

من فرط شجى عليك أنى رسول نفسى إليك عنى

هلو سألت الرسول عن أنى لقال الرسول من

* * *

المكفوف محمد بن محمود بن أيوب الغنوى

قال , من البسيط :

لا يبعد الله أياماً نعمت بها ... بين العوادى وشمل الحى ملتئم
بكل ناعمه الأطراف مسرفه ... بكاد تسفر من إسرافها الظلم
كأنها دميه بل كوكب شرق ... بل روضة أنف زهراء بل صنم
ها لمتلى لا يبكى امرقتها ... والعهد منها ولو أن البكاء دم

مازن بن عمرو بن مروان بن محمد بن عاصم

قال , من السريع :

كم لى من أهواه من وحشه ... بين إلى هجر إلى صده
وعبره لو أنها حمه ... ما أطفئت من سنده الوقد
إن حالت الريح إلى غيرها ... قول قد حال عن العهد
ويل لما كان توهمه ... ذا سليك عن الود
كأن سمعى فى مسامعه ... من بين هذ حلولى وحصى

وقوله من الكامل :

وصفو محسن فى وحدته ... فكر فى صحته ومرضه
قد رق فرصفه بهدى صبره ... ورثه لامنة حصره وبرضه
أمسى على سقم وعسده ... عوذ من السحره أو برضه
فبيض من وعد بر ... صفر صفحات الحبر

والدن مقطوع الوتين ترى له علقا يجود بصوبه مدراره
طفئت مصابحنا فكان سراجنا مصباحه حتى الصباح وناره

أحمد بن عبد الله بن عبد العزيز
ابن أمية بن الإمام الحكم

قال [من الطويل] .

لئن منعوا من ناظرىّ ناظرى فما منعوا ما بينا فى الضمائر
نموت ولا نشكو الهوى عن رأينا إذا ما التقينا نتشكى بالمحاجر

وقوله [من السريع]

ودعنى اذ ودعوا صبرى وجمعوا البين إلى الهجر
واستحلفوا فى كبدى لوعة لأنها أذكى من الجمر
لولا دموع العين يوم النوى لأحرقت من حرها صدرى
وكيف صبرى فى هوى شادن مكتحل الأجفان بالسحر

محمد بن عبد الله بن عبد الواحد المعروف بمرجون

قال [من الخفيف]

يا رسولى أسرع إليها بشكوى واسألها ولو بلقاء خيال
فى هوى قد جنى هواه علينا فمرجو لو مؤذن بالممات
فاحضه [illegible] كان يحيا أسير لحظات
وعجل ان [illegible] بك بادى الحياء الأموات

عيسى بن أبي جرثومة

قال [من البسيط] :

يا من سقتنى كأس الحب عيناه صرفا ونى بأخرى طيب رياه
وزادنى وردتى خديه ثالثة فأسكرتنى عيناه وخداه
يا من كساه ضياء الحسن خانقه فالملاحة حيـــاه ورداه
حى يرجى سلاما فى ملاحظة تشفى به سقم قلب طال بلواه

أحمد بن عبد الملك بن مروان

قال [من الكامل] :

ولقد نفست على الأراك وحق لى لما اجتنى بالذوق طيب جناك
وبى الصدى لا بالأراك . فما له رشف اللمى وحرمت رشف لماك ؟
أشعرت لو أنى حللت محله لم أمتهنك بأن أقبل فاك

وقال من الطويل :

على صدع شملى منك قلبى تصدعا معن أى حال منك أبدى التوجعا ؟
على النأى منكم أم على قرب داركم بهجر يزيل الصبر عنى أجمعا ؟
بلى إن فى قرب الديار لراحة وإن لم يدع لى فيك هجرك مضمعا
كما أن أيام النوى تبعث الأسى ويدعو التصابى للمحب إذا دعا

وقوله ، من البسيط :

هبت لنا الريح من تلقاء كاظمة وهناً فكم رد نفح الريح من روح(١)
وما عرفت نسيم الريح من بلدى إلا تعرف حبيب هب فى الريح

* * *

(١) كاظمة : اسم موضع

عيسى بن جوشن

قال [من البسيط] :

أذاع سافح دمع العين حين همى ... من الجوانح سراً كان مكتتما
لا تحسبى أنه سر بذات به ... ولا فتحت به للكاشحين فما
لولا عواصى دموع لا تطاوعنى ... ما ذاع سرك عندى لا ولا علما
لؤم بذى الحب أن يبدى سرائرما ... يهوى ومن صانها حفظاً فقد كرما
سجيتى أننى أرعى وداتكم ... وأحفظ العهد منكم كلما قدما
وأننى أمنح الواشى بكم أذنا ... معارة فيكم عن قوله صمما

* * *

عبد الله بن سعيد الكاتب المعروف بابن الأخرس

قال [من الخفيف] :

ما نعذرى يزيد فى قدر ذنبى ... وعتابى يغريك فى بعتب
ولماذا اشتريت ودى وقد أعـ ... ـطيتك الود من لسانى وقلبى
حسبى الله من أعاد وحسا ... د . وبالصدق فى نصيك حسبى
أنت شربى ولبس فى العيش حظ ... لى يصفو إذا تكدر شربى

عبد الله بن حسين بن عاصم بن طاهر

قال من مخلع البسيط [:

أبدى الصدود حبيب ... قد خان عهدى وملا
ولو منى لى بروحى ... بردها إذ سألى !
لا أحسن الله منه ... من بالجفاء تحلى

وقوله [من البسيط] :

أغرى بي الشوق فكر مايسالمني ... أقام بين ضلوعي حرب صفينا(١)
هذا وماعان أحبابي الأولى ظلموا ... وإنهم لعهود الحب راعونا
يا أهل ودي عدا بي عن زيارتكم ... هوى يلج بإبعادي أحابينا
مالي على الحب من عون يوازرني ... فيه سوى أدمع تجري أفانينا(٢)

* * *

الوزير أبو الحزم جهور بن عبد الله

قال [من الكامل] :

يا غائباً في بالصدو ... د إذا ذكرت فسيح عذرك
أخليت من قلبي مكا ... نا كان معموراً بذكرك
وأنا أحبك لو وثقـ ... ـت وأستديم سناء عمرك

* * *

عيسى بن عبد الملك بن قزمان

قال [من السريع] :

كم من حبيب كان في قربه ... مقترب الود قريب المكان
يرى على الأعداء في [illegible] ... كالصارم الهندي أو كالسنان
حتى إذا الدهر [illegible] ... [illegible] تقلاب الزمان
كان صديق [illegible] ... [illegible] صديق العيان(٣)

---

(١) صفين [illegible] على [illegible] كانت بها الوقعة العظمى [illegible] بين علي و[illegible] سنة [illegible]

(٢) الأفانين جمع أفنان [illegible] جمع [illegible] وأفنان [illegible] الغصن من الشجرة

(٣) [illegible]

وقوله [من المتقارب] :

تقول : بعدت فأنسيتنا ولم يك حبك بالدائم
فقلت لها : لو علمت الهوى لما جرت فيه على العالم
لأن الهوى وانتزاح النوى يزيدان فى لوعة الهائم
كفعل الرحيق وسكر الكرى إذا ما استعانا على النائم

* * *

محمد بن عبد الجبار النظام

قال [من الخفيف] :

إن جهلا بالمرء ذى الحزم والرأ ى رجوع فى العى بعد نزاع(١)
وعجالا بأن يطيع هواه والهوى — ما علمت — شر مطاع

وله [من الخفيف] :

أودعت مهجتى عداة الوداع حرقات تحتها أضلاعى
طفلة تسبى العقول بدل ال أحداق للقلوب والأسماع
كتمت الناس ما كتمت وما كتـ ـت قديماً أصونه فى قناعى

الوزير أبو عامر أحمد بن عبد الملك بن شهيد

أنشدنى له أبو سعيد بن درست من قصيدة يرثى بها الوزير سكر الأعمى
الأندلسى قوله من قصيدة يمدح بها ابن الصقيل

وأخرى علقت دونهن ودونها صعب وحجاب ورمل ومعشر
يرمى بها بعد رجعة من لباس سمال الأراكة مخضر (٢)

(١) الرجع الرجوع ، وهو الاندلاع من سيء
(٢) العبارة فى الأصل ، وقصيدة المعصوم لم يثبت أكثر من بيتين ، وقد ذكر حسن
ترجمة وافية فى مجلة [illegible]

إذا رامها ذو حاجة صد وجهه ظبا البائرات والوشيج المكسر(١)

ومنها :

ومن قبة لا يدرك الطرف رأسها تزل بها ريح الصبا فتحدر
إذا زاحمت فيها المخارم صوبت هبوبا على بعد المدى وهي تأر(٢)
تكلفتها والليل قد جاش بحره وقد جعلت أمواجه تتكسر
ومن تحت حضنى أبيض ذو شقاشق وفى الكف من عسالة الخط أسمر(٣)
إلى بيت ليلى وهو فردبذى الغضا بضيء كمعبن المستهام وزهر
هما صاحباى من لدن كنت يافعاً مقبلان من جد الفتى حين يعثر
فذا حدول فى الكف تشفى بمائه وذا غصن فى الكف يحنى وينعر
فبتنا على ضم الفرط شنباتنا يكاد له أكبادنا تتفطر

ومنها :

ودوية من فتنة مدلهمة دريس الصوى معروفها متنكر
إذا جابها الخريت فى ظرفاتها يخل بها أعمى وإن كان يبصر
ترى تابتات الحكم عند اعتسافه ترك عنى بدفاعها فتحور
وإن سلكت أضوارجها عدلت بها عوارب من ذى مطرينات نزجر
وسرنا نجوز الليل حتى بدا لنا هجره يحيى ساطع اللون أزهر

وله من أخرى أولها من الطويل :

أمن رسم دار الغانيات محيل

ولما هممنا الخمس بعد رحيله ذى كل خوار العنان أسيل

---

(١) الوشيج : سحر تجمع بعد الرماح

(٢) الخرم : جميع مخرم ، وهو ما انحدر من الجبل

(٣) الخصر : الجسم ، والشنبات : الأطراف ، والعسالة : السريع والأسمر : الرمح

مسومه نعتدها من جيادنا لطرد فنيص أو لطرد رعيل
إذا ما تغنى القوم فوق متونها ضحيا أجابت تحتهم بصهيل
تدوس بنا أوكار نوء كأنه رداء عروس أوذنت برحيل
رمينا بها عرض الصوار فأقعصت أغن قتلناه بغير قتيل
وبادر أصحابي النزول فأقبلت كراديس من غض الشواء نشيل
فقلت لساقيها أدرها سلافة شمولا ومن عينيك صرف شمول
فقام بكأسيه مطيعا لإمرتي يميل به الإدلال كل ميل
وشعشع راحيه فما زال مائلا برأس كريم منهم ونبيل

وله من أخرى[1] [من الطويل]:

منازلهم نسكى إليك عفاءها سقتها الثريا بالعرى نحاءها
ألثت عليها المعصرات بقطرها وجرت بها هوج الرياح ملاءها
حبست بها عدوا زمام مطيتي فظلت بها عيسى على وكاءها
رأت شدن الآرام في رمن الهوى ولم تر ليلى فهي تسفح ماءها
خليلي عوجا بارك الله فيكما بدارتها الأولى نحى فناءها
ولا تعنفاني أن أجود بأدمع حواها الجوى لما نظرت جواءها
فأقسم ما شمت الغداة وقودها وقد شمت مارات الحي وأساءها
ميادين أفراس الصبا ومرانع رتعت بها حتى ألفت ظباءها
ولم أر أسرابا كأسرابها الدمى ولا ذئب مثلي قد رعى ثم شاءها
ولا كضلال كان أهدى لصبوتي ليالي يهديني الغرام خباءها
وما هاج هذا الشوق إلا حمائم بكيت فما لما سمعت بكاءها
تعز فلا بعد لدى الأيك عاشق كما بي ليلى فاستحث غناءها
أنا البحر لا يستوهن الخطب طافني وثأب الحسان أن أطيق نقاءها

(١) ورد كثير من هذه الأبيات في الذخيرة ، ١ ، ٢١٩ ، مع اختلاف يسير

تيم قصدى النائبات فردها ... فتى لم يشجع حين حان رياءها
إذا طرقته الحادثات أعارها ... شا فكرات قد أطال مضاءها
أما وأبي الأعداء مادفعتهم ... يد سبقتهم يتقون عداءها
جزاهم بما حازوا من الجهل حلمه ... كريم إذا رأى المكارم جاءها

ومنها :

وكم لك من يوم وقفت بظله ... وقد نازلتنا الحادثات إزاءها
ومن موقف ضنك زحمت به العدى ... وقد نفضت فيه العقاب رداءها
وكم أمة أنجدتها وحكأتها ... برايح سدت خيفة قصعاءها
ومن خطبة فى كبة الصك فيصل ... حسمت بها أهواءها ومراءها

ومن أخرى أولها [من الكامل] :

« أنكيت — إذ ظعن الفريق — فراقها »

يقول فيها :

إن امرؤ لعب الزمان بمهجتى ... وسقيت من حمر الخطوب دهاقها
فإذا ارتمت نحوى المنى لأنالها ... وقف الزمان لها هناك فعاقها
فإذا أبو يحيى بأخر سعيه ... فتى أؤمل فى الدنا إلحاقها(١)
الملبس ذهبية من فضله ... مت العيون فلم تطق رقراقها
والمانعى من صرف دهرى عندما ... قلت إلى الحادثات حداقها(٢)
حتام لا تروى حيادك ثلوغى ... وتشيم من بيض السيوف رقاقها
وتسد طرق الأرض ملك مححل ... بذر الملوك مديمة إطراقها
بحر إذا خفقت عقاب لوائه ... بتخوم أرض لم تخف خفاقها

(١) كذا ، وفى الذخيرة : فتى أؤمن فى الزمان لحاقها .
(٢) الحداق : جمع حدقة . وهو سهم لا نصل

ومنها :

بطل إذا خطب النفوس إلى الوغى جعل الظبا تحت العجاج صداقها
لو عارضت هوج الرياح بنانه يوماً لسد ببعضها آفاقها
وإذا الملوك جرت جياداً فى الوغى والجود قطع غفوة أعناقها
ولو ان أفواه الضراغم منهل للورد أورد خيله أشداقها

وقوله [من الطويل] :

أفى كل عام مصرع لعظيم أصاب المنايا صادق وقديمى
فكيف لقانى الحادثات إذا سطت وقد فل سيفى منهم وعزيمى؟
مضى السلف الوضاح إلا بقية كغرة مسود القمبص بهيم[1]
وكيف اهتدائى فى الخطوب إذا دجت وقد فقدت عيناى ضوء نجومى
أما وأبى الأيام لولا اعتداؤها لظاهرت فى ساداتها بقروم
وفارست من يبغى قراعى منهم بأحلام بطش أو بطيش حلوم
أحلوا ملامى لا أبا لأبيهم وإنى ورب المجد غير ملوم
فلا تعذلونى إن وهنت فإننا علاقة حبر لا علاقة ريم

وقوله [من الخفيف] :

قد تركنا الصبا لكل غوى واسلحنا من كل دام وعاب
وانقطعنا لواعظات مشيب آذنت حياتها بذهاب
وإذا ما الصبا تحمل عنا فقبيح بما ارتضاه التصابى
وفتو سروا وقد عسكف الذبـ ـل وأقعى مغدودون الأطناب[2]
وكأن النجوم لما هدتهم أشرقت للعيون من آدانى

---

(١) أى : كغرة الفرس

(٢) فتو : جمع فتى ، والمغدودر : الناعم

وكأن الصباح فانص طير ... قضت حكمه برجل غراب
وكأن البروق إذ طالعتهم ... أوقدت في سمائها من سهاد
يتقرون حور كل فلاة ... صبح ليل حوراؤه من ركاب[1]
عن ذكرى لمدلجيهم فاهوا ... من حديثي في عرض أمر عجاب
همه في السماء يسحب ذيلا ... من ذيول العلا وجد كاف
وفتى أرهفت طباه المعالي ... فتشه بالباتر القرضاب
بيته أيامه وليالـ ... ـه بضفر من الخطوب ونائب
حول نور ترّه صرف الليالي ... لنواري من حوفه في حجاب
داق أنامله بكاس سواء ... عدم طعم شهدها والصاب
ولو أن الدنيا كريمة عصر ... لم تعكس طعمه لفرس الكلاب
وإذا ما نظرت ما حار عمري ... قل عما حمله في ثياب

ومن قوله من الرمل:

صفيح شيم أم برق ... ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ
هب من مرقده يحكي ... مسـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ
يمسح النعسة عن عيني ... ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ
كاد أن يرجع ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ
قال لي يا صد صدي صابر ... در في الدهر مرى بالكدا
فإذا سحاب وعده ... قال لي نصر ذكرى عدا
مرت بعصيبة حمر ... ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ

(١) حور القلاة : صحاريا
(٢) الأد ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ

وأنا المجروح من عضته لا شفاني الله منها أبدا !
ومكان عاب من حبره أصدقاء وهم عين العدا
ذى بنات لملت أعراقه كعذار السعر فى الخد بدا
ظلت إذ حمت فيه فاطماً وتلاقتى الأمانى سجدا
ورأيت الدهر حولى ساكناً وبنى الأحرار حولى أعبدا
حاد من أصحت فى آبائه والردى حدر من حولى الردى
ملك يحسب عدلا ملكا وإمام أم فيا فهدى
حلمه والرمح فى راحته قمراً يحمل منه فرقدا
نعم ما الحرب لعمرى فاعلموا بين رهان حار أو سرف عدا
ليس من يعسو إلى نار القرى مثل من يعسو الى نار الهدى

ومن شعره من الطويل

أرى بدا أم لمع أبرق خاطف ورجع بدا أم رجع أسقر صاهل
ألا إنها حرب حميت بحطبه إلى عرب يوم الكتيب عقائل
عرى بعلى عالب القلب فانطوى على كمد من لوعة القلب داخل
ردى علىّ الخيل ما عرب الهوى حمادلة الزرار ، أسه وأزل
حرينا يوم المرج آخر سله وعصن سقيبا بين أعين عاسل

ومنها

سهرت لها أرعى النجوم وأنجما طوالع أزاعير غير أوافل
وقد عرب عنها سا كل زهره على كل صرع بعمامه حاسل
كأن الدجى هى . دمعى حومه تحدر انسكابا بدمع مسلسل
وما فى الا همه أستحيبه ويمنع أبكى من طلاب لزدائل
وكيف ارعى صاحى دار الحبس سرى د كأب الحو عجم ما أ

وصبرى على محض الأذى من أسافل ومجدى حسامى والسيادة ذابلى
ولما طمى بحر البيان بفكرتى وأغرق قرن الشمس بعض جداولى
زففت إلى خير الورى كل حرة من المدح لم تخمل برعى الخمائل
وما رمتها حتى حططت رحالها على ملك منهم أغر حلاحل

وقوله من قصيدة أولها [من الكامل]

* هاتيك دارهم فقف بمغانها

يقول فيها :

ودعتهم وزناد فدح فى الحشا دون الضلوع يشب من نيرانها
يا صاحبى إذا وعى حاديكما فتنشقا النفحات من ظيانها
وحذا بمرتبع الحسان فربما شفع الشباب قصرت من أخدانها
وكأنما الشعرى عقيلة معسر نزلت بأعلى النسر من ولدانها
وكأنما طرق المجرة منهج للعامرية ضامن فينانها
المعجلين عداتهم برماحهم والحاعلين الهام من تيجانها
أناطودها الراسى إذا ما زلزلت أندى الحوادث من فؤاد جنانها
وعلى الصبر الجميل مفاسه رغف أقل بها شباة سنانها
وكأننى لما كرمت وقد شكت أرضى الحوادث غبت من حدثانها
وقصت بعز النفس منى دوحة من عامر أصبحت من أغصانها
أسرى لهم بالخيل حتى حيروا أن الجبان رمتهم برعانها(١)
ورمى العدى بكتائب مثل الفضا أغمدن نصل الصبح فى رجحانها
من كل سلهبة تطير كأنما يسك مؤخرها التياح لمامها(٢)

(١) الرعان : جمع رعن ، وهو أنف الجبل
(٢) السلهبة : الطويلة الجسيمة

نشأوا بزاهرة الملوك ومائها وكأنهم نشأوا على غسانها
وأرتهم العرب الكرام مصاعبا فتعلموا من ضربها وطعانها(١)

وقوله من قصيدة أخرى [من الطويل] :

خليلى ما أنفك الأسى منذ بينهم حبيبى حتى حل بالقلب فاختطا
أريد دنوا من خليلى وقد نأى وأهوى اقترابا من مزار وقد شطا
وإنى لتعرونى الهموم لذكركم هدوا فلا أستطيع قبضاً ولا بسطا
وإن هبوط الواديين إلى النقا بحيث التقى الجمعان واستقبل السقطا
لمسرح سرب ما تقرى نعاجه بريرا ولا تقرو جآذره خطا(٢)
ومرتجز ألقى بذى الأثل كلكلا وحط بجرعاء الأبارق ما حطا
سعى فى قياد الريح يسمح للصبا فأنقت على غير التلاع به مرطا
ومازال يروى الترب حتى كسا الربى درانك والعيطان من نسجه بسطا(٣)
وعنت له ريح فأسقط فطره كما نثرت حسناء من جيدها سمطا
ولم أر درا بددته يد الصبا سواه فبات الزهر يجمعه لقطا

وقوله يصف الذئب وأحسن [من الطويل] :

أزل كسا جثمانه متسترا طيالس سودا كالدجى وهو أطلس(٤)
فدل عليه لحظ خب مخادع ترى ناره من ماء نسبه تقبس

---

(١) المصاع : الخلاد والقتال
(٢) تقرى : تتبع ... الأرانب
(٣) ... وضحاه
(٤) ...

وقوله ' من مجزوء الكامل ' :

وأغر قد لبس الدجى بردا فراقك وهو فاحم
يحكي بغرته هلا ل الفطر لاح لعين صائم
أرمي به بقسر الحي وأصد عن عصم العواصم
وتجانبي فتق النفو س من المهاريت الدلاقم
حتى إذا علم الصبا ح أشار من تلك المعالم
وتمايلت أيدي الثريا وهي مذهبة الخواتم
ورنت ذكاء بناظر رمد من الأقذاء سالم

قلت : ومن رسائله العجيبة قوله يصف البرد والنار والحطب :

أطال الله بقاء مولاي الذي أهتدي بمصباحه . وأعشو إلى غرره وأوضاحه ، صبحتنا اليوم خيل البرد مغيرة ، فانقبضت إلى أخريات الإيوان ، وقد كدسني صنارم وسنان . فجعلت بجنى حطباً دل على نفسه . وتشظى من يبسه[1] فسلطت عليه صاحب الشرر[2] ورميته منها بنبات الحديد والحجر فواقعه فنبلا . وعاركه طويلا فكان لها عجيج . وله من حرها ضجيج . ثم حرنها صريعا . واستولت عليه صعباً منيعاً فبددت شمله وألفت شمله . واستحالت حية لا يسلد قلب . ترمي بألوان وتهدد بلسان . فلذعت البرد لذعه . ونكزته على فؤاده نكزه . حرقها على جنينه . ومات بها من حينه . وغشينا من فائض حمتها حر كان لنا حياة . ولذيذ وقاة . فالحمد لله على نعمته . وما أرانا من غريب قدرته . وشاهدنا به من لطيف صنعته . ولما استحال جمرها رمادا . وقد

---

(١) تشظى : تشقق

(٢) صاحب الشرر : الزناد

مهد لنا من الدعاء مهادا ولمحته العين كالورد ، وذر عليه كافور الهند . ابسطت نفس تناكرك مدركه لما كامنه ، من الزيادة في المعنى الذي اعتمدته محرما له لامقتدنا به ، ومسدسا فيه لا آخذا منه

وله من أخرى يصف فيها البرد والحمام :

لما تلقى اليوم البرد تناكرك سوع . ومتى إلمه بروع وكان بالأمس برداً أحصف قاني من سحابه أو طف ، قصد بات النار ، ومورد الأبرار والفجار . فلما رأى الناس أحلاطا تذكر جهنم ، ولفحها المتضرم ، وقوله تعالى (وإن منكم إلا واردها) واستعاذ بالله من لهبها ، وسأله أن لا يكون من حطبها ، وإذا أهلها يتساقون أكواب الحر ، ويتعاورون أتراب القر ، فلما أحدث منهم حياء ، تهللت السماء ، وانطلقت الأفواه ، فأحسوا من عالدهم وأكثروا من عوائدهم وكسف الانتشار ، وهمكت الأسرار ، وجعلوا يتحالدون دلكا وتتصارعون حكا حتى إذا حرجوا تحماديهم ، واحفلوا بحذاقرهم[1] صب على جسمه من عريص وامتد على وصاح دن وميص ، فأتبعه الخر حتى احمراه ، وباعده القر حتى اشتهاه فجيد أحد في طهره ، ونقى من مُرده ، وقد لطف جسمه ، وتراجعت إليه نفسه ، فلا ماحاطك به أنس في المعنى الذي دعمه ، على الاختيار لمن قصده ، فإذا ذلك الكلام لا يدل على سواه ، ولا يقتضي لغير معناه وأنت فمرا بحرعه أرهفت حواسها ، فسالت عليه وفي جسمه أسنى المذكار فإن كان ذلك من كرمه كان ذلك طريفا على كرمه ، وإن كان على حاله فما زاد أن يكون خمر كريم ، فإن ذلك نعيمه لو شبها ونعت يوصف على وصفه ، فاسكر خمر مسحرة للمشكور ، دريئة أمل ، وملجأ [2]

---

[1] الحمل جمع

[2] الجرى الخمر والإناء . وملجأ الناقة ذهب بها الا فيلا سد ذا قد بعد مبرحة

عسل . فإن كانت من كريم كان روضها وردا ، وحوضها شهداً ، وإن زاد أن يكون عن كريم كانت ناقة صالح ، صرها ثواب ، وحفظها عقاب . والشكر طائر يتغنى باسم المشكور فإن كان من كريم كان شخصه محبوبا ، ورجعه تطريبا . وإن زاد أن يكون عن كريم كان حمامة نوح يغرد بنعم ، ويقع ببشرى . والشكر درع حصينة يلبسها المشكور ، فإن كان من كريم كان ظلها بردا ، ونفحها ندا . وإن زاد أن يكون عن كريم كان ثمرها عجوة ، وجناها شهوة . والشكر واد يسقى أرض المشكور ، فإن كان من كريم استحال أتيا ، وإن زاد أن يكون عن كريم عمر عمر السحاج . وأنزع الأضواج . والشكر نسيم يهب على المشكور ، فإن كان من كريم كان نشره فوحا ، ونفحه روحا . وإن زاد أن يكون عن كريم صاك منه عنبر ، وتنفس منه مسك أذفر

وقوله فى صفة برعوث :

أسود رنجى ، وأهلى وحتى أنس بوان ولارمين ، وكأنه جزء لايتجزأ من ليل أو نويرة أو بنتها عزيزة أو نقطة مداد أو سويداء قلب فؤاد تتربه عب ، ومتسه وتب يكمن نهاره ، ويسير ياه يدارك نطف مؤلم ، ويستحل دم كل كافر ومسلم مستور الأساورة ومجرد له على الحارة يتكفف أرفع الثياب ، ويهلك كل صحاب ، ولا يحفل ثواب يرد ماه لعبس العذبة ، ويصل إلى الأحرح أرضه ، لا يمنع منه أمير ولا يمنع منه غيرد عبور وهو احتقر حقير مرد مسوت ، رعبه مسكوب ، وكذلك كل برعوث كبى من عصاه الإنسان ودلاه فى قعر جهنم

وقوله فى صفة بعوضة

ما لكم لا تمسون هذا البعوض حقيرا تمسى إلى ملك قد ... وتضرب فيه حتى ... هذا ... وتمتص منه ... وترتع منه ... وتخرج ...

خرطومها ، تذلل صعبك إن كنت ذا قوة وعزم ، وتسفك دمك وإن كنت ذا حلفـــة وعسكر ضخم . تنقض العزائم وهي منقوضة . وتعجز القوى وهي بعوضة . ليرينا الله عجائب قدرته ، وضعفنا عن أضعف خليقته

وله يصف ثعلبا :

أدهى من عمرو ، وأفتك من قاتل حذيفة بن بدر كثير الوقائع في المسلمين ، مغرى بإقامة ذم المؤمنين . إذا رأى الفرصة انتهزها ، وإن طلبته الكماة أعجزها . وهو مع ذلك بقراط في إدامه ، وجالينوس في اعتدال طعامه . غذاؤه حمام ودراج ، وعشاؤه بذرج ودجاج

وله يصف ماء :

كأنه عصير صباح ، أو ذوب قرلياح له من إنائه ، انصباب الكوكب الدرى من سمائه . العين كانونه . والقمر عفرينه كأنه خيط من غزل فلق ، أو مخصره صرت من ورق يترجم عنك مترد ، ويصدع به قلبك فتحا

وقوله من رسالة يصف فيها الحلوى

وما أرقى إلا ليله أصحبا به دخلت فيها الجامع ، ووقفت موقف الساجد والراكع ، حتى إذا قضيت من حق الله أمرا ، وأسمعت الشمع وترا جلت في أكنافه ، وانصفقت في أعطافه ، فإذا أرصفه تباهي السماء . وقد راقوه تضاهي الخضراء ، وجاجة ... كأنها الكواكب الدرية ... تعالى ... كما ... يسبح بحمده والملائكة من خيفته ... ولا ... ولا تقلاك ... لا ... تحل ... الكتاب ... في ... من لأصحاب ... فلما صاحبنا خلوت ... [illegible]

وأبيك ، قلت : مالك وما تريد ، قال : ذلك الشهيد العتيد ، واضطرب به الألم واستخفه الشره فدار فى ثيابه ، وأسال من لعابه ، وازور جانبه ، وخفق شاربه ، ثم نهض فى كر ، وصدر بحر ، ونظر إلى الفالوذج . فصاح هذا اللص كأنه تألى بحاجة الزنابير ، حدثت على شوابير ، وخالطها لباب الحبه ، فجاءت أطيب من ريق الأحبة ، ثم نظر إلى الخبيص . فصاح بأبى الغالى الرخيص ، أنظر فيه ذا اللماع ، أكرم به من شعاع . هذا جليد سماء الرحمة ، تمخضت به فأبرزت منه ربد النعمه ، تجرحه اللحظه ، وتدميه اللفظه . . بماء أبيض ؟ قالوا : بماء البيض البض ، فقال : غض من غض . أنظروه له إشراق ، هذا وأبيكم بقية العشاق . ما أطيب خلوة الحبيب ، لولا حضرة الرقيب . ثم نظر إلى الزلابية . فصاح ويل لأمه الزانية ، أبأحشاء نسجت ، أم صفاق قلبى ألفت ؟ بأى أجد مكانك من نفسى مكينا ، وجبل هواك على كبدى متينا ، من أين خلصت ، كيف طابخك إلى باطنى . فأقطعك منى دواجنى . والعزيز الغفار لأطلين بالنار ، وتلمظ (١) له لسان الميزان . فجعل يصيح النعبان الثعبان . فلما عاينته قد أنبس . وهو ينظر نظر المفلس . حنت له ضلوعى ، وعلمت أن الله فيه غير مضيعى . وقد تحل الصدقة على ذى الوعر ، وفى كل كبد رطبة أجر . فأمرت الغلام بابتياع أرطال تجمع أنواعها التى أنطقته ، وتحتوى على ضروبها التى أخرعته . فجاء بها فوضعها بين يديه . فلما عاينها انحنى عليها بلبانه ، وألقى عليها بحرانه ، وجعل يركل برجليه ، ويحاحش بفخذيه عامداً ، ومدافعاً عنها . فصحت به لا عليك حكمها ، فجعل يقطع ويبلع ، ويوجر فاه ويدفع وعيناه تمضان ، كأنهما جمرتان ، وقد برزتا عن وجهه كأنهما حصيتان . وأنا أقول : على رسلك يا فلان ، البطنة تذهب الفطنة وهو يقول (أكلها دائم وظلها) حتى التهم جماهرها وألحق أولها بآخرها . وهبت منه

(١) تلمظ : أصل معناه أخرج لسانه ومسح به شفتيه .

ربع عقيم . أهبا لنا بالعذاب الأليم . وفرقتنا شذر مذر . وسربتنا فى كل شعب شغر بغر ، فانتحينا منه الطرفان ، وصدق الخبر فيه العيان . تفخ ذلك فبدد النعام . ونفح هذا فبدد الأنام . فلم نجتمع بعد هذا والسلام .

وله يصف جاريه :

أخت نعمة ، وربيبة نعمة . كأن شعرها على غرتها الغراء، غراب يسفد حمامة بيضاء . وكأن خدها على جيدها المشرق ، تفاحة قدم بها إبريق من راووق تكلمك بألحاظها . وتأسوك بألفاظها . تقابلك من خدها بوردة . ومن عينها بنرجسة . كأنما ثغرها من جوهر ، وشفتها خيط حرير أحمر . وتقبل إليك بقضيب بان ، ثمرته رمانتان . وتنفتل عليك بكفل مائج . كأنه كثيب عالج . تنطوى بقبطية ، وتقوم على أنبوب بردية . أن استقبلتها بركان . تضحك لك عن فلقة رمان أو يطحنك حبة أسد غرير . فيقبض روحك قبض أرواح المؤمنين . ويتوفاك نكد كالمفيه المشرف على المذاهب . ركبت فيه أخلاق كاعب . فإن كنت شافعيا سددتك . وإن كنت مالكياً قلدتك . المنظر غلام ، والمخبر فتاة . إن علوتها تدمعت إليك . أو علتك تداركت عليك . وإن أعطشك فراشها سقتك من سراب . إن شئت قلت حمرة أو رضاب . أو أجاعك عراكها أطعمتك من لسان . يصل إليك وصول الإيمان .

فتره فى غاية الملاحه ، ونضمه فى غاية الفصاحه

ومن شعره ما أنشده الشيخ أبو سعيد بن دوست عن الفقيه الوليد أبى بكر الأندلسى قوله [من الخفيف] :

قل لمن زاد إذ تباعد بعدا وتناسى عهدى ولم أنس عهدا

لا يغرنك ما ترى من ودادى فلعلى إن شئت غيرت ودا
لا وحق الهوى وحق ليالي ه ومن صاغ حسن وجهك فردا
ما أطيق الذى أدعيت ولو ملكته لم أكن لغيرك عبدا

وله [من الكامل] :

ما أطربت فوق الغصون حمامة ألا رأيت دموع عينى تسكب
وإذا الرياح تناوحت ألفيتنى بين الصبابة والأسى أتقلب
يا عاذلى فى الحب مهلا بالأذى لو كنت تعشق ما ظللت تؤنب
كم حاولت نفسى السلو فطالبت أسبابه جهداً فعز المطلب

* * *

غسان بن سعيد

قال من البسيط :

من خانه حسب فليطلب الأدبا فهيبه منته إن حل أو ذهبا
فاطلب لنفسك آدابا تعز بها كيما تسود بها من ملك الذهبا

* * *

محمد بن يحيى النحوى المعروف بقلفاط

قال [من الوافر] .

طوى عنى مودته غزال طوى قلبى على الأحزان طى
إذا ما قلت يسلاه فؤادى تجدد حبه فازددت عنا
أحبيه وأفديه بنفسى وذاك الوجه أهل أن يحب

وقوله [من الوافر] :

أيا طيفا سما وهنا إلينا لقد جددت نوعاى علينا
ألم مواصلا كأخى غرام سيذكر وصله ما دام حى

غزال لو رأى غيلان يوما محاسنه إذا أنساه ميا (١)

شهيد بن المفضل
عفا الله عنه

قال [من الكامل] :

كم ذا ترد عنان شوقك صابرا وأخو الصبابة لا يكون صبورا
فاخلع عذارك في هواه فربما كان المحب على الهوى معذورا
ما العز إلا أن تذل مع الهوى سمحاً عليه وإن ظللت أسيرا

* * *

منصور بن أبي الهول

قال [من مجزوء الرمل] :

كم إلى كم أتسلى ليس لي صبر ، أحل لا
بأبي أنت وأمي أترى قتلي حلا
حاش لله بأن أسلو عن الحب وكلا !

وأنشدني لبعض شعرائهم [من المتقارب] :

إسار الهوى لا إسار العدا هو التارك الحر مستعبدا
عبودية تؤيس الآملين له أن يباع وأن يفتدى
فليس له فرج يرتجيه من الأسر غير عنى الردى
فيا غصن بان إذا مامتى ويا بدر تم إذا ما بدا
ويا عارضا كلما أطمعت بوارقه زاد قلبي صدى
أسرت فهلا بحكم السكا ـ ـ قضيت بالمن أو بالفدى

(١) غيلان : هو ذو الرمة ، وميا : معشوقته

ولكن أبيت سوى قسوه يفوت بها قلبك الجلدا

* * *

غريب بن سعيد

أنشدنى له [من مجزوء الكامل] :

وجد دخيل واكتئاب وعراك شمل واقتراب
ما بين قلبي إذ نأيـــت وبين إخواني حجاب
فإذا خـــلا ولجت عليـــه همومه من كل باب
يا عاذلي لمـــا رأى دمع العيون له انسكاب
مالي على برح النوى حـلد فأقصر في العتاب

وله من المنسرح :

ألان يوم الفراق قسوه حتى جرى دمعه وما شعرا
نخلت ما بسال من مدامعه درا على وجنته منتثراً
لم يبك شوقا لكن بكى حزنا لهول يوم الفراق إذ حضرا
في مشهد لو أطاق شاهده فيه استتاراً لوجده استترا
أبى أساه وقيص أدمعه إلا اشتهارا في الحب فاشتهرا

وقوله [من الطويل]

أستودع الريح الجنوب تحيه إليكم تؤدي من سلامي ومن شكري
وكم بلغت ريح الشمال نسيمكم وأهدت إلينا منكم أطيب النشر
رعى الله أحبـ ألف شملهم بقرطبة بين الرصافة والقصر
هو صت من أنسي بهم وحشة النوى ومن قربهم قرب المهامه والقفر

إدريس بن الهيثم بن براق الكلاعى

قال [من الطويل] :

ولم أنسها يوم الوداع ومسحها ... بوادر دمع العين والعين تذرف
أفانين تجرى من دموع ومن دم ... على الخد منها تسهل وترعف
وتكرارنا نجوى الهوى ذات بيننا ... وكل إلى كل يلين ويعطف
حملنا هناك الهجر منا بجانب ... وللبين داع بالترحل يهتف
ولولا النوى لم نشك ضعفاً عن الأسى ... ومن يحمل الأشجان بالبين يضعف
فقلت كلانا مشتك من صبابة ... ولكننى عن حملها منك أضعف

قال : وحدثت أن إدريس بن الهيثم غنى بأبيات أولها ، من الطويل [:

ألا إنما أنسى إذا ما نأيتم ... بأقرب من لاقيته نكم عهدا
إذا حصلت روحى إليكم وفدأت ... على أرضكم ألقت على كبدى بردا
ويوحشنى قرب الحبيب وإنها ... لتأنس نفسى إن ذكرتكم فردا
وما كان قلبى إذ بدت صحرة ... فيبعو الهوى عنه ولا حجرا صلداً
فقد آن فقدانى لنفسى فلو أنى ... عليها حمام ما وجدت لها فقدا

محمد بن سعيد بن مخارق الأسدى

أنشدنى من أبيات من الوافر] :

يطل الدمع من جزع عليهم ... وقد كانوا يسح ويستهل
سأتبع إثرهم شوقا إليهم ... وأقتص المناهل حيث حلوا
فمالى أشتكى بالعين منهم ... كأنى بعض من زاد ورحل

قاضي الجماعة محمد بن يحيى بن يحيى

قال [من الرمل] :

نازح الدار نبا بي واغترب ورماه الدهر رشقا من كثب
بعدت عن دار ليلى داره وهو في حبل هواها مضطرب
فرجت نفسي أن تشفى بكم فرحة في الحب شيبت بكرب
كنت لي بدرا بدا في سجفه طلع البين عليه فغرب

* * *

أحمد بن نعيم

قال [من الخفيف] :

ليت أن الرياح إن نفد الصبر وشطت عن أرضها أوطاني
بلغتها تحيتي وسلامي وسلام الإله كل أوان

* * *

سعيد بن محمد بن العاص المرواني

قال يصف الهلال وأجاد [من الكامل] :

والبدر في جو السماء قد انطوى طرفاه حتى عاد مثل الزورق
فتراه من تحت المحاق كأنه غرق الكثير وبعضه لم يغرق

وهو مأخوذ من قول ابن المعتز [من الكامل] :

انظر إليه كزورق من فضة قد أثقلته حمولة من عنبر

وأنشدت له من الكامل :

رفعوا الهوادج للرحيل وأعتموا فغدت لبينهم المدامع تسجم
وسروا وأروقة الظلام تكنهم فكأنهم من تحت ذلك أنجم
واستكتموا بمسيرهم تحت الدجى فأبى نسيم المسك أن يستكتموا
ومن العجائب أنني متأخر عنهم وقلبي عندهم متقدم

وهى النوى لم يبق لى من بعدها غير الهواء نفحه أتنسم
وإذا الصبا أسرت أقول لعلها تلقاهم بحيق فبسلوا

عبد الله بن محمد بن عبيد الله بن حسان

أنشد له من الطويل :

نقد هاجنى للشوق نوح حمائم مطوقه من مشرقات الحمائم
وناحت وما أذرت دموعا وقد رأت عيونى تجرى بالدموع السواجم
يذكرنى الحسن الحسنها نوادب رجع الصدى فى المآتم

سعيد بن عباس

أنشد له من الوافر :

مسى من بحرعى موقف ويرجمنى بأحجار الظنون
يرصدنى ولا يرقى لما بى وينفى النوم ظلما عن جفونى

عمر بن يوسف الحنظلى

أنشد له من الكامل :

أو ميض برق أم سيوف بدت فى عارض أكنافه تتألق
ديم إذا درنت إليك وحوضها أضحت وحوه الأرض منها تشرق
رمى بأحداق الوميض كما انثنت أحفاف عاشقة إلى من تعشق

يحيى بن عباد البصرى

قال [من الطويل] :

إذا بارق هاج الفؤاد المعذبا فطرب طربا هائما فتطربا
نفسى بلاد رحت من نحو أرضها بعينى مشوق ما ألذ وأطيبا
بلاد بها قلبى رهين معذب وإن جلت فى الآفاق شرقا ومغربا

* * *

الغزال بن الحكم

أنشدت له [من الخفيف] .

ربع طبى لما ذكرت الديارا وتنورت بالنخيلات نارا
وازدهتنى ذات السنا بيروق من لظاها فما أطيق اصطبارا
والقريح الفؤاد يزداد للنا ر وميض السعر منها استعارا

* * *

يحيى بن زكريا بن شماس

قال [من الكامل] :

نعب الغراب ببينهم فتحملوا ونأى المحل بها فكيف تزار
نكروا وفى الأظعان يوم تحملو هن القصور تسكنها الأستار
صفر النحور من الصبير روادع بيض الثغور كواعب أبكار

* * *

الوزير أبو المظفر عبد الرحمن بن بدر

قال من المديد] :

أى طيف فى الكرى طرقا سام عينى الدمع والأرقا
أنا أفدى من بجنح دجى حاب فى ظلماته الطرقا

لى حظ فى زيارته لى لو أن السكرى صدقا

* * *

الديك النيرى مطرف بن محمود

قال [من الكامل] :

طرق الخيال فرحباً بالطارق فرت به فى النوم عين العاشق
طرق الخيال خيال ليلى موهنا رحلى ، فبات مضاجعى ومعانق
ومنى المشوق أخى الصبابة أن يرى وسنان أو يقظان وجه العاشق

أحمد بن إبراهيم بن قلزم

أنشدت له من الكامل :

هل تعتب الأيام منك بطرة تعدو بسراء على ضراء
لولا محاباة الخيال برقده من طيفها تطوى الردى حوباء
ما لست أيام النوى عادت كرى فأنال من طيف الحبيب شفاء

يربوع بن أسد المالقى

أنشدت له من السريع :

يا نأى طيف سرى موهنا ودونه حوب الفلا والقفار
أكرم به من راحل ذاهب يرعى نوى الدار وشحط المزار
لو أنه سابح إلمامه بطول مكث دائم أو قرار
لكنه هيج نار الأسى ثم تولى مؤاد مطار

الوزير أبو محمد غنائم المالقي

قال وأجاد [من البسيط] :

صبر فؤادك للمحبوب منزله ... سم الخياط مجال للمحبين
ولا تسامح بغيضا في معاملة ... فقلما تسع الدنيا بغيضين

غالب بن عبد الله بن عطية

أنشدت له [من الكامل] :

كيف الحياة ولي حبيب هاجر ... ماسي الفؤاد يسومني تعذيباً
لما درى أن الخيال مواصلي ... جعل السهاد على الجفون رقيبا

وله في عطش البحر [من السريع] :

إنا إلى الله لفي نائنا ... هم يذيب القلب إحراقه
يا عجباً مما دهاه به ... يسكن في الماء ونشتاقه

محمد بن أبي الحسن العروضي

قال من البسيط :

لم تطلع بدر التم أذكرني ... بدراً تطلع وهو من ي عطفي
بدر تطلع والآفاق مظلمة ... فانجاب إظلامها عن وجهه خسف
كم مهجة أدمت ألحاظ مقلته ... ومقله منعب لدمه لوس

* * *

إسماعيل بن إسحق المنادي

قال من الطويل

سلام على حسن أدير بحسه ... وأصعد من حر فؤاد وعبرة

سلام امرئ أودى الفراق بصبره ولج فأودى بالفؤاد ولبه
لعل الذى شت الجميع بنأيه سيجمعنا بعد الشتات بقربه
وما الأخ بالأخ الشفيق ، وإنما أخوك الذى يعطيك حبة قلبه

* * *

محمد بن وافد

أنشدت له | من الوافر :

كتابك هاج لى شوقاً عجيباً وأورثنى الصبابه والنحيبا
نعرب عن أحبته بحب فأصبح صبره عنه غريباً
فكيف صبره والقلب منه يكاد من الصبابة أن يذوبا

* * *

خلف بن أيوب

أنشدت له | من السريع :

والله لولا خطرات المنى ماطال يوما عمر أهل الهوى
وانأبى من ظلت من هجره مستشعراً ثوب الأسى والجوى

* * *

على بن أحمد الأندلسى

قال من الكامل | :

بيض كبض الهند فى أفعالها فلذاك قبل ظباً وقبل ظباء
وترى محاسنها ـ وفى كأنما نسرت عليها ونشيها صنعاء

يحيى بن الفضل

قال من الطويل]

وسفن تثير الريح منها عجاجة ... تظل مياه الأرض وهي صعيدها
بلوح كأمثال الشواهين حلقت ... على دهم خيل قد أثيرت صيودها
فللطير ما قد نثرته قلوعها ... وللحيل ما قد أظهرته قدودها

وقوله أيضاً [من مجزوء الكامل

لا تأس بوفاة من ... لم تنتفع بحياته
وليحز عندك ميتاً ... عزاء فعل بناته
فوفاته كحياته ... وحياته كوفاته

* * *

أبو بطال

أنشد له في العذار [من الطويل]

وعارض كافور تراه كأنما ... تدبه من خاصر المسك عقرب
تنزه عن لثم الخدود، وإنما ... يغوص على حب القلوب فيلسب[1]

وقوله من البسيط]

جمعت مالا فكر هل جمعت له ... يا جامع المال أواراً بمعرفه
المال عندك محزون لوارثه ... ما المال مالك إلا يوم تنفقه
إن القناعة من يحلل بساحتها ... لم يلق في طلبها هماً يؤرقه

وأنشد لبعض شعرائهم في العذار [من الكامل]

ومعذر نقش العذار بخده ... حداً له بدم القلوب مصرحا

---

(١) اللسب هو نزع الجلد والفراء

(٢) هو أحمد بن عبد ربه . وقد مر ذكر هذين البيتين في ترجمته . وهذه العبارة والبيتان معها لا وجود لها في ب

لما تيقن أن سيف حتوفه من نرجس حمل النجاد تنفسجا

القرشى المعروف بالفرج

أنشدت له [من الرمل]

رب كأس قد كسبت حنح الدجا وب برد من سناها يققا(١)
قلت أسقيها رسلاً فى حصه سه تورت عينى أرقا
أشرقت فى ناصع من حكمه كشعاع الشمس وافى الفلقا
حميت للعين حتى حلتها تتق من لحظه ما يتقى
أصبحت شمساً وفوه معرنا ويد الساقى المحيى مسرقا
فاذا ما عربت فى فه ركت فى الخد منه شفقا
حلع الورد على أرجائه وب وسى منه لما رقا

* * *

إدريس بن عبد الله بن عباد الليزى

أنشدت له من الطويل

غريب بأرض العرب مقطع الذكر صد من الأهلين فى بلد قفر
تذكر فى أهل الجزيرة أهله فهيجه طول التشوق والفكر
فصوب حمام فى الغصون كأنما يدس قتيلا أو يروى من الخمر
لتن كن ما تحتى لهن مدامع فكل غريب لدار دمعه تجرى

* * *

(١) اليقق الأبيض الشديد البياض

عثمان بن إبراهيم بن النضر

أنشدت له [من الطويل] :

ألا يا حمام الأيك مالك باكيا ... وغصنك نضر والجناب مريع
تغن ولا تنشج فإلفك حاضر ... قريب وإلف غائب وشسوع
بكيت بلا دمع وترفض مقلتي ... شآبيب منها في المصيف ربيع
وقلبك خلو من نبارح لوعتي ... وقلبي بلوعات الفراق صريع

* * *

المنصور بن أبي عامر

أنشدت له [من الطويل] :

ألم ترني بعت المقامة بالسرى ... ولين الحشايا بالخيول الضوامر
وبدلت بعد الزعفران وطيبه ... صدا الدرع من مستحكمات المسامر
فلا تحسبوا أني شغلت بلذة ... ولكن أطعت الله في كل كافر

الوليد بن الحكم

أنشدت له [من الطويل] :

إلى رجب أو غرة الشهر بعده ... توافيكم ببض المنايا وسودها
ثمانون ألفاً دين عثمان دينها ... تسردمه جبريل فيها يقودها

القاضي محمد بن عبد الله بن أيوب بن أبي عيسى

أنشدت له قوله من أبيات أولها [من الخفيف] :

لا تلمني على البكا والعويل ...
فعلت زفرتي وطال انتحابي ... وبدت لوعتي وهاج غليلي

ولنعم البلاد للنازح الأو ... طان دمع جرى برغم العدول
وقبيح صبر الخليل أخى الوجـ ... ـد عن الدمع عند ذكر الخليل
وبنفسى نائى المحل قريب ... من فؤاد صب وجسم نحيل
كان بينى وبينه البحر والقفـ ... ـر ووخدالسرى وطول الذميل
يا قليل الإنصاف فى الهجر مهلا ... إن وجدى عليك غير قليل

وقوله [من البسيط] :

بل ما ادكارك من ورق مغردة ... على قضيب بذات الهضب ميار
هيج الصبابة لولا همة شرفت ... فصيرت قلبه كالجندل القاسى

* * *

محمد بن فطيس

قال [من الكامل] :

ثكلتك أمك هل سمعت بخلداً ... أم هل رأيت مصححاً لم يسقم
أم هل رأيت من البرية ناشئاً ... نال الذى فى مـدة لم يهرم
ـدع الأمانى إنهـا مكذوبة ... واجعل دعاءك للسبيل الأقوم
أى أمرى يرجو البقاء وقد رأى ... آثار عاد فى البلاد وجرهم

* * *

أحمد بن عبد الله بن أحمد اللؤلؤى

قال [من الطويل] :

لئن غاب عن عينى وأعجز ناظرى ... لما غاب عن وهمى ولا زال عن فكرى
وتالله لو أستطيع ، محض مودة ، ... لأحللته قلبى وأسكنته صدرى(١)
أتتنى بصفو الود منه صحيفه ... تخبر عن ود وتنطق عن بر
تضمنها من جوهر الشعر حكمة ... بها سحرت من كاد ينفث بالسحر

(١) « محض مودة » هو مفعول لأجله عامله أحللته وما عطف عليه

يطول لها لفظ الذكى بلاغة ويقصر بالراوى لها طائل العمر

وقوله [من الرجز] :

أقبل فإن اليوم يوم دجن إلى محل كالضمير المكنى
ساكنه كطائر فى وكن نعلنا تعلم أدنى وفن
فى مجلس مزخرف ذى كن فأنت فى سنك دون سنى

* * *

أبو عثمان سعيد بن أحمد بن عبد ربه

أنشدت له [من الكامل] :

لما عدمت مواسيا وجليسا جالست بقراطا وجالينوسا
وجعلت كتبهما شفاء تفرجى وعما الشفاء لكل جرح يوسى

وقوله [من الطويل] :

أمن بعد غوصى فى علوم الحقائق وطول انبساطى فى مواهب خالق
ومن بعد إشرافى على ملكوته أرى طالبا شيئاً إلى غير رازقى
وقد آدبت نفسى بتقويض رحلها وأعنف فى سوقى إلى الموت سائقى
وإنى وإن أبقنت أو زعمت هاربا عن الموت فى الآفاق فالموت لاحقى

الحسن بن محمد بن بابل

قال [من الطويل] :

ألا ما لجسمى قد علاه شحوب وما بال قلبى ضامرته كروب
وما بال أحشائى توقد لوعة وما بال رأسى قد علاه مشيب
وما ذاك إلا أن رمتنى يد النوى وألقى فى أرجاء مصر غريب
أراعى نجوم الليل لا أنام الكرى كأنى على رعى النجوم رقيب

إذا ما دعوت الدمع يوماً أجابنى وإن رمت دعوى الصبر ليس يجيب
وإن رمت كتمان الذى فى من الأسى جرى هاطل من مقلتى سكوب
ألا ليت شعرى هل أرى الدهر منزلا تبوأه بعد الفراق حبيب
وهل أردن يوما مياه رصافة وهل يصفون لى عيشها ويطيب

* * *

عبد النصير بن أحمد

أنشدت له ما كتب به إلى بعض الرؤساء بديهة فى عيد الأضحى ، وكان عوده أن ينفذ إليه كبشاً لأضحيته فأبطأ عليه [من المديد] :

يا سليل الأكرمين ومن فضله فرض فما منه بد
أزف العيد وعودتم الكبش دارى والحبل معد
ولقد أبرزت مديتنا فهى من قبل الصباح تحد
خيمك الفضل وفد حكموا أنك الفرد ومالك ند

فأنفذ إليه ثلاثة أكبش وصلة واسعة

* * *

محمد بن أحمد العطار

أنشدت له من قصيدة يقول فيها من مدح المنصور بن أبى عامر الحاجب [من البسيط] :

يا حاجب الملك الأعلى الذى طفقت به الخلافه والأيام تبتسم
ومن به أمن الرحمن لدتنا من بعد أن فارقت ملكا لها العجم
وخامر المسلمين الذعر وانحسرت عنهم عوائد صنع الله والنعم
حتى إذا قنط الإسلام وابسطت أعداؤه واسبيحت منهم الحرم
هبت به ريح نصر الله عن كثب للدين واستيقظت من نومها الهمم

وجرد السيف فانحازت لسلته ... من الجسوم طلى الأعناق والقمم
إذا تبسم فالأموال عابسة ... أو صال ماتت له الأبطال والبهم
فأى بلدة شرك أمها فدما ... ولم يحل بها فى عقرها النقم ؟
بقيت للدين والدنيا تسوسهما ... ما حنت النيب أو ما أورق السلم (١)

* * *

موسى بن أحمد المعروف بالوتد

أنشد له يعارض العطار فى قصيدته الميميه ويرد عليها فيها [من البسيط] :

يا أيها المنتمى للعطر فدك فقد ... فدحت نيران بغى سوف تضطرم
زعمت أنك محسود على نعم ... أوليتها ومحال أنها نعم
هرب ذى نقم يعتدها نعما ... بجهله وهى إما حصلت نقم
قذفت أعراض قوم جاهلا بهم ... يا ظالماً وهم أعلام عصرهم
وقلت إنك قد فارقتهم وهم ... فى حيث قدرك إما حصلوا رخم
فما حماك اغتياب القوم فضلهم ... ولا تحرجت فيمن عرضه حرم
مدحت نفسك فاستنقصتهم سفهاً ... وما استزلك إلا فرط حلمهم
أقسمت بالله ما يرضى بفعلك من ... فيه حشاشة إيمان ولا كرم
ما حصحص الحق فيما قد أتيت به ... لكنها ظلمات فوقها ظلم
وعن قريب ستجنى عب ما غرست ... يداك فالبغى غرس طعمه وخم

* * *

حبيب بن أحمد الشاعر

أنشدت له من قصيدة يقول فيها فى ابن أبى عامر [من البسيط] :

لا ضيع الله للمنصور ما لكنا ... حوط الهدى وصلاح الدين بالنظر

---

(١) النيب : جمع ناب ، وهي الناقة المسنة ، سميت بذلك لكبر نابها ـ والسلم : من شجر البادية

فى كل يوم له فى المسلمين يد غراء تخبر عن أفعاله الغرر
فيا لها فرجة عمت طوالعها كما يعم ضياء الشمس والقمر
لازالت الأرض والدنيا بطاعته معمورتين إلى أقصى مدى العمر

* *

أبو على بن حسان الأسنجى

أنشدت له [من الكامل] :

تقلت نفسك بالذنوب ودونها جسر لعمرك ما تحير نهيلا
يا باغى الغرف التى قد عطلت ـ لو كنت تعقل ـ دينها تعطيلا
فاقصده إنك ميت ومشاهد يوما عليك من الحساب طويلا
تبغى مصانعها وأنت مسافر فلئن تناؤك إن أردت رحيلا

أبو محمد الباجى ، رحمه الله تعالى !

أنشدت له من الطويل :

إذا كنت لا أعفو عن الذنب من أخ وقلت أكافيه فأين التفاضل
ولكننى أغضى جفونى على القذى وأصفح عما رابنى وأجامل
متى أقطع الإخوان فى كل عثرة بقيت وحيداً ليس لى من أواصل
ولكن أداريه فإن صح سرنى وإن هو أعيا كان عنه التجامل

* * *

عبد الرحمن بن عمرو الحجرى

أنشدت له [من الكامل]

لما قدمت وقال بعض صحابتى قد جاء من علقت يمينك حبله

قالت ضمدة بيتها يم أبا إسحق سيدنا وقبل نعـــله
نفسي تعاود نيله الغمر الذي هو أهله وعسى به ولعله

* * *

عبد الملك بن خزيمة

قال [من البسيط] :

ابرز إلى الناس إن الناس في أسف إذ ليس بعدك للإسلام من خلف
وقد مضت لك أيام ثمانيه أشقى لها الناس من وجد على التلف
خوفاً لعلة حبر ليس يشبهه من البرية إلا خيرة السلف
أضحى الضلال بإرهيم متضعا وصار بالمسرف الدين دا ترف

أبو العباس المرداوي

أنشدت له [من المجتث] :

إذ رأيت لك اليو م يا كريما أجله
طفلا عليه حياء وفي الحيا الخير كله
سقيته الحلم لدنا والفرع يسقيه أصله
لا زلت أثني عليه دهري بما هو أهله
فبارك الله فيـــه وفي محـــل يحله

* * *

محمد بن وهيب البدسمي

أنشد له وقد حضر مجلس بعض الفقهاء ، وهو محتفل بسراة الناس ، وقد

حضروا لعقد نكاح ، فقال الفقيه لابن وهيب : لو أمكنا(١) عقد هـذا النكاح لشاركتنا فى الحسنة . فقال : نعم وكرامة . وكيف تريد ذلك : منثورا أو منظوما ؟ فقال له الفقيه : سبحان الله ! ويمكن نظم هذا والإنيان على فصوله ؟ قال لى : إى والله ، وإنه لأيسر على من نثره ، وإن أردت نظمته الآن بين يديك من أوله إلى آخره ، ولا أخليه من البسملة فى افتتاحه ، فقال : إذا أتيت بهذا أتيت بطامة . فقال له : هات كاتباً أملى عليه . فأحضره كاتباً فأملى عليه فى نسق نظما لم يتردد فيه ولا أبطأ كأنه يتلوه من كتاب حفظه ، وذكر الشروط والتاريخ على نصها فى الصداقات قديما . كل ذلك بحضرة من شهد المجلس . فهبت القوم لما رأوه وشاهدوه ، وأفرطوا أنه نسيج وحده وفريد دهره ، واستكثروا من الثناء عليه والمباهاة به . وقال له الفقيه : أمرك والله عجيب كاد لولا المشاهدة لم أصدقه

وركب إلى المنصور بن أبى عامر فأخبره بالمجلس وأراه الشعر . فعجب من ذلك ، وأمر بصلة جزيلة حملت إليه ، وكان عدة ما ارتجله ثلاثين بيتاً . وقد كتبت بعضها ، وإن لم نكن من بادر الشعر وبديعه ، وهى من الطويل :

لأصدق عبد الله نجل محمد ... فتى أموى روجه الكرم مريما
وأمهرها عشرين نحلا نصيبه ... دنانير يحويها أبوها مسلما
وأنكحها منه أبوها محمد ... سلالة إبراهيم من حى حتعما
وباق صداق الكر باق إلى مدى ... ثلاثة أعوام رمانا منمما
مؤخره عنه يؤدى جميعه ... إذا لم يكن عند الطلب معدما
ومن شرطها أن لا تكون مرحلا ... لها أبدا عن دارها أين يمما
وأن لا يرى حتما نسى نصيره ... يصرف فيه الدهر كما ولا فما

(١) كذا ، ولعله أمليا

وكان ابن وهيب هذا أحد أفراد زمانه . وكان إذا جلس ابن أبي عامر في الأعياد للشعراء وأذن لهم في الإنشاد على مراتبهم جلس ابن وهيب وبدأ بما يصنعه بديهة فلا تأتيه نوبته حتى يفرغ من قصيدته ويقوم وينشده ، وإن مداده لم يجف . وهذه مادة عظيمة .

أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي النحوي اللغوي

أحفظ أهل زمانه للإعراب والفقه واللغة والمعاني والنوادر . وله كتب مؤلفة منها اختصار كتاب العين . وكتاب طبقات النحويين واللغويين في الأندلس والمشرق من زمن أبي الأسود الدؤلي إلى زمن عبد الله الرياحي النحوي معلم الزبيدي . وله كتاب الأبنية في النحو ليس لأحد مثله . وكان الشعر أقل أدواته

فمما أنشدت له في تكذيب منجم [من المتقارب] :

يقول المنجم لي لا تسر ... فإنك إن سرت لاقيت ضرا
فإن كان يعلم أني أسير ... فقد جاء بالنهي لغوا وهجرا
وإن كان يجهل سيري فكيف ... يراني إذا سرت لاقيت شرا

وله في رثاء شيخه علي بن إسمعيل بن القاسم القالي البغدادي اللغوي قصيدة جزلة الألفاظ كثيرة الغريب . صاغها صوغ قول العرب ، وضمنها قطعة من غريب كلامهم . وهي قصيدة طويلة أولها [من السريع] :

تالله لا يبقى لصرف النوى ... ذو جسد في رأس بق ميف

وقوله في الزهد [من السريع] :

لو لم يكن نار ولا جنة ... سرا إلا أنه يعصى
لكان قبح واعظ زاجر ... أن لم تسمع أو يسمع

وقوله [من السريع] :

الفقر فى أوطاننا غربة والمال فى الغربة أوطان
والأرض شىء كلها واحد والناس جيران وأخوان

محمد بن يحيى بن يعقوب

أنشدت له قوله فى الزهد [من الوافر] :

لقد فاز الموفق للصواب وعاتب نفسه فيما العتاب
ومن شغل الفؤاد بحب مولى يجازى بالجزيل من الثواب
فذاك بنال عزاً لا يكعز من الدنيا يصير إلى الذهاب
تفكر فى الممات فمن قريب سادى بالرحيل إلى الحساب
وقدم ما ترجى النفع منه لدار الخلد واعمل بالكتاب
ولا تغتر بالدنيا فعما قريب سوف يؤذن بالخراب

الفقيه محمد بن عبد الله بن أبى ريمين

أنشدت له قوله فى الزهد من الخفيف :

أيها المرء إن دنياك بحر طافح موجه فلا تأمنها
وسبيل النجاه فيها مهيب وهو أخذ الكفاف والقوت منها

وقوله [من الطويل] :

حلى إن الذى بعلمانه زمان التصابى وانطلاق عنانه
شديد الأسى حر الجوى محرق الحشى فهل من مجير يخبر بأمانه
وأى مجير غير من قد عصته فما أسوى أن لم يعد بجنانه

وقوله [من الطويل] :

وذى حرق زادت به زفراته ... إذا ما سطت فى قلبه خطراته
له فى دجى الإظلام خلوة مخلص ... تذكره فيها الجحيم هناته
ويدفعه ذكر الوعيد إلى الأسى ... فتنهل من لوعانه عبراته
إذا ما نلا التنزيل وانكشفت له ... عجائبه زادت له عزماته
وإن لحظت عين اليقين معاده ... سقت حوفه من مائه لحظاته
بنفسى ولى أنه بمليكه ... وفى ذكره إصباحه وبيانه

وقوله [من الخفيف] :

أيها المرء لم تسرك دنيا ... أنت منها مرحل عن قريب
وإذا المرء لم يقصر خطاه ... فى أمانيه فهو غر لبيب

* * *

أحمد بن محمد بن عفيف

أنشدت له قوله من قصيدة يمدح فيها أمير المرية خيران ، أولها [من الكامل]

قف بالمطى على مغانى الدار ... لبس الوقوف على الرسوم بعار

يقول فيها :

أنت الذى أنقذتنا من بعدما ... كنا جميعا تحت جرف هار
ونهضت نحو المارقين بمحفل ... جم أولى عزم ودى اسنبصار
باعوا النفوس لنصر دين محمد ... فكأنهم فى الحرب أسد الزار

وفيها يصف أعداءهم :

كانوا رياحا للردى حين رموا ... من جيشك المنصور بالإعصار
الله أركسهم وفرق شملهم ... حتى أحلهم بدار بوار

محمد بن عمر بن عبد الله بن عبد العزيز
المعروف بابن القوطية

من أعلم أهل زمانه باللغة والعربية ، وأرواهم للأشعار والأخبار ، وكان — مع ذلك — حافظا للفقه والحديث ، من أهل النسك والزهادة ، وله كتاب فى الأفعال لم يسبقه أحد إلى مثله ، وكان أبو على البغدادى المعروف بالقالى يفضله ويعظمه . ويعرف حقه ويقدمه .

أخبرنى أبو سعيد بن دوست قال : أخبرنى الوليد بن بكر الفقيه أن يحيى ابن هذيل الشاعر زار يوما ابن القوطية فى ضيعة له ، فألفاه خارجا منها ، فاستبشر بلقائه ، وابتدأه ببيت حضره على البديهة فقال [من البسيط] :

من أين أقبلت يا من لاشبيه له ومن هو الشمس ، والدنيا له فلك

فأجابه مسرعا [من البسيط] :

من منزل يعجب النساك خلوته وفيه ستر على الفتاك إن فتكوا

قال ابن هذيل : فما تمالكت أن قبلت يده ، إذ كان شيخى وأستاذى ، وكان الشعر أقل صناعته لكثرة غرائبه : فمن بديعه قوله [من البسيط] :

ضحى أناخوا بوادى الطلح عيرهم فأوردوها عشاء أى إيراد
أكرم به وادياً حل الحبيب به ما بين رند وصمصاف وعرصاد(١)
يا واديا سار عنه الركب مرتحلا بالله هل أين سار الركب يا وادى
أنا لحى نزلوا أم باللوى عدلوا أم عنك قد رحلوا خلفا لميعادى
باتوا وقد أورثوا حسمى شدتهم سقما وقد قطعوا مالين أكبادى

* * *

(١) الرند : سحر طيب الرائحة ، والعرصاد هو المعروف فى بلادنا باسم التوت

أحمد بن محمد بن عبد ربه

أحد محاسن الأندلس علما وفضلا، وأدبا ونبلا ،وشعره فى نهاية الجزالة والحلاوة ، وعليه رونق البلاغة والطلاوة .

أنشدنى له أبو سعيد بن دوست قال : أنشدنى الوليد بن بكر لنفسه ، من الكامل ا :

يا من يجرد من بصيرته ... تحت الحوادث صارم العزم
رعت العدو فما مثلت له ... إلا تفزع منك فى الحلم
أضحى لك التدبير مطرداً ... مثل اطراد الفعل للاسم
رفع العدو إليك ناظره ... فرآك مطلعا مع النجم

وقوله [من الوافر] :

ومعترك تهس له المنايا ... دكور الهند فى أيدى ذكور
لوامع يبصر الأعمى سناها ... ويعمى دونها طرف البصير
وخافقة الدوائب قد أقامت ... على حمراء ذات شأ طرير
غموم تحتها عقبان موت ... تخطفت القلوب من الصدور
يوم راح فى سربال ليل ... كما عرف الأصيل من الكور
وعين الشمس تدنو فى قتام ... دنو الإلف ما بين الستور
فكم قصرت من عمر طويل ... به وأطلت من عمر قصير

وقوله ، من البسيط :

كم ألجم السيف من أبناء ملحمة ... ما منهم فوق ظهر الأرض ديار
فأورد النار من أرواح نارهه ... كادت تمير من غيظ بها النار
كأنما صال فى بني مقاصه ... مستأسد حنق الأحشاء هرار
لما رأى الفتنة العمياء قد دحمت ... مشى على الناس قاق وأقطار
وأطفأت ظلم من فوقها ظلم ... ما يستضاء بها ولا نار

قاد الجياد إلى الأعداء سارية ... قباً طواها كطى العصب إضمار
ملومة تنبارى فى ململمة ... كأنها لاعتدال الخلق أقمار
تفوت بالثأر أقواما وتدركه ... من آخرين إذا لم يدرك الثار
فانصاع ناصر دين الله يقدمهم ... وحوله من جنود الله أنصار
كتائب تنبارى حول رايته ... وجحفل كسواد الليل جرار

وقوله يصف الحرب [من الطويل] :

ومعترك ضنك تسافت كماته ... كؤوس المنايا من كلى ومفاصل
يديرونها راحاً من الراح بينهم ... بيض رقاق أو بسمر دوابل
وتسمعهم أم المنية وسطها ... غناء صهيل الخيل تحت المناصل

وقوله [من الطويل] :

بكل ردينى كأن سنانه ... شهاب بدا فى ظلمه الليل ساطع
تقاصرت الآجال فى طول متنه ... وعاد به الآمال وهى جوائع
وساءت ظنون الحرب فى حسن ظنه ... فهن ظنات للقلوب فوارع
وذى شطب تقضى المنايا بحكمه ... وليس لما تقضى المنيه دافع
فرند إذا ما اعترن للعين راكد ... وبرق إذا ما اهتز بالكف لامع
يسلل أرواح الكماة انسلاله ... ويرتاع منه الموت والموت راتع

وقوله [من السريع]

بكل منتور على متنه ... مثل سنا البرق اعتلى القاع
يرتد طرف العين عن حده ... عن كوكب الموت شعاع

وقوله [من الطويل] :

كريم على العلات حر عطاؤه ... مبين وفاؤه يعتمد نواله
وما الجود من يعطى إذا ما سألته ... ولكن من يعطى بغير سؤال

وقوله [من السريع] :

من يرتجى بعدك أو يتقى ... وفى يديك الجود والباس
إن عشت عاش الناس فى نعمة ... وإن تمت مات بك الناس

وقوله فى الشيب [من الوافر] :

شباب المرء تنفده الليالى ... وإن كانت تصير إلى نفاد
فأسوده يصير إلى بياض ... وأبيضه يعود الى سواد

وقوله [من البسيط] :

قالوا شبابك قد ولى فقلت لهم ... هل من جديد على كر الجديدين
صل من هويت وإن أبدى معاتبة ... فأطيب العيش وصل بين إنفين
واقطع حبائل خل لا يلائمه ... فربما ضاقت الدنيا على اثنين

وقوله يرثى ولده [من الكامل] :

ليت عظامك والأسى يتجدد ... والصبر ينفد والبكا لا ينفد
يا غائباً لا يرتجى لإيابه ... ولقائه حتى القيامة موعد
ما كان أحسن ملحداً ضمنته ... لو كان ضم أباك ثم الملحد
بالأس أسلو عنك لا بتجلدى ... هيهات أين من الحزين تجلد

وقوله يرثيه [من المنسرح] :

واكبدا قد تقطعت كبدى ... وأحرقته لواعج الكمد
ما مات حى لميت أسفاً ... أعذر من والد على ولد
يا رحمه الله جاورى جدثا ... دفنت فيه حشاشتى بيدى
ونورى ظلمه القبور على ... من لم يصل ظلمه إلى أحد
أى حسام أخذت رونقه ... وأى روح نزعت من جسدى

يا قمراً أجحف الخسوف به قبل طلوع السواء فى العدد(١)
أى حشى لم يذب له أسفاً؟ وأى عين عليه لم تجد ؟
لا صبر لى بعده ولا جلد فجعت بالصبر فيه والجلد
يا لوعه لا يزال لاعجها بقدح نار الأسى على كبدى

وقوله [من البسيط] :

لا بيت يسكن إلا فارق السكنا ولا امتلا مرحا إلا امتلا حزنا(٢)
فقفا على ميت مات السرور به لو كان حياً لأحيا الدين والسننا
واهاً عليك أبا بكر مرددة لو سكنت واهاً أو فترت شجنا
إذا ذكرتك يوماً قلت واحزنا وما يرد عليك القول واحزنا
يا سيدى ومزاج الروح فى بدنى هلا دنا الموت منى حيث منك دنا
يا أطيب الناس روحاً ضمه بدن أستودع الله ذاك الروح والبدنا
لو كنت أعطى به الدنيا معاوضة منه لما كانت الدنيا له ثمنا

وقوله فى التحبب إلى الناس [من الكامل] :

وجه عليه من الحياء سكينة ومحبة تجرى مع الأنفاس
وإذا أحب الله يوما عبده ألقى عليه محبة للناس

وقوله [من البسيط] :

لاغرو إن نال منك السقم ما سألا قد يكسف البدر أحياناً إذا كملا
ما تشتكى علة فى الدهر واجده إلا اشتكى الجود من وجدها عللا

(١) ليلة السواء هى ليلة أربع عشرة أو ثلاثة عشرة ، يريد أنه لم يكتمل
(٢) امتلا أصله امتلأ - بالهمز - خفف الهمزة بعلها ألفا لانفتاح ما قبلها ، وذلك فى مثل هذا موضع ضعيف فى العربية

وقوله [من البسيط] :

قالوا نأيت عن الإخوان قلت لهم ... ما لى أخ غير ما تحوى عليه يدى
دعنى أصن حر وجهى عن إذالته ... وإن تغربت عن أهلى وعن ولدى

وقوله [من الطويل] :

وأعذر من أدمى الجفون من البكا ... كريم رأى الدنيا بكف لئيم
أرى كل هدم قد نجح فى العنى ... وذو الظرف لا تلقاه غير عديم

وقوله فى الشيب [من الوافر] :

بدا وضح المشيب على عذارى ... وهل ليل يكون بلا نهار
وألبسنى النهى ثوبا جديداً ... وجردنى من الثوب المعار
مريت سواد ذا ببياض هذا ... فبدلت العمامة بالخمار
وما بعت الصبا بيعاً بشرط ... ولا استثنيت فيه بالخيار

وقوله فى الشباب [من الكامل] :

ولى الشباب وكنت سكن ظله ... فانظر لنفسك أى ظل تسكن
وانه المشيب عن الصبا لو أنه ... بدلى بحجته إلى من يعلن

وقوله فيه من المنسرح] :

كنت أليف الصبا فودعنى ... وداع من بان غير منصرف
أيام لهوى كطل أسجلة ... وإذ شبابى كروضة أنف

وقوله فيه [من الوافر] :

شبابى كيف صرت إلى نفاد ... وبدلت البياض من السواد ؟ !
وما أبقى الحوادث منك إلا ... كما أبقت من القمر الدآدى
فراقك عرف الأحزان قلبى ... وعرف بين عينى والرقاد
كأنك منك لم أربح بربح ... ولم أربد به أحلى مراد

سقى ذاك الربا وبل الثريا وغادى نبته صوب الغوادى
زمان كان فيه الرشد غياً وكان الغي فيه من رشادى
فكم لى من غليل فيك خاف وكم لى من عويل فيك بادى

وقوله [من البسط] :

فكرت فيك أبحر أنت أم فكر فقد تحير فكرى بين هذين
إن قلت بحر وجدت البحر منحسراً وبحر جودك ممتد العنانين
أو قلت بدر رأيت البدر منتقصا فقلت شتان ما بين اليزيدين

وقوله فى الزهد [من السريع] :

يا ويلتا من موقف ما به أخوف من أن يعدل الحاكم
أبارز الله بعصيانه وليس لى من دونه راحم
يا رب عفواً منك عن مذنب أسرف إلا أنه نادم

وقوله : من الوافر :

أتلهو بين باطية وزير وأنت من الهلاك على شفير(١)
فيامن غره أمل طويل به يردى إلى أجل قصير
أتفرح والمنية كل يوم تريك مكان قبرك فى القبور
هى الدنيا وإن سرتك يوماً فإن الحزن عاقبه السرور
سنسلب كل ما جمعت فيها بحاريه ترد إلى معير
وتعتاض اليقين من التظنى ودار الحق من دار الغرور

وقوله : من السريع] .

مدامع قد خددت فى الخدود وأعين مكحوله بالهجود
ومعشر أوعدهم ربهم فبادروا حشيه ذاك الوعيد

(١) الباطية : الجرة وأوانيها ، والزير : إناء الخمر

فهم عكوف فى محاريبهم يبكون من خوف عقاب المجيد
قد كاد أن يعشب من دمعهم ما قابلت أعينهم فى السجود

وقوله فى الغزل [من الطويل] :

أتقتلنى ظلما وتجحدنى قتلى وقد قام من عينيك لى شاهداعدل
أطلاب ذحلى ليس بى غير شادن بعينيه سحر فاطلبوا عنده ذحلى(١)
أغار على قلبى بعينيه شادن أطالبه فيه أغار على عقلى
بنفسى التى ضنت على بوصلها ولو سألت قتلى وهبت لها قتلى
إذا جئتها صدت حياء بوجهها فيعجبنى هجر ألذ من الوصل
كتمت الهوى جهدى فخره الأسى بماء البلا هذا يخط وذا يملى
وإن حكمت جارت على بحكمها ولكن ذلك الجور أحلى من العدل
وأحببت فيها العذل حباً لذكرها فلاشىء أشفى فى فؤادى من العذل
أقول لقلبى كلما ضامه الأسى إذا ما أبيت العز فاصبر على الذل
برأيك لا رأيى تعرضت للهوى وأمرك لا أمرى وفعلك لا فعلى
وجدت الهوى نصلا لموتى مغمدا فجردته ثم اتكيت على النصل
فإن كنت مقتولا على غير ريبة فأنت الذى عرضت نفسك للقتل

وقوله . وهو من دقيق التشبيه وحسن النسيب [من الكامل] :

حوراء راعتها النوى فى حور حكمت لواحظها على المقدور
طرت إليك بعقلى أدمانة وبلفتت بسوالف اليعفور
وكأنما غاص الأسى بجفونها حتى أتاك بلؤلؤ منثور

وقوله [من الكامل] :

أدعو إليك فلا دعاء يسمع بمن يصر بناظريه ويسفع

(١) الذحل : الثأر

للورد حين ليس يطلع دونه والورد عندك كل حين يطلع
من لى بأحور ما يبين لسانه خجلا وسيف جفونه لا يقطع
منع الكلام سوى إشارة مقلة منها يكلمنى وعنها يسمع

وقوله [من الطويل] :

جمال يفوت الوهم فى غاية الفكر وطرف إذا ما فاه ينطق بالسحر
ووجه أعار البدر ذلة حاسد فمنه الذى يسود فى صفحة البدر

وقوله فى النحول [من الكامل] :

لم يبق من جثمانه إلا حشاشة مبتئس
قد رق حتى ما يرى بل ذاب حتى ما يحس

وقوله فى البين [من الوافر] :

فررت من اللقاء إلى العراق لحسبى ما لقيت وما ألاقى
سقانى البين كأس الموت صرفا وما ظنى أموت بكف ساقى
فيا برد اللقاء على فؤادى أجرنى اليوم من حر الفراق

وقوله فى نوح الحمام [من الطويل] :

ويهتاج قلبى كلما كان ساكنا دعاء حمام لم يبت يوكرون
وإن ارتياحى من بكاء حمامة كذى شجن داويته بشجون
كأن حمام الأيك لما تجاوبت حزين بكى من رحمة لحزين

وقوله فيه من الطويل :

أناحت حمامات اللوى أم تغنت فأبدت نواعى قلبه ما أجنت
فديت التى كانت ولا شىء غيرها هى النفس أو يقضى لها ما تمنت

وقوله فيه من الطويل [:

لقد سجعت فى جنح ليل حمامه فأى أسى هاجت على الهائم الصب

لك الويل بل هيجت تجوى بلا جوى وشكوى بلا شكوى وكربا بلا كرب
وأسكبت دمعا من جفون مسهد وما رقرقت منك المدامع بالسكب

وقوله فى الرياض [من الطويل] :

ومارضة بالحزن حاك لها الندى برودا من الموشى حمر الشقائق
يقيم الدجى أعناقها ويميلها شعاع الضحى المستن فى كل شارق
إذا ضاحكتها الشمس تبكى بأعين مكللة الأجفان صفر الحدائق
حكت أرضها لون السماء وزانها نجوم كأمثال النجوم الخوافق
بأطيب نشرا من خلائقك التى لها خضعت فى الحسن زهر الخلائق

وقوله فى التضمين [من الطويل] .

وروضة ورد حف بالسوسن الغض تحلت بلون السام والذهب المحض
رأيت بها بدرا على الأرض ماشيا ولم أر بدرا قط يمشى الأرض
إلى مثله تصبو إذا كنت صابيا فقد كاد منه البعض يصبو إلى البعض
وقل للذى يهوى الفؤاد بحبه على أنه يجزى المحبه بالبغض
أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشر أهون من بعض .

وقوله [من الطويل] :

وحاملة راحا على راحه البد مورده تسعى بلون مورد
سبى مارى الإبريق للكأس راكعا تصل له من غير طهر وتسجد
على باسمى كاللجين وعرجس كأقراص در فى قضيب زبرجد
تلك وهذى فاله يومك كله وعها فسل لا تسأل الناس عن غد
وسندى لك الأيام ما كنت جاهلا وأنبيك بالأخبار من لم تزود .

وقوله من الطويل] :

أيقتلنى دائى وأنت طبيبى هو الوهل من لا يرى بقريب

لئن خنت عهدى إنى خير خائن وأى عجب خان عهد حبيب
وساحبة فضل الذيول كأنها قضيب من الريحان فوق كثيب
إذا برزت من خدرها قال صاحبى أطعنى وخذ من حظها بنصيب
« فما كل ذى لب بمؤتيك نصحه وما كل مؤت نصحه بلبيب »

وقوله [من المديد] :

يا طويل الهجر لا بس وصلى واشتمالى بك عن كل شغل
يا ملالا فوق جيد غزال وفضيلا فوق دعصة رمل

وقوله [من المديد] :

يا وميض البرق بين العمام لا عليها بل عليك السلام
إن فى الأحداج مقصورة وجهها يهتك ستر الظلام
نحسب الهجر حلالا لها وترى الوصل عليها حرام
ما تأسبك لدار خلت ولشعب شت بعد التئام
إنما ذكرك ما قد مضى صلة مثل حديث المنام

وقوله [من المديد] :

يا عاتبا صرت له عاتبا رب مطلوب غدا طالبا (١)
من يتب عن حب معشوقه لست عن حبى له تائبا
عاطونى لى قدر عالب كيف أعصى الصدر العالبا
ساكن القلب ومن حله أصبح القلب به ذاهبا

وقوله [من المديد] :

أى صباح ورمان تحيى من حوض ريحان
أى ورد فوق خد مسدراً فوق سوسان

(١) زاد فى أول هذا البيت سماحقيه . وهذه الزيادة لغة عند أهل العروض

وثن يعبـــد فى خلوة صيغ من در ومرجان
من رأى الذلفاء فى خلوة لم ير الحد عـــلى الزانى
« إنمـــا الذلفاء ياقوتة أخرجت من كيس دهقان »

وقوله [من المديد] :

من عجب شفه سقمه وتلاشى لحمـــه ودمه
كاتب حنت صحيفته وبكى من رحمة قلمه
يرفع الشـكوى إلى قمر تنجلى عن وجهه ظلمه
خل عقـــلى يا مسفهه إن عقـلى لست أتهمه
« للفتى عقـل يعيش به حيث تهدى ساقه قدمه »

وقوله [من المديد] :

زادنى لومك إصرارا إن لى فى الحب أنصارا
طار قلبى من هوى رشأ لو رثى للقلب ما طارا
خذ بكفى لا أمت غرقا إن بحر الحب قـد غارا
أنضجت نار الهوى كبدى ودموعى تطفئ النارا
« رب نار بت أرمقها تقضم الهندى والغارا »[1]

وقوله [من البسيط] :

يا ليـلة كان فى ظلمائها نور إلا وجوهاً تضاهيها الدنانير
حور سفتنى كأس الموت أعينها ماذا سقتنى تلك الأعين الحور
إذا ابتسمن فدر الثغر منتظم وإن نطقن فدر اللفظ منثور
حل الصاعنك واختم بالتى عملا فان خاتمة الأعمال تكفير
« والخير والشر مقرونان فى قرن فالخير متتبع والشر محذور

(١) الهندى والغار : نوعان من الطيب يتبخر بهما .

وقوله [من البسيط] :

يا طالبا فى الحب ما لا ينال ... وسائلا لم يعف ذل السؤال
ولت ليالى الصبا محمودة ... لو أنها ترجع تلك الليالى
وأعقبتك التى أوصلتها ... بالهجر لما رأت شيب القذال
لا تلتمس وصلة من مخلف ... ولا تكن طالبا ما لا ينال
« يا صاح قد أخلفت أسماء ما ... كانت تمنيك من حسن وصال »

وقوله [من البسيط] :

ظالمتى فى الحب لا تظلمى ... فتصرمى حبل من لم يصرم
أهكذا باطلا عاقبتنى ... لا يرحم الله من لم يرحم
قتلت نفساً بلا نفس وما ... ذنب بأعظم من سفك الدم
لمثل هذا بكت عينى لا ... للمنزل القفر ولا للرسم
« ماذا وقوفى على رسم عفا ... مخاولق دارس مستعجم »

وقوله [من مخلع البسيط] :

ما أقرب اليأس من رجائى ... وأبعد الصبر من بكائى
يا مذكى النار فى جوائى ... أنت دوائى وأنت دائى
من لى بمخلفة وعدها ... تخلط لى اليأس بالرجاء
سألتها حاجة فلم تفه ... لى بنعم لا ولا بلاء
قلت استجيبى فلما لم تجب ... فاضت دموعى على ردائى
كآية الذل فى كتابى ... ونخوة العز فى الجواء

وله فيه [من مخلع البسيط] :

قتلت نفساً بغير نفس ... فكيف تنجو من العذاب
خلقت من بهجة وطيب ... إذ خلق الناس من تراب

ولت حميا الشباب عنى فلهف نفسى على الشباب
أصبحت والشيب قد علانى يدعو حثيثاً إلى الخضاب

وقوله ، من الوافر :

تجافى النوم بعدك عن جفونى ولكن ليس تحفوها الدموع
يطير إليك من شوق فؤادى ولكن ليس تتركه الضلوع
كأن الشمس لما غبت غابت فليس لها على الدنيا طلوع
يذكرنى بسمك الأقاحى ويحكى لى توردك الربيع
فما لى من تذكرك امتناع ودون لقائك الحصن المنيع
« إذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع »

وقوله [من الكامل] :

حال الزمان له فبدل حالا وكسا المشيب مفارقا وقذالا
غابت غوانى الحى عنك وربما طلعت إليك أكلة وحجالا
أضحى عليك حلالهن محرما ولقد تكون حرامهن حلالا
إن الكواعب إن رأينك طاوياً وصل الشباب طوين عنك وصالا
« وإذا دعونك عمهن فإنه نسب يزيدك عندهن جمالا »

وقوله [من مجزوء الكامل] :

هتك الحجاب عن الضمائر طرف به بلى السرائر
رنو فيمتحن القلو ب كأنه فى القلب ناظر
يا ساحراً ما كنت أعـ ـرف قبله فى الناس ساحر
أقصيتنى من بعد ما أدنيتنى فالقلب طائر
« وغررتنى وزعمت أنـ ـك لابن فى الصيف تامر »

وقوله [من مجزوء الكامل] :

يا مقلة الرشأ العـــريـــر وسقـه القمر المنير
ما رنقت عينـاك لى بين الأكلـــة والستور
إلا وضعت يدى على كبدى مخافة أن تطير
هى كبعض حمام مكـــه واستمع قول النذير
. أبى لا تظـلم مكـــه لا الصغر ولا الكبير .

وقوله [من مجزوء الكامل]

هل ما بدا لك واعمـل واقطع حبالك أوصل
هـــذا الربيع فيـــه وانزل بأكرم منزل
وصل الذى هو واصـل وإذا كرهت تبـــدل
وإذا مـا لك مـــرزء أو مسكن فتحول
. وإذا افتقرت فلا تكن منحتـه وتحمل

وقوله [من مجزوء الكامل] :

يا دهـــر مالى بصنك وأنت عـــبر موالى
جرعى غصصاً بهـــا كدرت على حيائى
أين الذين تسابقوا فى المجـــد للغايات
هوم بهم روح الحيا ة برد فى الأموات
وإذا هم ذكروا الإسـ ـة أكثروا بحساب

وقوله فيه من الهزج

مى اشتو غلـــلى بين من حسن
عذارى ليس لى منه سوى حزن الطوى
حجاب الصم فيه من حسود أو عـــذول

جميل الوجه أخلاق من الصبر الجميل
« وما ظهرى لباغى الضيـ ـم بالظهر الذلول »

وقوله [من الرجز] :

لم أدر جنى سبانى أم بشر أم شمس ظهر أشرفت لى أم قمر
أم ناظر يهدى المنايا طرفه حتى كأن الموت فيه فى النظر
ويحى قتيلا ما له من قاتل إلا سهام الطرف ريشت بالحور
مابال رسم الوصل أضحى دارسا حتى لقد أذكرنى ما قد دثر
« دار لسلمى إذ سلمى جارة قفر ترى آياتها مثل الزبر »

وقوله [من الرجز] :

قلب بلوعات الهوى معمود حى كميت حاضر مفقود
ماذقت طعم الموت فى كأس الرجا حتى سقتنيه الظباء الغيد
من ذا يداوى القلب من داء الهوى إذ لا دواء للقضى موجود
أم كيف أسلو غاده ما حبها إلا قضاء ما له مردود
« القلب منها مستريح سالم والقلب منى شاهد مجهود »

وقوله [من الرجز] :

يا أيها المشغوف بالحب التعب كم أنت فى تعريب مالا يقترب
دع ود من لا يرعوى إذا غضب ومن إذا عاتبته يوما عتب
« إنك لا تجنى من الشوك العنب »

وقوله [من الرمل] :

أنا فى اللذات ممنوع العذا ـر هائم فى حب ظبى ذى حوار
صفره فى خصره فى خده جمعت روضه ورد وبهار
بأبى طارقة الليـ ـل أفبلت تثنى من خجل وسوار

قادنى قلبى وطرفى للهوى كيف من قلبى ومن طرفى حذارى
« لو بغير الماء حلقى شرق كنت كالغصان بالماء اعتصارى »

وقوله [من الرمل] :

يامدير الصدغ بالخد الأسيل ومجيل السحر بالطرف الكحيل
هب محزون كئيب نظرة منك يشفى بردها حر الغليل
وقليل ذاك إلا أنه ليس من مثلك عندى بالقليل
تأتى أحور غنى موهنا بغناء قصر الليل الطويل
« يا بى الصيداء ردوا فرسى إنما يفعل هذا بالذليل »

وله من الرمل [:

شادن يسحب أذيال الطرب يثنى ما بين غو ولعب
بجبين مصرغ من فضة فوق خد مشرب لون الذهب
كتب الدمع بخدى عهده للهوى والشوق يملى ما كتب
يا لجهلى ما أراه ذاهباً وسواد الرأس منى قد ذهب
« قالت الحسناء لما جئتها شاب بعدى رأس هذا واشتهب »

وقوله [من الرمل] :

يا هلالا فى تجليه وقضباً فى تثنيه
والذى لست أسميه ولكى أكنيه
شادن ما بدر العين تراه من تلالله
كلما قابلها شخص رأى صورته فيه
لان حتى لو مشى الذر عليه كاد يدميه

وقوله من الرمل [:

يا هلالا قد بدى لى فى سحاب من حرير

وأمرأ سهـــواه قاهراً كل أمير
ما لخديك استعارا حمـــره الورد المنير
ورسوم الوصل هدأتـــــها نوب الدثور

وقوله [من السريع]

أنت بما في نفسه أعلم فاحكم بما شئت فيه تحكم
ألحاظه في الحب قد هتكت مكتومه والحب لا يكتم
يا مقلتي وحشـــيه قتلت نفساً بلا بأس ولا بأس
قالت تسليت فقلنا لها ما قال قيلي عاشق مغرم
« يا أيها الزاري على عمر قد قلت فيه غير ما نعلم »

وقوله [من السريع] :

ويحي قتيلا ما له من عقل من شادن بهر مقل النصل[1]
يكحل ما مسه من كحل لا تعذلاني إنني في شغل
« يا صاحبي رحلي أقلا عذلي »

وقوله فيه [من المنسرح] :

بيضاء مضمومه مفرطفه تنفد عن بدهها فراطقها
كأنما بات ناعما خجلا في حلة الخلد من يعانقها
وأي شيء ألذ من أمل بالله معشـــوقه وعاشقها
دعي أمت في هوى مخدرة تعلق نفسي بها علائقها
«من لم يمت غصة يمت هرما الموت كأس والمرء ذائقها »

(١) العقل : الدية ، سميت بذلك لأنهم كانوا يؤخذ من الابل . وكان هو القاتل يحيلون بها فيعقلونه فناه دار القتيل

وقوله [من الخفيف] :

أنت دائى وفى يديك شفائى ... يا دوائى من الهوى وشفائى
إن قلبى يحب من لا أسمى ... فى عناء أعظم به من عناء
كيف لا كيف أن ألذ بعيش ... مات صبرى به ومات عزائى
أيها اللائمون ماذا عليكم ... أن تعيشوا وأن أموت بدائى
« ليس من مات فاستراح بميت ... إنما الميت مت الأحياء »

وقوله [من الخفيف] :

ذات دل وشاحها قلق ... من ضمور وحجلها سرق
برت الشمس نورها وحباها ... لحظ عينيه شادن حدق
دهب خدها يذوب حياء ... وسوى ذاك كله ورق
إن أمت ميتة المحبين [يوما] ... وفؤادى من الهوى حرق
فلمثلى ما بين غاد وسار ... كل حى برهنها علق

وقوله [من مجزوء الخفيف] :

أشرقت لى بدور فى ظلام تسير
طار قلبى لحسنها من لقلب يطير !
يا بدور أنا بها الدهر عان [أسير] (١)
إن رضيتم بأن أمو ت فوقى حقير (٢)
كل حظ ما لم نكو نوا غضبتم نسير

وقوله [من المقتضب] :

يا ملحة الدعج هل لديك من فرج
أم زال عاطلتى الدلال والغنج

(١) فى ، ب ، د : الدهر عان وأسير ، والورن يختل عليه
(٢) فى ، ب ، د : فوقى حقر ، والوزن لا يستقيم

من لحسن وجهك من ... سوء فعلك السمج
عاذلى ويحكما ... قد غرقت فى لجج
هل علىّ ويحكما ... إن لمت من حرج

وقوله من المتقارب :

أأحرم منك الرضى ... وتذكر ما قد مضى
وتعرض عن هائم ... أبى عنك أن يعرضا
قضى الله بالحب لى ... فصبراً على ما قضى
رميت فؤادى فما ... تركت به منهضا
وفوسك نعرانة ... ونبلك جر الغضا

وقوله [من الطويل] :

وأزهر كالعيوق يسمى بأزهر ... لنا منه داء وهو برء من الداء
ألا بأبى صدغ حكى العين فتنه ... وشارب مسك قد حكى عطفة الراء
فما السحر ما يعزى إلى أرض بابل ... ولكن فتور اللحظ من طرف حوراء
وكيف أدارت مذهب اللون أصفرا ... عذبة فى راحة الكف صفراء

وقوله من الطويل :

معذبتى رفقاً بقلب معذب ... وإن كان يرضيك العذاب فعذبى
لعمرى لقد باعدت غير مباعد ... كما أننى قربت غير مقرب
شمسى بدر أخمد البدر نوره ... وشمس متى تطلع إلى الشمس تغرب
لو أن امرأ القيس بن حجر بدت له ... لما قال « مرابى على أم جندب »

وقوله من الطويل :

محب سوى كشحا على الزفرات ... وإنسان عين خاض فى العبرات
فيا من بعينه سقامى وصحتى ... ومن فى يديه ميتتى وحياتى
بحبك ما أثمرت الهموم صبابة ... كأنى بها برء وهن لدانى

تهدى أرض للهموم ومقلتى سماء لهـــا تنهل بالعبرات

وقوله [من المديد] :

طلق اللهو فؤادى ثلاثاً لا ارتجاع لى بعد الثلاث
وبياض فى سواد عذارى بدل التشييب لى بالمراث
غير أنى لا أطيق اصطبارا وأرانى صائراً لانتكاثى
بإناث فى صفات ذكور وذكور فى صفات إناث

وقوله [من المديد] :

صدعت قلبي صدع الزجاج ماله من حيلة أو علاج
مزجت روحى ألحاظها فالهوى منى لروحى مزاج
ياقضيباً فوق دعص النقا وكثيبا تحت تمثال عاج
أنت نورى فى سواد الدجا وسراجى عند فقد السراج

وقوله [من المديد] :

مستهام دمعـــه سافح بين جفنيه هوى قادح
كلما أم سبيل الهوى قاده السافح والنازح
حل فيما بين أعـــدائه وهو عن أحبابه نازح
أيها القادح نار الهوى أصلها يا أيها القادح

وقوله [من المديد] :

عاد منها كل مطبوخ عصير داذى ومفضوخ(١)
فاعتقد من ود أهل الحجى كل ود غير مشدوخ
وانتشق ريالك من ملتق شارب بالمسك ملطوخ
إن فى العلم وآثاره ناسخاً من بعد منسوخ

(١) الداذى شراب الفساق . والمفضوخ . عصير القصب .

وقوله [من المديد] :

يا مجال الروح من جسدى والذى يفتر عن برد
وفريد الحسن واحده منتهاه منتهى العدد
خذ بكفى إننى غرق فى بحار جمة المدد
ورياح الهجر قد هدمت ما أقام الصبر من أودى

وقوله [من المديد] :

أذكرت من طيرناباذ قفرى الكرخ فبغداذ
قهوة ليست ببارقة لا . بتع ولا داذى(١)
مرة يهذى الحليم بها بأبى ذلك من هاذى
فهى أستاذ الشراب معاً والمعانى دأب أستاذ

وقوله [من البسيط] :

نور تولد من شمس ومن قمر فى طرفه سقم أمضى من القدر
أصلى فؤادى بلا ذنب جوى حرق لم يبق من مهجتى شيئاً ولم يذر
لا والرحيق المصفى من مراشفه وما تخدبه من حال ومن ضرر
ما أنصف الحب قلبى فى حكومته ولا عفا الشوق عنى غير معتذر

وقوله من البسيط :

خرجت أجتار قمراً غير مجتاز فصادفى أتبل العينين كالبدر
صغر عنى أنه صغر لوالبه ذا فوق نعل وهذا فوق فقار
كم موعد لى من ألحاظ مقلته لو أنه موعد يقضى بإنجاز
أبكى ويضحك منى طرفه هزؤا نعمى العداء لذاك الضاحك الهازى

---

(١) البتع : نبيذ يتخذ من العسل . ووضع فى ا ، ب « ولا بتع ولا اداذى »

وقوله [من البسيط] :

يا غصنا مائسا بين الرباط ... مالى من بعد بالعيش اغتباط(١)
يا من إذا ما ابتدى ماشيا ... وددت أن له خدى بساط(٢)
تترك عيناه من يبصره ... مختلط اللبسة كل اختلاط
قلت متى نلتقى يا سيدى ... قال غدا نلتقى عند الصراط

وقوله [من البسيط] :

يا ساحرا طرفه إذ يلحظ ... وفاتنا لفظه إذ يلفظ
يا غصنا ينثنى من لينه ... وجهك من كل عين يحفظ
أيقظنى إذ جانى من نفسه ... من طرفه ناعس مستيقظ
ظبى له وجنة من رقة ... تجرحها مقلة من يلحظ

وقوله من البسيط

يا من دمى دونه مسموكه ... وكل سر له ملوك
كأنه فضه مسبوكة ... أو ذهب خالص مسبوك
ما أطيب العيش لولا أنه ... عن عاجل كله متروك
والخير مسدودة أبوابه ... ولا طريق له مسلوك

وقوله من البسيط [:

إليك يا غرة الهلال ... وبدعه الحسن والجمال
مددت كفا بها انقباض ... وأين كفى من الهلال
شكوت ما بى إليك وجدا ... فلم ترق ولم تبالى
أعاضك الله من غريب ... حالا من السقم بعد حالى

وقوله من الوافر [:

(١) فى ا ، ب * ما لى من بعدك بالعيش اعتباط * ولا يستقيم به الوزن
(٢) فى ا ، ب * وددت لو أن له خدى بساط * ولا يستقيم عليه الوزن

بنفسي من مراشفه مدام ومن لحظات مقلته سهام
ومن هو إن بدا والبدر تم صبا من حسنه البدر التمام
أقول له وقد أبدى صدوداً فلا لفظ إلى ولا ابتسام
تكلم ليس يوجعك الكلام ولا يمحو محاسنك السلام

وقوله [من الوافر] :

سلبت الروح من بدني وصمت القلب بالحزن
فلي بدن بلا روح ولي روح بلا بدن
فررت مع الردى نفسي فنفسي وهو في قرن
قلبت السحر من عينيك لم أرد ولم يرني

وقوله من الوافر] :

غزال من بني العاص أحس صوت فناص
فأتلع جيده حذرا وأشخص أي إشخاص
أيا من أخلصت نفسي هواه كل إخلاص
أطاعك من صبر القلب عفوا كل معناص

وقوله [من الكامل] :

في الكله الصفراء ريم أبيض تشوى القلوب بمقلتيه ويمرض
لما غدا بين الحلول مقوضا كاد الفؤاد عن الحياة يقوض
صد الكرى عن جفن عينك معرضا لما رآه يصد عنك ويعرض

وقوله [من الكامل] :

أوحت إليك جفونها بوداع خود بدت لك من وراء قناع
بيضاء ما باهى النعيم بصفرة فكأنها شمس بغير شعاع
أما الشباب فودعت أيامه ووداعهن موكل بوداعي
لله أيام الصبا لو أنها كرت على بلده وسماع

وقوله [من الكامل] :

أسقى إليك بكأسه مصفى صلت الجبين معقرب الصدغ(١)
كأس تولد بالمحة بيننا طوراً وتنزغ أيما نزغ(٢)
فى روضة درجت بزهرتها الصبا والشمس فى درج من الفرغ
واشرب بكف أغن عقرب صدغه للقلب منك عميقة اللدغ

وقوله [من الكامل] :

يا دمية لبست بمعتكف بل ظبية أوفت على شرف
بل درة زهراء ما سكنت بحراً ولا درا من الصدف
أسرفت فى قتلى بلا ترة وسمعت قول الله فى السرف
إنى أتوب إليك معترفاً إن كنت تقبل قول معترف

وقوله [من الكامل] :

يا فتنة بعثت على الخلق ما بينها والموت من فرق
شمس بدت لك فى مغاربها يفتر مبسمها عن البرق
ما كنت أدرى قبل رؤيتها للشمس مطلعاً سوى الشرق
يا من يضن بفضل نائله لو فى يديك مفاتح الرزق

وقوله [من الكامل] :

طلعت له والليل دامس شمس تجلت فى حنادس
تختال فى صفر المحا سد بين حارسة وحارس
يا من لبهجة وجهه بستأسر البطل الممارس
لم يبق من قلبى سوى رسم تغير فهو دارس

(١) الصلت : الواضح والبارز المستوى
(٢) النزغ : الافساد بين الناس

وقوله [من الكامل] :

دع قول واشية وواتى واجعلهما كلى هراش
واشرب معتقة تسا سل فى العظام وفى المحاش
حتى ترى العود المسن بها أرق من الحشاش(١)

وقوله [من الكامل] :

ألحاظ عين تنتهى فى روض ورد تزدهى
رتعت بها وتنزهت منها بأى بنزه
يا أيها الخنث المخفو ن بخسوة وتكره(٢)
والمكتفى عجباً أما نزق لأشعث أمره

وقوله [من الكامل] :

أطفت شرارة لهوى ولوت نشره عدوى
شعل علون مفارق ومضت ببهجه سروى
لما تشككت عروضها دهب الزحاف تحزوى
يا أيها الشادى صه ليست ساعة شدو

وقوله [من المزج] :

ألا يا ريم قسلى لا تساب العمر إد ولى
حملت الغى سربالى وكان الرشد فى أولى
تعسى حائر فى الحك م يلق جوره عدلا
وليس التنهد فى فيه أحلى عنده من لا

(١) العود : الجمل المسن . والحشاش : حشرات الأرض
(٢) الخنث : الذى فيه تكسر ولين

وقوله [من المزج] :

هنا تفنى فواق الشـ ـمر فى هذا الروى
فواف ألبست حلياً من الحسلى الروى
تعالت عن جرير بل زهير بل عـدى

* * *

وأنشدت لأبى عمرو يوسف بن هرون الأندلسى المعروف بأبى سبيح يمدح أبا على إسماعيل بن القاسم البغدادى القالى ، من قصيدة أولها [من الكامل]

من حاكم يبقى وبين عـذولى الشجو شجوى والعويل عويلى
فى أى جارحة أصون معذبى سلمت من التعذيب والتنكيل
إن قلت فى بصرى فثم مدامعى أو قلت فى كبدى فثم غليلى
وثلاث شيبات نزلن بمفرقى فعلمت أن نزولهن رحيـلى
طلعت ثلاث فى نزول ثلاثة واش ووجه مراقب ومقيـل
فعذلنى عن صـوقى متذللا ولقـد سمعت بذلة المعـذول

ومنها :

حتى إذا صدت الوحوش فلم تدع منهن غـير معالم وطلول
ونهت محافظه الحسان فلم تصل كنى إلى طى أعن كحيـل
ومكبل لم يحترم حرمٌ ولا دامت صحابته بغير كـلول
منلفت كتلفت المرتاع يقـ ـسم لحظه فى الحول عند الحول
حتى إذا ما السرب عن للحظه أومى بقادمتـه حذار سـبيلى
ولت حماعتها وشد وراءها وكأنه بطل وراء رعـيل[1]
عجلت وأدركها ردى فى إثرها إن الردى قـد وكل بحتوف

---

[1] الرعيل القطعة من الخيل

ولقد غدوت بأهرت متضائل ... سر النفوس إليه غير ضئيل (١)
ولربما اشتم الصعيد بأنفه ... حيناً فقام له مقام دليل (٢)
متتبع لظلاله فكأنه ... فى القيظ يطلب ظله لمقبل
فنزلت فى فرش الرياض ولم يكن ... ليحوزها مثلى بغير نزول
روض تعاهده السحاب كأنه ... متعاهد من علم إسمعيل
قسه إلى الأعراب تعلم أنه ... أولى من الأعراب بالتفضيل
حارت عقائلهم لغات جمعت ... فيهم وحار لغات كل قبيل
فالشرق حال بعده فكأنما ... زل الخراب ربعه المأهول
جمعوا بغيبته وموت شيوخه ... عنهم ولما يظفروا ببديل
مذ جاءهم وهم بليل همومهم ... منه فصاروا فى ضحى موصول
فكأنه شمس بدت فى غربنا ... وبغرت فى شرقهم بأفول
يا سيدى هذا ثنائى لم أقل ... زورا ولا عرضت بالتنويل
من كان يأمل نائلا فأنا امرؤ ... لم أرح غير القرب فى تأميلى

وقوله [من الطويل]

وإنى لأغضى الطرف عنك جلاله ... وخوفاً على خديك من لحظاتى
ولو أننى أهملت عينى بأن ترى ... سناك لحالت دونها عبراتى
رأيت وشاة الكاشحين أباعدا ... ولكن دمعى من عديد وشاتى
زعمت بأنى حلت عنك ولم أكن ... أعنيك فى حتى وفى حسراتى
وهل أنا إلا طالب لمنيتى ... إذا حلت عمن فى يديه وفاتى

(١) الأهرت : الأسد
(٢) الصعيد : التراب

وقوله [من الطويل] :

عزمت على فضلي بعير يحرح ... شجى بك حتى تفضل الهائم الشجى
ولم يبد سرى فيك رأي، وإنما ... تبدى فراراً من حنى مبرح
تحولي ودمعي دجاً وجرى بما ... رأت مقلتي من خدك المتدمع
بهاراً ودرا هبت الريح فوقه ... نثرو فعطلت ورده بالينفسج[1]

وقال يرثي الملذى الخياز [من الرمل] :

أنا إن رمت سلوا ... عنك ما قره عيني
كنت في الإثم كأني ... لك في قتل الحسين
لك صولات على قل ... بي دليلات لحسي
مثل صولات على ... يوم بدر وحنين

ومن شعره قوله [من الطويل] :

[illegible] ... فالعذر أبيض واعتناق حباله ؟
[illegible] ... زوال [illegible] نواله

عبد الملك بن إدريس المعروف بالحريري

له من قصيدة كتبها إلى [illegible] عند الرحمن من محبسه، أوردها ابن "الكامل" :

ألوى عزم تجلدي وتصبري ... [illegible] الأحبة واعتياد تأكري
بمحض الأزار فلا قرار ولا قرب ... عيني الهجوع ولا خيال يجري
أرعى النجوم وهو مسهدا لقوى ... والآن عودي وهو صاب المكسر
وحشوي مرورى كله ولبدي ... بالعيش ضن صحيفة لم تسر
فلا تما ألفي الحبيب توحشا ... صبر تذكر وحشة تتكري

---

(١) النفرو : المعصم والمعصم

وإذا الفتى فقد الشباب سما له حب البنين ولا كحب الأصغر
عجباً لقلبي يوم راعتنا النوى ودنا وداعك كيف لم يتفطر
ما خلتني أبقى خلافك ساعة لولا السكون إلى أخيك الأكبر
إنسان عيني إن نظرت وساعدي مهما بطشت وصاحبي المستوزر
فإذا شكوت إليه شكوى راحة ذكرته فشكا إلى بأكثر
أربى على لفظه عما بنا حظ المعلى من قداح الميسر

ومنها :

واعلم بأن العلم أرفع رتبة وأجل مكتسب وأسنى مفخر
وبضمر الأقلام يبلغ أهلها ما ليس يبلغ بالجياد الضمر
والعلم ليس بنافع أربابه ما لم يعد عملا وحسن نبصر
فإذا دفعت إلى قرين فابله قبل التقارض والتشارك واخبر
لا يستفزك منظر حسن بدا حتى تقابله بحسن المخبر
كم من أخ يلقاك منه ظاهر باد سلامته وباطنه ورى(١)
واشرح لكل ملمة صدراً وخذ بالحزم فى كل الأمور وشمر
واستنصح البر التقى وشاور الـ ـفطن الذكى تكن رجيح المتجر
واخزن لسانك واحترس من نطقه واحذر بوادر غيه ثم احذر
واصفح عن العوراء إن قيلت وعد بالحلم منك على السفيه المعور
وكل المسيء إلى إساءته ولا تتعقب الباغى يبغى تنصر
فكفاك من شر سماعك خبره وكفاك من خبر قبول المخبر
وإذا سئلت فجد وإن قل الجدى جهد المقل إزاء جهد المكثر
واشكر لمن أولاك برا إنه حق عليك ولا تكن بالممترى

(١) الورى : المتضرم نارا

ليس الحريص بزائد فى حرصه ... بأتم حيلته هتيمة إذخر
أو ما رأيت غبى قوم موسراً ... وليبهم يشقى بحال المعسر
قد أوعب التكوين كل مكون ... مذ أحكم التقدير كل مقدر
فلو ابتغيت بكل جهد نيل ما ... سبق القضاء بمنعه لم تقدر

* * *

أبو عمر أحمد بن محمد بن دراج الأندلسى
المعروف بالقسطلى

كان بصقع الأندلس كالمتنبى بصقع الشام ، وهو أحد الفحول . وكان يجيد ما ينظم ويقول . فمن ذلك قوله من قصيدة يمدح بها محمد بن أبى عامر من البسيط :

ما كفر نعماك من شأنى فيثنينى ... عمن توالى لنصر الملك والدين
ولا ثنانى وشكرى بالوفاء بما ... أوليتنى دون بذل النفس يكفينى
حق على النفس أن تبلى ولو فنيت ... فى شكر أيسر ما أضحيت تولينى
ها إنها نعمة ما زال كوكبها ... إليك فى ظلمات الخطب يهدينى
تنأى بجوهر ود غير مبتذل ... عندى وجوهر حمد غير مكنون
وحبذا النأى عن أهلى وعن وطنى ... فى كل بر وبحر منك يدنينى
وموقف للنوى أغليت متئدى ... فيه وأرخصت دمع الأعين العين
من كل نافرة ذلت لقود يدى ... فى تنى ما يدك العلياء تحنونى
والخدر يخفق فى أحشاء والهة ... برد الشجو فى أحشاء محزون
أحاهد الصبر عنها وهى غافلة ... عن لوعه فى الحشى منها تناجينى
يا هدد كف أعطى "شوف صاعته ... وهده طاعه المنصور تدعونى

شدى على نجاد السيف أجمله ضجيع جنب نبا عن مضجع الهون
رضيت منها وشيك الشوق لى عوضا وفلت فيها للوعات الأسى يبنى
فإن تنج بارياح الهوى كبدى فقد نعوضت قرباً منك يأسونى
وإن يمت موقف التوديع مصطبرى فأحر لى بدنو منك يحيينى
أو أفرط الحظ من نعماك منقلب من الوفاء بحظ فيك معبون
وخازن عنك نفسى فى هواجرها وليس جودك عن كفى بمخزون
وأى ظل سوى نعماك يلحفنى أو ورد ماء سوى جدواك يرويني
وحاش للخيل أن تزهى على بها والبيض والسمر أن تحمى بها دونى
وربما كنت أمضى فى مكارهها ندما أنت فى أهوالها الخون
من كل أبيض ماضى الغرب ذى شطب وكل لدن طرير الحد مسنون
كذاك شأوى مفدى فى رضاك إذا سميت فيه ولا ساع يباريني
لكن سهام من الأقدار ما برحت على مراصد ذاك الماء ترميني
يحمان للروع أسداً فى فرائسها تمد للطعن أمثال التعابين
والبيض تحت ظلال النقع لامعة تعلل الماء فى طل الرياحين
حتى يحوروا لك الأرض التى اعترفت لملك آبائك التسع العرانين
حيث استبوا فارساً والروم واعتوروا روق الأساور منهم والدهاقين

وقوله من قصيدة أولها [من البسيط]:

لولا التحرج لم يحجب خيالك ..

وحتيه الغمض هل يودى فتيلكم؟ دمى مشاع وحانى ذاك عيناك (١)
إنى أراك تقتل النفس حارمه تولى قديتك من بالقتل أوصاك؟
مالى ولابرق أسلفيه من طمأ هيهات لا يرد إلا من سقاياك

(١) يودى : تعطى عنه دية

لولا الضلوع لطل القلب نحوكم ... ضمى بعيشك فوق القلب يمناك
أصلينى لوعة الهجران ظالمة ... رحماك من لوعه الهجران رحماك
أظن عزمك أن أخى لاسلوكم ... حلى غريمى إنى لست أسلاك
حاشاك أن تجمعى حسن الصفات إلى ... قبح الصنيع بمن يهواك حاشاك
إن كان واديك ممرعاً فموعدنا ... وادى الكرى فلعلى فيه ألقاك
ظبى وقلب فمن لى أن أصيدهما ... ضاع العقال وقلب الظبى أشراكى

وقوله [من الوافر]

أصح نحوى لدعوة مستقيل ... ينادى من غيابات الخمول
يهيب كل هم منكس ... وينهزه كل خطب مستطيل
ومأمون على ظلم الأعادى ... ونوم على ريب الذحول
ترانى منك فى همم صحاح ... تكسر على دجى خطب عليل
ولكن رب دهر ساورنى ... شوائله على نهج السبيل
مظاهر لامتى بغى ومكر ... وصلت صارنى ناب وقيل
ورام عن قسى العقل بيلا ... أصين مقابل الأدب الكليل
أنا ونفس عن عرض مسيح ... لقد أحمان عن أهل فحش
فكان كأنه حين سحين ... أسال دماً على حد أسيل
ومصطرم الحشى ذاك جوى ... يثير منه عن سيف صقيل
فتلك معدتى عند الرزايا ... وتلك وسائل درح الخيول
وذلك مرتب الأحجار منى ... حتم يجب على هذيل
لعل رحماك يا مستعبرين ... يثير منه عما قليل
سرى بك سارى الهم ... مستعيل
يهب حر ... مكر ... لا ... ميل

سوار فى الظلام بلا نجوم هواد فى الفلاة بلا دليل

وقوله من أخرى | من الطويل | :

إليك شحنا الفلك تهوى كأنها وقد ذعرت عن مغرب الشمس غربان
على لجج خضر إذا هبت الصبا ترامى بنا فيها ثبير وثهلان
وإن سكنت عنا الرياح جرى بنا زفير إلى ذكر الأحبة حنان
يقلن وموج البحر والهم والدجا تموج بنا فيها عيون وآذان
ألا هل إلى الدنيا معاد وهل لنا سوى البحر قبر أو سوى الماء أكفان
وهبنا رأينا معلم الأرض هل لنا من الأرض مأوى أو من الإنس عرفان
هوت أمهم ماذا هوت برجالهم إلى نازح الآفاق سفن وأظعان
كواكب إلا أن أفلاك سيرها زمام ورحل ، أو شراع وسكان
فان غربت أرض المغارب موتلى وأنكرنى فيها خليط وخلان
فكم رحبت أرض العراق بمقدمى وأجزلت البشرى على خراسان
وإن بلادا أخرجتنى لعاطل وإن زمانا خان عهدى لخوان
سلام على الإخوان تسليم آيس وسقياً لدهر كان لى فيه إخوان
فلا مؤنس إلا شهيق وزفره ولا مسعد إلا دموع وأجفان
وما كان ذاك البين بين أحبة ولكن قلوب فارقتهن أبدان
فياعجباً للصبر منا كأننا لهم غير من كنا وهم غير من كانوا
مضى عيشهم بعدى وعيشى بعدهم كأنى قد خنت الوفاء وقد خانوا
وأفجع من آوى صفيح وجلمد وواريت رمال بالفلاة وكثبان
وجوه تناءت فى البلاد قبورها وإنهم فى القلب منى لسكان
وما بليت فى الترب إلا تجددت عليها من القلب المفجع أحزان

ومنها :

وأوردتها يوم اللقاء مواته ... كما انصرفت يوم الهياءة ذبيان(١)
بكل كمى عامرى يسوقه ... لحر الوغى قلب على الدين حران
حليهم بيض الصوارم والقنا ... لها وحلاها سابغات وأبدان
فياذل أعلام الهدى يوم عزهم ... ويا عز أعلام الهدى بك إذ هانوا
حفرت لهم فى يوم نبرة بالقنا ... قبورا هواء الأرض منهن ملآن
يطير بهم بار ونسر وناعب ... ويغدو بهم ذئب رميح وسرحان
فلو نشر الأملاك يومك فيهم ... لأنى إليك التاج كسرى وخاقان
ولو رد فى المنصور روح حياته ... غداة لقيت الموت والموت غرنان
وناديت فى البيداء أبناء ملكه ... فلبك آساد عبيد وفيلان
جبال إذا أرسيتها حومة الوغى ... وإن تدعها يوماك إليك فعقبان
يقودهم داع إلى الحق مخلب ... على البغى يرضى ربه وهو غضبان
وأسمر يسرى فى بحار من الندى ... تكفك تكن منتدى وهو طمآن
تلألأ نورا من سنانك سنانه ... وقد دعت الفرسان للحرب فرسان
فحياك من أحييت منه شمائلا ... يموت بها فى الأرض ظلم وعدوان
وناداك إسرارا وناداك معلنا ... وحسب المعالى منه سر وإعلان
ألا هكذا فليحفظ العهد حافظ ... ألا هكذا فليحلف الملك سلطان
فلله مادا أنحت منك عامر ... ولله مادا باسمت منك قحطان
ولله منا أهل بيت بمتهم ... إلى بذل العليا حور بلدان
فما قصرت بى عن علاك سماعه ... ولا بك عن مثلى جزاء وإحسان

(١) من قصيدة أحد أيام العرب، نصرت فيه قيس على قرارة وذبيان

وقوله من أخرى [من الخفيف] :

بتر الخبل يوم كر الطراد ... وظبا الهند عند حر الجلاد
وسماء العلا نجم المساعى ... ورياض المنى بصوب الغوادى
ثم واف القصور من ملك بصرى ... بالمشيدات من ذرى شداد
ثم ناد الآذراء عن ذى الرياسا ... ت نداء يصغى له كل ناد
وصلتكم أرحام ملك عتكم ... من كرام الأملاك والأجواد
وهناكم منصوركم من بحيب ... فى مساع جلت عن الأنداد
بلغت مجدكم نجوم الثريا ... ومساعيكم أقاصى البلاد
وعما منكم إلى الملك سعد ... ناظر الحكم فى رقاب الأعادى
بسمات أهدت لكم هدى هود ... وبحلم أعاد أحلام عاد
وأثارت به كوم المعالى ... وأثار الدنيا ببيض الأيادى
وهو فى المجديين أعلى وأزكى ... وهو أنت أكرم الأولاد
نر فى مطالع الملك أوفى ... طالعاً وانم على ميعاد
وتلاشت زهر النجوم عليه ... بسعود الجدود والأجداد
وسما للإسلام باسم أبيه ... وانتحى باسم جده الأعادى
هو نبى بالحياة نشير ... وهو للشرك مبير بالسواد
سابق النوء لم يؤخر مداه ... عن مدا ثم تأخر الميلاد
وابن حرب مكر تمسـ ... ـها فارس الخيل فارس الآساد
فاكتسى الدين منه ثوب سرور ... وصلب الضلال ثوب حداد
هنيئاً للناج أى جبين ... عمه أى عاتق للنجاد
وهنيئاً لما ولدت من ... ـه لبيض والقنا والجياد
وغريب سرى به كل أرض ... وسرى ذكره به كل وادى

وهنيئاً لطيء وهمدا ن ولخم وكندة وإياد

وله من أخرى يرثى بها أم هشام المؤيد بالله [من المتقارب] :

بقاء الخلائق رهن الفناء وقصر التدانى وشيك التنائى
لقد حل من يومه لاقتراب وقد حان من عمره لانتهاء
هل الملك يملك ريب المنون أم العز يصرف صرف القضاء
أرى الموت يصدع شمل الجميع ويكسو الربوع ثياب العفاء
يبيد الحياة ببطش شديد ويلقى النفوس بداء عياء
ألم تر كيف استباحت يداه حريم الملوك وعلق النساء
هو الرزء أودى بعزم الملوك مصاباً وأدى بحسن العزاء
فما فى العويل له من كفاء ولا فى الدموع له من شفاء
فهيهات فيه غناء الزفير وهيهات فيه انتصار البكاء
وأنى يدافع سقم بسقم ؟؟ وكيف يعالج داء بداء ؟
فتلك مآقى جفون رواء مفجرة من قلوب ظماء
فلا صدر إلا حريق بنار ولا جفن إلا غريق بماء
فقد كاد يصدع صم السلام ويضرم نار الأسى فى الهواء
وجيب القلوب وشق الجيوب وشجو النحيب ولهف النداء
فمن مقلة شرقت بالدموع ومن وجنة غرقت بالدماء
وسافرة من قناع الحياء وناشدة صبرها بالعراء
وبيض صبغن بلون الحدا د حمر البرود وبيض الملاء
أنحما هوى من سماء المعالى لبيك عليك نحوم السماء
وحاشا لربك أن يقضيه عويل الرجال ولدم النساء
يمين يداك فى الصالحات تمسك وجه الضحى بالضياء

فقل لفقيدك أن يحتبي عليك الصباح بثوب المساء

ومنها :

لئن حجبت تحت ردم اللحود ومن قبل فى شرفات العلاء
فتلك مآثرها فى التقى وبذل اللهى مابها من خفاء (١)
جزاك بأعمالك الزاكيا ت خير المجازين خير الجزاء
ولقيت من ضنك ذاك الضريح نسيم النعيم وطيب الثواء

وقوله أيضاً [من الطويل]:

لك الله بالنصر العزيز كفيل أجد مقام أم أجد رحيل
هو الفتح أما يومه فمعجل إليك . وأما صنعه فجزيل
وآيات نصر ما تزال ولم تزل بهن عمايات الضلال تزول
سيوف تنير الحق أنى انتضيتها وخيل يجول النصر حيث تجول
ألا فى سبيل الله غزوك من غوى وضل به فى الناكثين سبيل
لئن صدنت ألباب قوم بمكرهم فسيف الهدى فى راحتيك صقيل
فإن يحى فيهم مكر حالوت جدهم فأحجار داود لدبك متول
حميت على ظهر الجواد إذا عدا ولكن على صدر الكمى تقبل
وجرداء لم تخلل يداها بغاية ولا كرها نحو الطعان بخيل
لها من خوافى لقوة الجو أربع وكشحان من ظبى الفلا وبليل
وبيض تركن الشرك فى كل منتأى فلولا وما أرى بهن فلول
تمور دماء الكفر فى شفراتها ويرجع عنها الطرف وهو كليل
وأسمر ظمآن الكعوب كأنما بهن إلى شرب الدماء غليل
إذا ماهوى للضنص أيصت أنه لصرف الردى نحو النفوس رسول

(١) اللهى : العطايا ، ومن أمثالهم « اللها تفتح اللها » يريدون أن العطايا تفتح الهم بالثناء على المعطى

وحنانة الأوتار فى كل مهجة تعاصيك أوتار له وذحول
إذا نبعها عنها أرن فإنما صداه نحيب فى العدى وعويل
كتائب عز النصر فى جنباتها وكل عزيز بمته ذليل
يسير بها فى البر والبحر قائد يسير على الخطب وهو جليل
جواد له من بهجة العز غره ومن شيم الفضل المبين حجول
به أمن الإسلام شرقا ومغربا وغالت غوايات الضلالة غول
حسام لداء المكر والغدر حاسم وظل على الدين الحنيف ظليل
إذا انشق ليل الحرب عن صبح وجهه فقد حان من يوم الضلال أفول
كريم التأنى فى عقاب جناته ولكن إلى صوت الصريخ عجول
وأيقن باع حتفه أن أمه — وقدامه اللبث المصور — هول

وله أيضاً [من الكامل]

اليوم أبهجت المنى أبهاجها وتوسطت شمس الضحى أبراجها
ما للوزارة لاتضىء لنا وقد أضحى سراج العالمين سراجها
شمس سمت فى ذوائب بمرب ركبت إلى الرتب العلا معراجها
لم تنقل قدماً لأول منزل المجد حتى استقبلت مهاجها
أنجبته ذخر الخلافة إن شكت ألما تضمن برءها وعلاجها
وسللته سعداً لكل منه يجرى بأول عزمة أوداجها
فنظمت فى جيد الوزارة عقدها وعقدت فى رأس الرياسة تاجها
والخيل حاسرة إليه كلما رفع اللواء وأوضحت أسراجها
ياقبلة للآملين وكعبة تدعو حجى على السدى حجاجها
أنت الذى وجهت حجى كرة نحوه قد تمدت عنى رياحها[1]

١ رياح — كذا فى الأصل ، ولعلها زيادة من الكاتب — ك

وجلوت عن فلق المنى من ليلة ... طاولت فى ظلم الأسى إدلاجها
وسقينى من جود كفك منعماً ... كأسا وجدت من الحياة مزاجها
فلأ لبس الدهر فيك ملابساً ... للحمد أحكم منطق ديباجها
ما عاقب الليل النهار ورجعت ... ورق الحمائم بالضحى أهزاجها

وقوله من قصيدة أخرى [من المتقارب] :

دعيت فأصغ لداعى الطرب ... وطاب لك الدهر فاسرب وطب
فهذا يشير الربيع الجديد ... يبشرنا أنه قد قرب
نهار يروق بمسك دكى ... وصبح بديع وخلق عجب
غصون الزبرجد قد أورقت ... لنا فضة نورت بالذهب
فمن حقها أن ترى الشاربين ... وقد نفقت سوقهم بالنخب
وأن تسألوا الله طول البقاء ... لعبد المليك مليك العرب
فلولا محاسنه لم ترق ... ولولا شمائله لم تطب

وقوله [من الطويل] :

ألم تعلمى أن التواء هو النوى ... وأن بيوت العاجزين قبور
ولم تزجرى طير السرى بحروفها ... فتنبيك إن يمن لهو سرور(١)
يخوفنى طول السفار وإنه ... لتقبيل كف العامرى سفير
ذريبى أردماء المفاوز آجناً ... إلى حيث ماء المكرمات نمير(٢)
وأختلس الأيام خلسة فاتك ... إلى حيث لى من عدوهن خفير

---

(١) زجر الطير : تفاءل بها ، ويمن : سرد تميما
(٢) الآجن : المتغير ، والنمير : الصافى

فإن حظيرات المهالك ضمن ... لراكبها أن الجزاء خطير
ولما تدانت للوداع وهد هفا ... بصبرى منها أنه ورفير
تناشدنى عهد المودة والهوى ... وفى المهد مبعوم النداء صغير(١)
عنى بمرجوع الخطاب . ولفظه ... بموضع أهواء النفوس خبير
سوأ بمنوع القلوب . ومهدت ... له أذرع محفوفة ونحور
عصمت شفيع النفس فيه وقادنى ... رواح لنداب السرى وبكور
وطار جناح البين بى وهمت بها ... حوائح من دعر الفراق تطير
لئن ودعت منى غيوراً فإنى ... على عزمتى من نحوها لغيور
وما شاهدتنى والضواحك تلتطى ... على ورهراق السراب يمور(٢)
أسلط حر الهاجرات إذا سطا ... على حروحى . والأصيل مجمر
وأسبتنى الشكباء وهى بوارح ... وأسمطنى الرمضاء وهى بهور
والموت فى عين الجبان بلون ... وللدعر فى سمع الجرىء صفير
ولو شاهدتنى والسرى حل عزمتى ... وحرسى لحاد الفلاة سمير
وأعسف الموماة فى غسق الدجا ... والأسد فى غيل العياص زئير
أسير على عون الشاتف ماله ... إذا ريع ، إلا المشرفى وزير(٣)
وقد حملت طرفى بحر أبيه ... على مثله ليس البهيم فقير
ردرت بحوم القفص حتى كأنها ... كؤوس صلا والى بهن مدير
لقد أنقذت نى الى طوع هوى ... وأنى بحصف الحادثى خبير
وأنى بذكراه لغمى راحة ... وأنى به محصور صبر

---

(١) المبعوم : المهيأ صوته لدى لا يتم

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

تلاقت عليه من تميم ويعرب شموس تلالا فى العلا وبدور
من الحيريين الذين أكفهم سحائب تهمى بالندى وبحور
هم صدقوا بالوحى حين أتاهم وما الناس إلا عابد وكفور
مناقب يعيا الوصف عن كنه قدرها ويرجع عنها الوهم وهو حسير
ألا كل مدح عن نداك مقصر وكل رجاء فى سواك غرور
ولما تراءوا للسلام ورفعت عن الشمس فى أفق التروف ستور
وقد قام من زرق الأسنه دونه صفوف ومن بيض السيوف سطور
رأوا طاعة الرحمن كيف اعتزازها وآيات صنع الله كيف تنير
وكيف استوى بالبدر والنحر مجلس وقام بعبء الراسيات سرير
يقولون والأوجال تخرس ألسنا وحارت عيون منهم وصدور
لقد حاط أعلام الهدى بك حائط وقدر فيك المكرمات قدير

ومنها :

أترى لخطب الدهر والدهر معضل وكافى لليث الغاب وهو هصور
وقد تخفض الأسماء وهى سواكن ويعمل فى الفعل الصحيح ضمير
وتنبو الرديئات والطول وافر ويبعد وقع السهم وهو قصير

وقوله من أخرى [من الكامل] :

أوجعت خيلى فى الهوى وركابى وقذفت نبلى فى الصبا وحرابى
وسللت فى سبل الغواية صارماً عضباً ترقرق فيه ماء شبابى(١)
ورفعت للشوق المبرح راية خفاقة بهزائج الأطراب(٢)

---

(١) العضب : السيف القاطع

(٢) أراد بهزائج الأطراب الأناشيد التى تعمل عند الطرب ، وكأنه سميت بذلك لأنها تكون من وزن بحر الهزج .

ولبست للوام لأمة خالع مسرودة بضبابة وتصابى
وبرزت للشكوى بشكة معلم نكص الملام بها على الأعقاب[1]
فاسأل كمى الوجد كيف أثرته بغروب دمع صائب التكساب
واسأل جنود العذل كيف لقيتها فى جحفل البرحاء والأوصاب
ولقد كررت على الملام بزفرة ذهل العتاب بها عن الإعتاب
حتى تركت العاذلين لما بهم شغفاً بحب التاركى لما فى
من كل ممنوع اللقاء اغتاله صرف النوى فنأى به ودنابى
حتى افتتحت على الأحبة معقلا وعر المسالك مقفل الأبواب
ووقفت موقف عاشق حلت له فيه غنيمة كاعب وكعاب
بحدائق الحدق التى أفنينى بأحد من سبنى ومن نشابى
فى روضة جاد النعيم نباتها فتفتحت تكواعب اترابى
من كل مفنوم لقلبى غانم عشقاً ومسبى لعقلى سابى
فى جنح ليل كالغراب أطار لى عن ملتقى الأحباب كل غراب
وجلا لعينى كل بدر طالع قمن بهتك حجابه وحجابى
جاب الظلام فلم يدع من دجنه إلا غدائر شعره المنجاب
فظللت بين صبابة وظلامه مغرى الجفون بطرفه المغرى بى
فإذا كتبت بناظرى فى قلبه أخفى خطط بناظريه جوابى
وإذا سقانى من عقار جفونه أبقى على فشجها برضاب
وسلافة الأعناب توقد نارها تهدى إلى يانع العناب
فسكرت والأيام تسلب جدتى والدهر ينسج لى ثياب سلابى
سكرين من خمر كأن خمارها فقد الشباب وفرقه الأحباب

---

(١) الشكة ـ بكسر الشين وتشديد الكاف ـ السلاح

لمدى تناهى فى الغواية فانتهى فينا إلى أجل له وكتاب

ومنها :

وشملتنى بشمائل أذكرننى فى طيبها طوبى وحسن مآب
ورضاك رد لى الرضا فى أوجه من جور أيام على غضاب
وهداك أشرق لى وليلى مظلم وسناك أبرق لى وزندى كابٍ(١)
فحللت منه خير دار مقامة وثويت منه فى أعز رحاب
وأسمت فى أزكى البقاع صوافنى وضربت فى أعلى البقاع قبابى
وشويت للأضياف لحم ركائبى فى نار أحلاسى وفى أقتابى(٢)
ولقد كسوت برغم دهر ضامنى ما أخلقت عصراه من أثوابى

وقوله يصف الهلال [من الرجز] :

وحق الشهر كال البدر فلاح فى أولى الصباح النضر
كأنه فرط بأذن الفجر

---

(١) الزند الكابى : الذى لا يورى ولا يخرج نارا.
(٢) الحلس : ما يوضع تحت البرذعة ونحوها.

الباب العاشر

فى ذكر شعراء الموصل وغرر أشعارهم

فمنهم السرى بن أحمد الكندى المعروف بالرفاء.

السرى وما أدراك ما السرى ؟ صاحب سر الشعر الجامع بين نظم عقود الدر ، والبصر فى عقد السحر ولله دره ما أعذب نحره وأصفى قطره ، وأعجب أمره ! وقد أخرجت من شعره ما يكسب على جبهة الدهر ، ويعلو فى كعبة الفكر فكسبت منه نحاس وماحاً وبدائع وطراوة . كأنها أطواق حمام . وصدور الراح السمر ، وأحجبة الطواويس وسوالف الغزلان وجهود العذارى الحسان وعرف الخدود المسلاح وبدأت بصدر من أشعاره . وبطرف لأشعاره

يحكى أنه أسر صد فى الرقاين بالموصل فكان يمر ويطرز إلى أن قضى ، كورة السباب وتكسب بالشعر ومما يدل على ذلك ما قرأته بخطه وذكر أن صديقا له كتب إليه يسأله عن خبره وهو بالموصل فى سوء الجوار يطرز ، فكتب إليه من السريع :

تكفيك من حمله أحمالى ... سرى من الحب وإعسارى
فى سوء أفعالهم مرة ... تعصّ فعلى بعضهم عارى
وكانت الإبرة فيما مضى ... صانته وحبى واسعارى
وأصبح الإبرة ما صيقاً ... كأنه من بقية حارى

وهذه الأبيات ليست فى دون شعره الذى فى أعلى الناس وإنما هى من خلاله عصر السرى ، فحدثنى صديق لى من أهل الموصل من عهده وهى ذات الآن وفى حين ما من عهده

ولما جد السرى فى خدمة الأدب وانتقل عن تطريز الثياب ، إلى تطريز الكتاب ، فشعر بجودة شعره ، ونابذ الخالديين الموصليين وناصبهما العداوة، وادعى عليهما سرقه شعره وشعر غيره . وجعل يورق وينسخ ديوان شعر أبى الفتح كشاجم ، وهو إذ ذاك ريحان أهل الأدب بتلك البلاد ، والسرى فى طريقه يذهب ، وعلى قالبه يضرب ، وكان يدس فيما يكتبه من شعره أحسن شعر الخالديين ، ليزيد فى حجم ما ينسخه، وينفق سوقه، ويغلى سعره، ويشنع بذلك على الخالديين ، ويغض منهما . ويظهر مصداق قوله فى سرقتهما . فمن هذه الجهة وقعت فى بعض النسخ من ديوان كشاجم زيادات ليست فى الأصول المشهوره منها ، وقد وجدتها كلها للخالديين بخط أحدهما ، وهو أبو عثمان سعيد بن هاشم . فى مجلدة أتحف بها الوراق المعروف بالطرسوسى سعدا أبا نصر سهل بن المرزبان وأنفذها إلى نيسابور فى جملة ماحصل عليه من طرائف الكتب باسمه . ومنها وجدت الضالة المنشودة من شعر الخالدى المذكور وأخيه أبى بكر محمد بن هاشم . ورأيت فيها أبياتا كتبها أبو عثمان لنفسه ،وأخرى كتبها لأخيه ، وهى بأعيانها للسرى بخطه فى المجلدة المذكوره لأبى نصر ، فمنها أبيات فى وصف الثلج واستهداء النبيذ [من البسيط] :

يامن أتاملكا لعارض السارى وفعله أبداً عار من العار
أما ترى الثلج قد خاطت أناملـه ثوباً يزر على الدنيا بأزرار
نار ولكنها ليست بمحـدثة نوراً . وماء ولكن ليس بالجارى
والراح قد أعوزتنا فى صبيحتنا بيعٌ ولو وزن دينار بدينار
فامنن بماشئت من راح يكون لنا ناراً فإنا بلا راح ولا نار

ومن قوله أيضاً [من الوافر] :

ألذ العيش إتبان الصبيح وعصيان النصيحه والنصيح
وإصغاء إلى وتر وناى إذا ناحا على زق حريح

غداة دجنة وطفاء تبكى إلى ضحك من الزهر المليح
وقد حديت قلائصها الحيارى بحاد من رواعدها فصيح
وبرق مثل حاشيتى رداء جديد مذهب فى يوم ريح

هكذا بخط السرى ، والذى بخط الخالدى «حاشيتى لواء» ، ولست أدرى أأنسب هذه الحال إلى التوارد أم إلى المصالتة ، وكيف جرى الأمر فبينهم مناسبة عجيبة ، ومماثلة قريبة فى تصريف أعنة القوافى وصياغة حلى المعانى ،

وأنا أجعل فصلا اشعر السرى فى ذكر سرقتهما منه وغارتهما عليه ، ثم أسوق غرر الخالديين مع نبذ من أخبارهما إذا فرغت من قضاء حق السرى بإذن الله تعالى ومشيئته .

ولم يزل السرى فى ضنك من العيش إلى أن خرج إلى حلب واتصل بسيف الدولة ، واستكثر من المدح له ، فطلع سعده بعد الأفول ، وبعد صيته بعد الخمول ، وحسن موقع شعره عند الأمراء من بنى حمدان ورؤساء الشام والعراق . ولما توفى سيف الدولة ورد السرى بغداد ، ومدح المهلبى الوزير وغيره من الصدور ، فارتفق بهم ، وارتزق معهم ، وحسنت حاله ، وسار شعره فى الآفاق ونظم حاشيتى الشام والعراق ، وسافر كلامه إلى خراسان وسائر البلدان . وكنت أحسب أنى استغرقت شعره بجمعى فيه بين لمع أنشدنيها وأنسخنيها أبو بكر الخوارزمى أولا ، وبين ديوان شعره المجلوب من بغداد ، وهو أول ما رأيته مما أنفذه أبو عبد الله محمد بن حامد الخوارزمى من بغداد إلى أبى بكر وبين المجلدة بخط السرى التى وفدت إلى من جهة أبى نصر وفيها زيادات كثيرة على ما فى الديوان ، فقرأت فى كتاب الوساطة للقاضى أبى الحسن على بن عبد العزيز الجرجانى أبياتا أنشدها للسرى فى جملة ما أنشده لأكابر الشعراء مما يتضمن الاستعارة الحسنة مع إحكام الصنعة ، وعذوبة اللفظ ، وهى :

[illegible]

أقول لحنان الغشاء المغرد يهز صفيح البارق المتوقد
تبسم عن رى البلاد صيبه ولم يبسم إلا لإنجاز موعد

ومنها [من الطويل] :

ويا ديرها الشرقى لازال رائح يحل عقود المزن فيك ومغتدى
عليلة أنفاس الرياح كأنما يعل بماء الورد نرجسها الندى
يشق جيوب الورد فى شجراتها نسيم متى ينظر إلى الماء يبرد

فأعجبت جداً بها وتعجبت منها ، وتأسفت على ما فاتنى من أخواتها من هذه القصيدة وغيرها ، ثم قرأت فى كتاب تفسير ابن جنى لشعر المتنبى بيتاً واحداً أنشده السرى من قصيدة . وذكر أنه أخذه من قول المتنبى [من الطويل] :

سقاك وحيانا بك الله ، إنما على العبس نور والخدود كمائمه[1]

وهو [من المنسرح] :

حيا بك الله عاشقيك فقد أصبحت ريحانة لمن عشقا

فكدت أقضى بأنى لم أسمع فى معناه أظرف منه ولا ألطف ولا أعذب ولا أخف . وطلبت القصيدتين فعزتا وأعوزتا . وعلمت أن الذى حصلت من شعره غيض من فيض مالم يقع إلى .

* * *

ولما وجدت السرى أخذ جديد القميص فى حسن السرقة وجودة الأخذ من الشعر كسرت هذا الفصل على ذكر سرقاته :

---

(١) العبس : الجمان . والكمائم : أغلفة النوار .

قال السرى من قصيدة فى سيف الدولة وذكر بعض غزواته [من الوافر] :

طلعت على الديار وهم نبات وأغمدت السيوف وهم حصيد
فما أبقيت إلا مخطفات حماها الخصر منها والنهود

وكرر هذا المعنى فقال من الكامل :

أفنت ظباك الروم حتى إنها لم يبق إلا ظبية أو ريمة

وإنما سرقه من قول المتنبي [من الطويل] :

فلم يبق إلا من حماها من الظبا لمى شفتيها والندى النواهد

وقال السرى من قصيده [من الكامل] :

حييت من طلل أجاب ثويره يوم العقيق سؤال دمع سائل
يحنى وينزل وهو أعظم حرمة من أن يذال براكب أو ناعل

وهو من قول المتنبي [من الطويل] :

زلنا على الأكوار نمشى كرامه لمن بان عنه أن نلم به ركبا

وفى قصيدة السرى [من الكامل] :

فالدهر تمسح منه غرة سابق لاقاه أول سابقين أوائل

وهو من قول مروان بن أبى حفصة [من الكامل] :

مسحت معد وجه معن سابقاً لماجرى وجرى ذوو الاحساب

وقال السرى من قصيده وذكر الخيال [من الكامل] :

وافى يحقق لى الوفاء ولم يزل حدن الصبابه بالوفاء حصين
ومضى وقد منع الجفون خفوقها قلب لذكرك لا يمر هجوع

فالبحترى أخذه من قول النوخى من مجزوء الكامل]

يمسيك قلب خافق أبداً وطرف مدمع

- واللفظ من قول ابن المعتز [من الكامل] :

« ما بال قلبك لا يقر خفوقا (١) »

وقال السرى من قصيدة [من الكامل] :

نضت البراقع عن محاسن روضة ريضت بمحتفل الحيا أنوارها
فمن الثغور المشرفات لجينها ومن الخدود المذهبات نضارها
أغصان بان أغربت فى حملها فغراثب الورد الجنى ثمارها

وهو من قول ابن الرومى [من البسيط] :

غصون بان عليها الدهر فاكهة وما الفواكه مما يحمل البان !

وقال السرى [من الكامل] :

تلك المكارم لا أرى متأخراً أولى بها منه ولا متقدما
عفو أظل ذوى الجرائم كلهم حتى لقد حسد المطيع المجرما

وهو من قول أبى تمام [من الكامل] :

وتكفل الأيتام عن آبائهم حتى وددنا أننا أيتام

والأصل فيه قول أبى دهبل الجمحى [من المنسرح] :

ما زلت فى العفو للذنوب وإط لاق لعان بجرمه غلق
حتى تمنى البراء أنهم عندك أضحوا فى القد والحلق

وقال السرى من قصيدة من الوافر [:

إذا ذكر العقيق لنا نزرنا عقيق الدمع سحاً وانهمالا

---

(١) هذا صدر بيت ، وعجزه قوله :

« وأراك ترعى النجم والعيوقا »

ولابن المعتز فى هذا المعنى شعر أرق من هذا البيت ، فمن ذلك قوله :

ومتيم جرح الفراق فؤاده فالدمع من أجفانه يتدفق
بورته ساعة فرقة فكأنما فى كل عضو منه قلب يخفق

طلول كلما حاولن سقياً سقتها العين أدمعها سجالا
تحن جمالنا هوناً إليها فأحسبها ترى منها جمالا
ونسأل من معالمها محيلا فنطلب من إجابتها محالا

وهو من قول ديك الجن ، من الكامل :

قالوا السلام عليك ياأطلال قلت السلام على المحيل محال

وقال السرى من قصيدة يتشوق بها بنى فهد ، من الطويل] :

تناءوا ولما ينصرم حبل عزهم وحاشا لذاك الحبل أن يتصرما
فشرق منهم سيد ذو حفيظة وغرب منهم سيد فتشأما
كأن نواحى الجو ننثر منهم على كل فج قاتم اللون أنجما

وهو من قول الشاعر [من الطويل] :

رمى القفر بالفتيان حتى كأنهم بأقطار آفاق البلاد نجوم

وقال من قصيدة من الوافر :

تناهى فاطمأن إلى العتاب وأحسن للعواذل فى الخطاب
وصار جنيب غصن غير رطب وكان جنيب أغصان رطاب
حنت منه ميادين التصابى وعرى منه أفراس الشباب
ورهده خضاب الله لما تولى عنه فى رور الخضاب

وإنما أخذ مصراع البيت الثالث من قول زهير ، من الطويل :

وعرى أفراس الصبا ورواحله(١)

---

(١) هذا عجز بيت هو مطلع قصيدة لزهير بن أبى سلمى المزنى ، وصدره قوله :

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله

وذكر خضاب الله فى البيت الرابع . وهو من قول أبى تمام [من الكامل] :

- ورأت خضاب الله وهو خضابى[١] .

وفى قصيدة السرى من الوافر] :

وكنت كروضة سقيت سحاباً فأثنت بالنسيم على السحاب

وهو من قول المتنبى [من الكامل] :

وذكى رائحة الرياض كلامها تبغى الثناء على الحيا فيفوح

والأصل فيه قول ابن الرومى [من الخفيف] :

شكرت نعمة الولى على الوسـ ـمى ثم العباد بعد العباد
فهى تثنى على السماء ثناء طيب النشر شائعا فى البلاد

وقال السرى من قصيدة [من الوافر] :

لياليـنـا بأحيـــاء الغميم سقيت ذهاب مذهبة الغيوم
مضت بك رأفة الأيام فينا وغفلة ذلك الزمن الحليم
فكنا منك فى جنات عيش وفت حسناً بجنات النعيم
رياض محاسن وسنا شموس وظل دساكر وجى كروم
وأجفان إذا لحظت جسوماً جعلن سقامهن على الجسوم

وإنما أخذ هذا المثال من قول أبى تمام [من الوافر] :

فيا حسن الرسوم وما تمشى إليها الدهر فى صور البعاد
وإذ طير الحوادث فى رباها سواكن وهى غناء المراد
مذاكى حلبة وشروب دجن وسامر قينه وقدور صاد
وأعين ربرب كحلت بسحر وأحساد نضمخ بالجساد

---

(١) هذا عجز بيت من قصيدة له يمدح فيها مالك بن طوق . وصدره قوله :
« أو ما رأت بردى من نسج الصبا »

ومن أخذ هذا المثال مع ركوب هذه القافية القاضى أبو الحسن على بن عبد العزيز الجرجانى حيث قال من قصيدة [من الوافر] :

وأجفان تروى كل شىء سوى قلب إلى الأحباب صادى
بذاك جزيت إذ فارقت قوماً لبست لبينهم ثوبى حداد
معادن حكمة وغيوث جدب وأنجم حيرة وصدور نادى

وقال السرى من قصيدة [من المنسرح] :

نرتع حولى الظباء آنسة نظائراً فى الجمال أشباها
رقت عن الوشى نعمة فإذا صافح منها الجسوم وشاها

وهو من قول المتنبى [من الطويل] :

حسان الثنى ينقش الوشى مثله إذا مسن فى أجسامهن النواعم

وقال من أبيات من الطويل :

وأغيد مهز على صحن خده غلائل من صبغ الحياء رقاق
أحاطت عيون العاشقين بخصره فهن له دون النطاق نطاق

وهو أيضاً من قول المتنبى [من الوافر] :

وخصر تثبت الأحداق فيه كأن عليه من حدق نطاقا

وكتب إلى صديق له قد اتهمه بغلام سعى إليه فى حاجة [من الوافر] :

أبا بكر أسأت الظن فيمن سجيته التمنع والخلاف
وخصمت عليه فى الخلوات منى وذلك بيننا حال تحاف
حفوت من الصبا ما ليس يحوى وعفت من الهوى ما لا يعاف
فهو أنى ممن يقبح فيه لدى الإغضاء يقتنى العفاف

وإنما أخذه من قول أبى الحسن بن طباطبا [من الكامل] :

هذا يعف الناس من رحم خوص لعفته من الأعفاء

يقظاته ومنامـــه بشرع كل بكل منه مشتبه
إن هم فى حـــلم بفاحشة رجرته عفته فينتبـــه

وقال السرى من أبيات لصديق له أهدى إليه ماء ورد فارسى فى قارورة بيضاء مزينة بقراطيس مذهبة [من الطويل] :

بعثت بها عذراء حالية النحر مشهرة الجلباب حورية النجر
مضمنة ماء صفا مثل صفوها فجاءت كذوب التبر فى جامد الدر
ينوب بكفى عن أبيـه وقد مضى كما نبت عن آبائك السادة الغر

وإنما هو عكس قول المتنبى [من الطويل] :

فإن يك سيار بن مكرم انقضى فإنك ماء الورد إن ذهب الورد

وقال من قصيدة فى سيف الدولة [من البسيط] :

لما تراءى لك الجمع الذى نزحت أفطاره ونأت بعدا جوانبـــه
تركتهم بين مصبوغ ترائبـه من الدماء ومخضوب ذوائبه
فخاثر وشهاب الرمح لاحقه وهارب وذباب السيف طالبه
يهوى إليه بمثل النجم طاعنه ويتحبه بمثـــل البرق ضاربه
يكسوه من دمه ثوبا ويسلبـه ثيابه هو كاسبه وسالبه

وهو من قول البحترى [من الكامل] :

سلبوا وأشرفت الدماء عليهم حمرة فكأنهم لم يسلبـوا

وقال السرى من قصيدة فى سيف الدولة . وذكر العدو [من البسيط] :

تروع أحشاءه بالكتب وهولها خوف الردى ورجاء السلم مستلم
لايشرب الماء إلا غص من حذر ولا يهوم إلا راعه الحـــلم

وهو من قول أشجع السلمى [من الكامل] :

فإذا نبه رعته . وإذا غفا سات عليه سيوفك الأحلام

وقال من قصيدة [من الوافر] :

وقفنا نحمد العبرات لما رأينا البين مذموم السجايا
كأن خدودهن إذا استقلت شقيق فيه من طل بقايا

وهو من قول الناشىء الأوسط [من المتقارب] :

كأن الدموع على خدها بقيـــة طل على جلنار

وقال من قصيدة فى مرثية أم أبى تغلب [من الطويل] :

تذال مصونات الدموع إزاءها وتمشى حفاة حولها الرجل والركب
تساوت قلوب الناس فى الحزن إذ ثوت كأن قلوب الناس فى موتها قلب

ومصراع البيت الأول من قول المتنبى [من الوافر] :

مشى الأمراء حوليها حفاة[1]

والبيت الثانى من قول ابن الرومى [من الطويل] :

سلالة نور ليس يدركها اللمس إذا مابدا أغضى له البدر والشمس
به أضحت الأهواء يجمعها هوى كأن نفوس الناس فى حبه نفس

ولأبى بكر الخالدى فى الأخذ منه [من الطويل] :

وبدر دجى يمشى به غصن رطب دنا نوره لكن تناوله صعب
إذا مابدا أغرى به كل ناظر كأن قلوب الناس فى حبه قلب

وقال السرى من قصيدة [من البسيط] :

أيام لى فى الهوى العذرى مأربة وليس لى فى هوى العذال من أرب

---

(١) هذا صدر بيت من قصيدة له يرثى فيها أم سيف الدولة، وعجزه قوله :
المرو من زف لرئال به والمرو . حجارة بيض برافة يكون فيها النار .
والزف : صغار الريش ، والرئال : جمع رأل وهو ولد النعام . يقول : مشى الأمراء فى جنازتها على الحجارة حفاة كأنما يمشون على ريش النعام لعظم المصاب وشدة الحزن .

سقى الغمام رباها دمع مبتسم وكم سقاها التصابي دمع مكتئب

وردد هذا المعنى فقال [من الطويل] :

ولما اعتنقنا خلت أن قلوبنا تناجي بأفعال الهوى وهي تخفق
هي الدار لم يخل الغمام ولا الهوى معالمها من عبرة تترقرق

وهو من قول أبي تمام [من الخفيف] :

دمن طالما التقت أدمع المز ن عليهـــا وأدمع العشاق

وفي قصيدة السري [من الطويل] :

وطوفت قوماً في الرقاب صنائعا كأنهم منها الحمام المطوق

وهو من قول المتنبي [من الوافر] :

أقامت في الرقاب له أياد هي الأطواق والناس الحمام

وللسري من قصيدة في سيف الدولة [من الطويل] :

تبسم برق الغيم فاختال لامعاً وحل عقود الغيث فارتض هاملا
فقلت عسى منك أعلى صنائعاً إذا ما رجوناه وأرجى مخايلا

وإنما نسج فيه على منوال البحتري فقال [من الكامل] :

قد قلت لغيم الركام وجاد في إبراقـــه وألح في إرعاده
لا تعرضن لجعفر بشبيهه ندى يديه فلست من أنداده

وقال السري من قصيدة [من الكامل] :

قامت تميل لعناق مقوده كالخوط أينع في النمار وأغربا
حملت ذراه الأقحوان مفضضاً يسقى المدامة والشقيق مذهبا
وأبت وقد أخذ انتقاب جمالها حركات غصن البان إن تتنقبا

وهو من قول أبي تمام من المنسرح [:

أرحب حمار أعل المرعى ونفست تناظرين يقد من السقب

وقال السرى فى وصف شعره [من الكامل]

وعريبه تجرى عليك رياحها أرجاً إذا لفحت عدوك نارها
من له غرر الكلام تفتحت أبوابها وترفعت أستارها
تجرى وتطلبه عصائب قصرت عن شأوها فقصارها إقصارها
فتعيش بعد مماته أشعاره وتموت قبل عمائها أشعارها

وهو من قول دعبل [من الطويل] :

يموت رديء الشعر من قبل أهله وجيده يبقى وإن مات قائله

وقال من قصيدة [من الرمل]

صادق البشر يرى ماء الندى أيرتوى فى وجهه و يحدر
قلت إذ برز سبقا فى العلا أإلى المجد طريق محصر ؟

وهو من قول البحترى [من البسيط]

ما زال يسبق حتى قال حاسده له طريق إلى العلياء مختصر

وفى قصيده السرى [من الرمل]

قد يقضى الصوم محموداً فعد هوى يحمد أو راح يسر
أب والعيد الذى عاودته عرتا هذا الزمان المعتكر
لك فيك المدح حتى خلته سراً لم أشق فيه لسهر

وهو من قول ابن الرومى [من المنسرح]

المجد كان لى ولا كسبو ناسبٌ كان لى ولا نسبو

وقال من قصيدة [illegible]

[illegible]

وكست مفرق عمامة ضرب أرجوانية الذوائب تندى

وهو من قول ابن المعتز [من الطويل] :

ألا رب يوم قد كسوكم عمائماً من الضرب في الهامات حمر الذوائب

وقال السري من قصيدة في المهلبي الوزير [من الكامل] :

وأرى العدو نقيصة في عمره وأرى الصديق زيادة في حاله
بوقائع للبأس في أعدائه ووقائع للجود في أمواله
عذلوه في الجدوى ومن يثني الحيا أم من يسد عليه طرق سجاله

وهو من قول المتنبي [من البسيط] :

وما ثناك كلام الناس عن كرم ومن يسد طريق العارض الهطل؟!

وقال من قصيدة في وصف طير الماء [من الطويل] :

وآمنة لا الوحش يذعر سربها ولا الطير منها داميات المخالب
هي الروض لم تمش الخمائل زهره ولا اخضل عن دمع من المزن ساكب
إذا ابتعثت بين الملاعب خلتها زرافي كسرى بثها في الملاعب

وهو من قول ابن الرومي [من الطويل]

زرافي كسرى بثها في صحونه ليحضر وعداً أو ليجمع عجمه

وفي قصيدة السري [من الطويل] :

وإن آنست شخصاً من الناس صرصرت كما صرصرت في الطرس أقلام كاتب

وهو من قول أبي نواس [من الرجز] :

كأنما يصفرن عن ملاعق صرصرة الأقلام في المهارق

وقال في وصف رقاص [من الوافر]

إذا احلولت ما حركه لرقص حنين الطير القلوب إليه نزوا
أفارس أنت أحسن من تنى على صهوات ملهبة جرى

وهو من قول الصنوبرى [من المتقارب] :

فمن متلو على نايه ومن مثن عـــلى صنجه

وقال من قصيدة فى سيف الدولة [من البسيط] :

بكاهل الملك سيف الدولة أطأدت قواعد الدين واشتدت كواهله[1]

من الرماح وإن طالت مخاصره كما الدروع وإن أوهت غلائله

وهو من قول البحترى [من الطويل] .

ملوك يعدون الرماح مخاصرا إذا زعزعوها والدروع غلائلا

وقال فى وصف السحاب والبرق من قصيدة [من الرجز] :

وعارض أكلأ فيـــه بارقا كالنار شبت فى ذرى طود أسم[2]

كأنه نشوان جر ذيله فكلما ريع انتضى عضبا خذم[3]

وهو من قول ابن المعتز [من الطويل] :

كأن الرباب الجون دون سحابه خليع من الفتيان يسحب مئزرا

إذا أدركته روعه من ورائه تلفت واستل الحسام المذكرا

وفى قصيدة السرى [من الرجز] :

ورب يوم تكتسى البيض به لوناً فتكسو لونها سود اللمر

وهو من قول المتنبى [من الخفيف] :

واستعار الحديد لوناً وألقى لونه فى ذوائب الأطفال

وقال من قصيدة [من الكامل]

وأنا العداء لمرغم فى العدى إذ زارنى وهماً على عدوائه

---

(١) أطأدت : أى اشتدت وقويت

(٢) الأشم المرتفع العالى .

(٣) الخذم السيف القاطع

قوله إذا ما الوشي صين أذاله كما يصون بهاءه بهائه

وهو من قول المتنبي [من الوافر] :

لبسن الوشي لا متجملات ولكن كي يصن به الجمالا

وفي قصيدة السري [من الكامل] :

ضعفت معاقد خصره وعهوده فكأن عقد الخصر عهد وفائه

واللفظ من قول ابن المعتز [من الرجز] :

« وشادن ضعيف عقد الخصر

وقال السري من قصيدة [من البسيط] :

حليه وتنايا وعنـــبره كل ينم عليه أو يراقبه

فلست أدري إذا ما سار في أفق تمائل الأفق أدكى أم جنائبه

سرى من الخيف يخفي البدر مستفا والبدر يأنف أن تخفى مناقبه

وإنما ألم فيه بقول كشاجم [من الكامل

بأبي وأمي زائر متقنع لم يخف ضوء البدر تحت قناعه

وقال في وصف القمر من قصيدة في أبي إسحاق الصابي [من الكامل] :

وبتي إذ هز البرق حسامه لمضاء عزمه يهز مناصلا

في كل مخفق البرد يطلق راكب ليلا حامله وتصمت راجلا

[illegible]

[illegible]

[illegible]

وهو من قول الشاعر [من البسيط] :

رأيت يحيى أدام الله بهجته ... يأتى من الجود ما لم يأته أحد
ينسى الذى كان من معروفه أبدا ... إلى الرجال ولا ينسى الذى يعد

وقال من قصيدة [من المتقارب] :

نعيد إذا رمت إدراكه ... وإن كان فى الجود سهلا قريبا
ضرائب أبدعتها فى السماح ... فلسنا نرى لك فيها ضريبا

وهو من قول البحترى [من المتقارب] :

ولونا ضرائب من قد نرى ... فما إن رأينا لفتح ضريبا

وقال من قصيدة [من الطويل] :

فتى شرع المجد المؤثل : فالعلا ... مآربه . والمكرمات شرائعه
إذا وعد السراء أنجز وعده ... وإن أوعد الضراء فالعفو مانعه

وهو من بيت تشتمل عليه قصة حكاها المبرد عن أبى عثمان المازنى . قال حدثنى محمد بن مسعر قال : جمعنا بين أبى عمرو بن العلاء وعمرو بن عبيد فى مسجدنا ، فقال له أبو عمرو : ما الذى يبلغنى عنك فى الوعيد ؟ فقال : إن الله وعد وعداً وأوعد إيعاداً فهو منجز وعده ووعيده ، فقال له أبو عمرو إنك أعجمى ولا أعى لسانك ، ولكن فهمك ، إن العرب لا تعد ترك الإيعاد خلفا ، وتعده مدحا ، ثم أنشد

وما يرهب ابن العم ما عشت صولتى ... وما أخشى من صولة المتوعد
وإنى إذا أوعدته أو وعدته ... لمخلف إيعادى ومنجز موعدى

فقال له عمرو : أفتسمى ترك الإيعاد خلفا ؟ قال : نعم ، قال أفتسمى [illegible]

وقال السرى من أبيات [من الخفيف] :

لحظت عزمتى العراق فسلت همتى للرحيل سيف اعتزامى
فسلام على جنابك والمذ هل والظل والأيادى الجسام

وهو من قول البحترى [من الخفيف] :

فسلام عـــلى جنابك والمذ هل فيـــه وربعك المأنوس
حيث فعل الأيام ليس بمذمو م ووجه الزمان غير عبوس

وقال فى وصف أشعاره [من الخفيف] :

خلع غضـــة النسيم غذاها صفو ماء العلوم والآداب
فهى كالخرد الأوانس يخلط ن شماس الصبا بأنس التصابى[1]
رقة فوق رقة الحضر تبدى فطنه دون فطنة الأعراب

وهو من قول الطائى [من الكامل] :

لا رقة الحضر اللطيف عدتهم وتباعدوا عن فطنة الأعراب

وقال السرى من قصيدة من الكامل :

أنبستنى النعمى الى غيرى لى ود الصديق فعاد منها حاسدا
فلتلبسن بها الثناء مسيرة ومخلد ما دام يذبل خالدا

والبيت الأول من قول البحترى [من الطويل] :

وأنستنى النعمى التى غيرت أخى عسلى فأمسى بازحا يرد أجنا

وقد أخذت بطرف من ذكر سرقاته . ولا بأس أن أورد بعض ما كرره من معانيه ، فلا منها إلا بديع رائع . وإنما كررها إعجابا بها واستحسانا لما اخترعه منها

---

(١) التصابى ـ بكسر الشين بزنة الكتاب ـ الاباء والامتناع

ذكر ما تكرر من معانيه

قال من أبيات فى الاستزارة [من الطويل]:

ألست ترى ركب الغمام يساق وأدمعه بين الرياض تراق
ورقت جلابيب النسيم على الثرى ولكن جلابيب الغيوم صفاق

وقال فى معناه [من الكامل] :

راح الغمام به صفيقاً شربه وغدا به ثوب النسيم رقيقا

وقال فى قريب منه [من مجزوء الكامل] :

فهواؤه سكب الردا ـ وغيمه جاف الإزار

وقال من تلك الأبيات [من الطويل] :

وذو أدب جلت صنائع كفه ولكن معانى الشعر منه دقاق

وقال فى معناه [من الكامل] :

أعلى كم نعم منحت جليلة منحتك معنى فى الثناء دقيقاً
يلقى الندى برقيق وجه مسفر فإذا التقى الجمعان عاد صفيقاً
رحب المنازل ما أقام فإن سرى فى جحفل ترك الفضاء مضيقاً

وقال فى معناه [من الطويل] :

فطوراً لكم فى العيش رحب منازل وطوراً لكم بين السيوف زحام

وقال يمدح من الكامل] :

فلتشكرنك دولة جددتها تتجددت أعلامها ومنارها
حلتها وحميت بيضة ملكها فخرار سيفك سورها وسوارها

وقال فى معناه من الوافر] :

تحلى الدين أو تحمى حماه فأنت عليه سور أو سوار

وقال [من الكامل] :

نشر الثناء فكان من إعلانه وطوى الوداد فكان من أسراره
كالنخل يبدى الطلع من أثماره حباً ويخفى الغض من جماره

وقال فى معناه [من البسيط] :

أصبحت أظهر شكراً عن صنائعه وأضمر الود فيه أى إضمار
كيانع النخل يبدى للعيون ضحى طلعاً نضيداً ويخفى غض جمار

وقال فى وصف الشمع [من الرجز] :

أعددت لليل إذا الليل غسق وقيد الألحاظ من دون الطرق
قضبان تبر عريت عن الورق شفاؤها إن مرضت ضرب العنق

وقال فى معناه [من الكامل] :

فرجتها بصحائح إن تعتلل فلهن من ضرب الرقاب شفاء

وقال فى معناه [من مجزوء الكامل]:

وإذا عرتها مرضة فشفاؤها ضرب الرقاب

وقال فى معناه [من السريع] :

سيافها يضرب أعناقها وهو بذاك الفعل يحييها

وقال [من الرجز] :

قد أغتدى بشوان من خمر الكرى أجر بردى على برد الثرى

والصبح حل بين أحشاء الدجى

وقال فى معناه [من الكامل] :

والصبح حل فى حشى الظلماء

وقال فى وصف الخمر من المتقارب :

إذا غادها مخطئا أو مصيبا رمى نحوها داعيا أو مجيبا

وخذ لهباً ،حره فى غد إذا الحسر قارن يوما لهبا

وقال فى معناه [من البسيط] :

هات التى هى يوم الحشر أوزار كالنار فى الحسن عقبى شربها النار

وقال فى معناه [من الخفيف] :

هاتها لم نباشر النار واعلم أنها فى المعاد للشرب نار

وقال من أبيات [من المنسرح] :

أنظر إلى الليل كيف تصدعه راية صبح مبيضة العذب

كراهب حن لهوى طربا فشق جلبابه من الطرب

وقال فى معناه [من السريع] :

والفجر كالراهب قد مزقت مر طرب عنه الجلابيب

وقال يمدح [من الخفيف] .

يخضب الكف بالمدام وطورا يخضب السيف من دم مهراو

وقال فى معناه [من المتقارب] :

ونخضب بالراح أيماننا ونخضب بالدم أرماحنا

وقال فى الغزل ، وهو من غرره [من الوافر] :

بنفسى من أجود له بنفسى ويبخل بالتحية والسلام

وحتفى كامن فى مقلتيه كمون الموت فى حد الحسام

وقال ، ونقل معناه إلى الخمر [من الكامل] :

ويريه أعلى الرأى حزم كامن فيه كمون الموت فى حد القضب

وقال فى معناه [من المقارب

أما للمحبين من حاكم ينصفنى اليوم من ظالمى

حمانى فى طرفه كامن كمون المنى فى المنى

وقال فى معنى آخر [من البسيط] :

وفتية زهر الآداب بينهم أبهى وأنضر من زهر الرياحين
مشوا إلى الراح مشى الرخ وانصرفوا والراح تمشى بهم مشى الفرازين

وقال فى معناه [من السريع] :

حتى إذا الشمس بها آذنت خيامها الصفر بقلع الأواخى
راحوا عن الراح وقد أبدلوا مشى الفرازين بمشى الرخاخ

وقال فى قلب معناه ووصف الشطرنج [من الكامل] :

يبدى لعينك كلما عاينته قرنين جالا مقدما ومخاتلا
فكأن ذا صاح يسير مقوما وكأن ذا ثعبان يخطر ماثلا

وقال يصف كانون نار [من المتقارب] :

وذو أربع لا يطيق النهوض ولا يألف السير فيمن سرى
نحمله سبجاً أسودا فيجعله ذهباً أحمرا

وقال فى معناه [من مجزوء الوافر] :

وأحدقنا بأزهر خا فقات حوله العدد
فما ينفك من سبح يعود كأنه ذهب

وقال يمدح [من الوافر] :

وكم خرق الحجاب إلى مقام توارى الشمس فيه بالحجاب
كأن سيوفه بنى العوالى حماة يطردن خلال غاب

وقال فى معناه من الطويل :

كأن سيوف [illegible] حمول فى غلب تعم فتاشيا(١)

---

(١) [illegible] حتيط الحتم

وقال فى معناه [من الكامل] :

أسد لها من بيضها وسمرها جـــداول مطردات وأجم

وقال فى وصف شعره [من الوافر] :

إليك زففتها عـــذراء تأوى حجاب القلب لاحجب القباب
أذبت لصوغها ذهب القوافى فأدت رونق الذهب المذاب

وقال فى معناه [من الوافر] :

وخذها كالنهاب الحلى تعنى عن المصباح فى الليل الهابا
مشعشعة كأن الطبع أجرى على صفحاتها الذهب المذابا

* * *

وعلى ذكر الشعر فإنى كاسر عليه فصلا ، لفرط استحسانى جودة وصفه له ، وموافقته الموصوف :

قال فى وصف شعره من قصيدة [من الوافر] :

وما زالت رياح الشعر شتى فمن ريا الهبوب ومن سموم
نحى الصاحب الطلق المحيا وتعلن شتم ذى الوجه التنيم[1]
منحتك من غاسنا بيعاً مقيم الزهر سبار النسيم

وقال من أخرى [من الكامل] :

قل للعدو إليك عن ذى عنده ما نار إلا نال أبعد ثأره
صل الفريض إذا ارتوت أنيابه من سمه قطرت على أشعاره[2]
لو أنه جارى عنيق ضيء فى احليتيه تبرقعا بغباره[3]

---

١) التنيم . الكريه الوجه .
٢) الصل : الحية
(٣) يريد بعنيق ضيء أنا نديم والبحترى

وقال من أخرى [من الكامل] :

شغلتك عن حسن السماع مدائح ... حسنت فما تنفك تطرب سامعا
طلعت عليك أبا الفوارس أنجم ... منهن يخجلن النجوم طوالعا
زهر إذا صافحن سمع معاند ... خفض الكلام وغض طرفا خاشعا
جاءتك مثل بدائع الوشى الذى ... مازال فى صنعاء يتعب صانعا
أو كالربيع يريك أخضر ناضرا ... وموردا شرقا وأصفر فاقعا

وقال من أخرى [من الطويل] :

وكم مدحة غب النوال تبسمت ... كما ابتسم النوار غب حيا أروى
وما ضر عقدا من تناه نظمته ... وفصلته أن لايعيش له الأعشى

وقال من أخرى [من البسيط] :

جاءتك كالعقد لاتزرى بناظمها ... حسناً وتزرى بماقالوا وما نظموا
والشعر كالروض ذاظلم وذاخضل ... وكالصوارم ذا ناب وذا خذم[1]
أو كالعرائس هذا حظه خفر ... مزر عليه وهذا حظه شمم[2]

وقال من المتقارب :

وفكر خواطره ألمست ... علاك من المجد توبا خطيرا
محاسن لو عاينت قيصر ... لحسن عند الحسان القديرا[3]
إذا ما جعلت خلع المديح ... عليهن رقت فكانت حريرا

وقال [من المسرح] :

وخاطره من سنا ذهنه ... مكر تعدت حسبها البدعا
وعين الحسود لفضله فعمد ... ير فيها مطمعا ومسعا

---

(١) الصوارم : السيوف القطاع ، والخصم : القاطع . والذاب : الذى لا يقطع .
(٢) الخفر : الأعرابية الحسنة . والشمم : ارتفاع الأنف وقصر الأرنبة وحسن

وقال [من البسيط] :

سأبعث الحمد موشياً سبائبه ... إلى الأمير صريحاً غير مؤتشب[1]
إن المدائح لا تهدى لناقدها ... ألا وألفاظها أصفى من الذهب
كم رضت بالفكر فيها روضة أنفا ... تفتح الزهر منها عن جنى الأدب
لفظ يروح له الريحان مطرحا ... إذا جعلناه ريحانا على النجب

وقال [من الطويل] :

أتتك بحول ماء الطبع فيها ... مجال الماء فى السيف الصقيل
فواف إن تنت للمرء عطفاً ... نفى الأعطاف فى برد جميل

وقال [من الطويل] :

شرقت بماء الطبع حتى حلتها ... شرقت لرونقها بتبر ذائب
ويقول سامعها إذا ما أنشدت ... أعقود حمد أم عقود كواكب

وقال [من الكامل] :

واليس عرائس مدحة دبجتها ... فكأنما دبجت منها مطرفا
من كل بيت لو تجسم لفظه ... لرأيته وشياً عليك مفوفا

وقال [من الكامل] :

ألفاظه كالدر فى أصدافه ... لا بل يزيد عليه فى لألائه
من كل رائقة الجمال كأنها ... جاد الشباب لها بريقة مائه

وقال [من الكامل] :

والشعر بحر لست أعلم درة ... ونفائس الشعراء فى حصبائه

وقال [من الكامل] :

وعرائس من السيوف يصدنه ... وحسان من العسكر لدن قدود

(١) المؤتشب : جمع سبيبة ، وهى الشقة الرقيقة من القز . والصريح الخالص . والمؤتشب : المختلط

فلو استعار الشيب بعض جمالها أضحى إلى البيض الحسان وسائلا
جاءتك بين رصيته ودقيقـــه تهدى إليك مطارفا وغلائلا

* * *

ما أخرج من غرره فى الخالديين وغيرهما ممن ادعى شعره

قال يتظلم من الخالديين والتلعفرى إلى سلامة بن فهد [من الطويل] :

هل الصبر مجد حين أدرع الصبرا وهل ناصر للشعر يوسعه نصرا
تعجب شعرى يا ابن فهد مصالت عليه فقد أعدمت منه وقد أثرى(١١)
وفى كل يوم للغبيين غارة تروع الماظى المحجـــلة الغرا
إذا عن لى معنى يضاحك لفظه كما ضاحك النوار فى روضه الغدرا
غريب كشطر البرق لما تبسمت مخائله للفكـــر أودعته سطرا
فوجه من الفتيـان يمسح وجهه وصدر من الأفوام يسكنه الصدرا
تناوله مثر من الجهل معدم من الحلم معذور متى خلع العذرا
فبعد ما قربت منه غباوة وأوزر ما سهلت من لفظه وعرا
فهلا أبا عثمان مهلا فإنمـا يغار على الأشعار من عشق الشعرا
لأطفأتما تلك الجوم بأسرها ودنستما تلك المطارف والأزرا
فويحكما هلا بشطر قنعتما وأبقيتما لى من محاسنه شطرا

وقال من قصيدة مدح بهـا أبا البركات لطف الله بن ناصر الدولة يتظلم إليه من الخالديين . وقد ادعيا شعره وشعر غيره ومدحا به المهلبى وغيره من البسيط] :

يا أكرم الناس إلا أن يعـد أحـ مات الكرام آباء وآثار
أشكو إليك حنيفى غارة سهرا سف الشقاق على ديباج أفكارى

(١١) تحيف : اغتصب . والمصالت : السارق

ذئبين لو ظفرا بالشعر فى حرم ... لمزقاه بأنياب وأظفار
سلا عليه سيوف البغى مصلتة ... فى جحفل من صنيع الظلم جرار
وأرخصاه فقل فى العطر يمتهناً ... لديهما يشترى من غير عطار
لطائم المسك والكافور فاتحة ... منه ومنتخب الهندى والغار (١)
وكل مسفرة الألفاظ تحسبها ... صفيحة بين إشراف وإسفار
أرقت ماء شبابى فى محاسنها ... حتى ترقرق فيها ماؤها الجارى
كأنها نفس الريحان يمزجه ... صبا الأصائل من أنفاس نوار
إن قلداك بدر فهو من لجج ... أو خيماك ياقوت فأحجارى
باعا عرائس شعرى بالعراق فلا ... تبعد سباياه من عون وأبكار
مجهولة القدر مظلوم عقائلها ... مقسومة بين جهال وأغمار
ما كان ضرهما والدر ذو خطر ... لو حلياه ملوكا ذات أخطار
وما رأى الناس سبياً مثل سبيهما ... بيعت نفيسته ظلماً بدينار
والله ما مدحا حياً ولا رثيا ... ميتاً ولا افتخرا إلا بأشعارى
هذا وعندى من لفظ أشعشعه ... سلافة ذات أضواء وأنوار
كريمة ليس من كرم ولا التئمت ... عروسها بخمار عند خمار
تنشا خلال شغاف القلب إن نشأت ... ذات الحباب خلال الطين والقار
لم يبق لى من قريض كان لى وزرا ... على الشدائد إلا ثقل أوزارى (٢)
أراه قد هتكت أستار حرمته ... وسائر الشعر مستور بأستار
كأنه جنة راحت حدائقها ... من الغيين فى نار وإعصار (٣)

(١) اللطيمة : وعاء المسك
(٢) الوزر : الملجأ والمعين
(٣) الاعصار : ريح شديدة تصحب بنار أحيانا

عار من النسب الوضاح منتسب في الخالديين بين العز والعار

وقال من قصيدة في أبي تغلب ذكر فيها أحد الخالديين [من الطويل] :

ولا بد أن أشكو إليك ظلامة وغارة مغوار سجيته الغصب
يخيل شعري أنه هوم صالح هلاكا وأن الخالدي له سقب(١)
رعى بين أعطان له ومسارح فلم ترع فيهن العشار ولا النجب
وكان رياضاً غضة فتكدرت مواردها واصفر في تربها العشب
يساق إلى الهجن المقارف حليه وتسلبه الغر المحجلة القب
غصبت على ديباجه وعقوده فديباجه غصب وجوهره نهب
وأبكاره شتى أذيل مصونها وريعت عذاراها كما روع السرب
وكنت إذا ماقلت شعراً أحدت به حداة المطايا أو تغنى به الشرب

وقال في الخالدي الأصغر وقد ادعى كثيراً من شعره [من السريع] :

لا بد من نفثه مصدور فاعذروا صولة مخذور
قد أنست العالم غاراته في الشعر غارات المغاوير
أتكلي غيد هواف عدت أبهى من الغيد المعاطير
أطيب رشفاً من نسيم الصبا حازت بريا الورد من حور(٢)
من بعده فتحت أزهاره فاستعمت بسر الأزاهر
وبات فكري بعد بينها يقسب نقس الدبابير
وزرت لأغفال بحر من الغواني والمتاهير(٣)
أعصي عذالك ما يقدر رحت بسلك مدعور

---

(١) السقب ولد الناقة.

(٢) الحور [illegible]

(٣) الأغفال جمع غفل وهو [illegible]

وقال من قصيدة خاطب فيها أبا الخطاب المفضل بن ثابت الضبي وقد سمع أن الخالديين يريدان الرجوع إلى بغداد ، وذلك فى أيام المهلبي الوزير [من الكامل] :

بكرت عليك مغيرة الاعراب ... فاحفظ تيابك يا أبا الخطاب
ورد العراق ربيعه بن مكدم ... وعتيبة بن الحارث بن شهاب
أفعندنا شك بأنهما هما ... فى الفتك لا فى صحة الأنساب
جلبا إليك الشعر من أوطانه ... جلب التجار طرائف الأجلاب
فبدائع الشعراء فيما جهزا ... مقرونة بغرائب الكتاب
شنا على الآداب أقبح غارة ... جرحت قلوب محاسن الآداب
فحذار من حركات صلى قفره ... وحذار من حركات ليتى غاب
لا يسلبان أخا الثراء وإنما ... يتناهبان نتائج الألباب
إن عز موجوء الكلام عليهما ... فأنا الذى وقف الكلام ببابى
أو يهبطا من ذلة فأنا الذى ... ضربت على الشرف المطل قبابى
كم حاولا أمدى فطال عليهما ... أن يدركا إلا متار ترابى
عجزا ولى تقف العبيد إذا حرت ... يوم الرهان مواقف الأرباب
ولقد حميت الشعر وهو لمعشر ... ذم سوى الأسماء والألقاب
وضربت عنه المدعين وإنما ... عن حوزة الآداب كان ضرابى
صدت نبيط الخالدية تدعى ... شعرى وترفل فى حبير ثيابى
قوم إذا قصدوا الملوك لمطلب ... نقضت عمائمهم على الأنواب
من كل كهل تستطير سباله ... لونين بين أنامل البواب
مغض على ذل الحجاب يرده ... دامى الجبين تجهم الحجاب

ومفوهين عرضا لحرائق فتعرضت لهما صدور حرائق
نظرا إلى شعر يروق فقربا منه خدود كواعب أتراب
شرباه فاعترفا له بعذوبة ولرب عذب عاد سوط عذاب
فى غارة لم تنثنى فيها الظبا ضربا ولم تند القنا بخضاب
تركت غرائب منطق فى غربة مسبية لاتهتدى لإياب
جرحى وما ضربت بحد مهند أسرى وما حملت على الأقتاب
لفظ صقلت متونه فكأنه فى مشرقات النظم در سحاب
وكأنما أجريت فى صفحاته حر اللجين وخالص الزرياب(١)
أغربت فى تحبيره فرواته فى زهة منه وفى استغراب
وقطعت فيه شبيبة لم تشتغل عن حسنه بصباً ولا بتصابى
وإذا ترقرق فى الصحيفة ماؤه عبق النسيم فذاك ماء شبابى
يصغى اللبيب له فيقسم لبه بين التعجب منه والإعجاب
جد يطير شراره وفكاهة تستعطف الأحباب للأحباب
أعزز على بأن أرى أشلاءه مدمى بظفر للعدو وناب
أفن رماه بعارة مأفونه باعت ظباء الروم فى الأعراب
إنى أحذر من يقول قصيدة عراء عندى غارة ونهاب
إنى نبذت على السواء إليكما فتأهبا للقادح المنتاب
وإذا نبذت إلى امرىء متاقه فلتسعد اسطوتى وعقابى

وهى طويلة متناسبة فى الجنس والعدوبة

وقال من قصيدة فى أبى إسحاق الصابى . وقد ورد عليه كتاب الخالديين بأنهما منحدران إلى بغداد فى سرعة من الخفيف] :

قد أظلتك يا أبا إسحاق غارة اللفظ والمعانى الدقاق

---

(١) الزرياب : الذهب .

فاتخذ معقلا لشعرك تحميـــه مروق الخوارج المراق
قبل رقراقه الحديد تريق الـــسم فى صفو مائه الرقراق
كان شن الغارات فى البلد القف ر فأضحى على سرير العراق
غارة لم تسكن بسمر العوالى حين شدت ولا السيوف الرقاق
جال فرسانها على جلوساً لا أقلتهم ظهور العتاق
فجعت أنفس الملوك أبا الهيـــجاء حربا بأنفس الأعلاق

يعنى أبا الهيجاء حرب بن سعيد أخا أبى فراس الحمدانى .

بقواف مثل الرياض تمشت بين أنوارها جياد السواق
بدع كالسيوف أرهفن حسنا وسقاهن رونق الطبع ساق
مشرقات تريك لفظا ومعنى حمرة الحلى فى بياض التراق
يالها غارة تفرق فى الحو مة بين الحمام والأطواق
تسم الفارس السميدع بالعا ر وبعض الإقدام عار باق
لو رأيت القريض يرعد منها بين ذاك الإرعاد والإراق
وقلوب الكلام تخفق رعباً تحت نبى لوائها الخفاق
وسيوف الظلام تفتك فيها بعذارى الطروس والأوراق
والوجوه الرقاق دامية الأد شار فى معرك الوجوه الصفاق
لتنفست رحمة للخدود ا سمر منهن والقدود الرشاق
والرياض التى ألح عليها كاذب الودق صادق الإحراق(١)
والنجوم التى تظل نجوم ا أرض حسادها على الإشراق
بعدما لحن فى سماء المعالى طلعا وانتزن فى الآفاق
وتحيرت حليهن فلم تع د حيار البحور والأعماق

(١) الودق : المطر .

وقطعت الشباب فيه إلى أن هم برد الشباب بالإخلاق
فهو مثل المدام بين صفاء وبهاء ونفحة ومذاق
منطق يخجل الربيع إذا حل عليه السحاب عقد النطاق
يا هلال الآداب يا ابن هلال صرف الله عنك صرف المحاق
سوف أهدى إليك من خدم المجد إماء تعاف قبح الإباق
كل مطبوعة على اسمك باد وسمها فى الجباه والآماق

غرر من أهاجيه للشعراء

قال من قصيدة هجا بها أبا العباس الناشى ، ويحكى أنه كان جزارا بالمدينة من الوافر]:

أرى الجزار هيجنى وولى فكاشفنى وأسرع فى انكشافى
ورقع شعره بعيون شعرى فشاب الشهد بالسم الذعاف
لقد شقيت بمدينك الأضاحى كما شقيت بمارتك القوافى
توعر نهجها بك وهو سهل وكدر وردها بك وهو صاف
فتكت بها متقفة النواحى على فكر أشد من الثقاف
لها أرج السوالف حين تجلى على الأسماع أو أرج السلاف
جمعن الحسنيين من رياح معبرة وأرواح خفاف
وما عدمت مغيراً منك يرمى رفيق طباعها بطباع جاف
معان تستعار من الدياجى وألفاظ تقد من الأتافى(١)
كأنك قاطف منها ثماراً سقت إليه إبان القطاف

(١) الأتافى : حجاره توضع عليها القدور ، واحدها أتفية بضم الهمزه وياؤها مشددة .

وشر الشعر ما أداه فكر تعثر بين حكد واعتساف
سأشنى الشعر منك بنظم شعر نبيت له على مثل الأثافى
وأبعد بالمودة عنك جهدى فقف لى بالمودة خلف قاف

وقال يعرض بالتلعفرى المؤدب [من الطويل] :

ينافسنى فى الشعر والشعر كاسد حسود كبا عن غايتى ومعاند
وكل غبى لو يباشر برده لظى النار أضحى حرها وهو بارد
أفيقوا فلن يعطى القريض معلم وهل يتولى الأغبياء عطارد
ولا تمنحوا منه الكرام قلائدا فليس من الحصباء تهدى القلائد

وقال من قصيدة فى أبى الحسن الشمشاطى [من الكامل] :

قد كانت الدنيا عليك فسيحة فاليوم أضحت وهى سم خياط
أسخطتنى وجناة عيشك حلوة فجنيت مر العيش من إسخاطى
وعلمت إذ كلفت نفسك غايتى أن الرياح بعينة الأشواط
أترومنى وعلى السماك محلتى شرفاً وبين الفرقدين صراطى
من بعد مارفع الأكابر مجلسى فجلست بين مؤمل وسماط
وعدت صوارم منطق مسهورة بين العراق تهز والفسطاط
وقد امتحنت دعاويا لك بيت عن بحر تمويه بعيد الشاطى
فرأيت علمك من حراً وخراطة ووجدت شعرك من فساوضراط

وقال من أرجوزة فى الخالدى [من الرجز] :

نوساً نعرس الخالدى نوسا أكل يوم تعتدى عروسا
حلته واعاصت فى نعيساً وفارقت من بلته ناووسا
صادفت ربع هوى مأنوساً ودلت من رحر طاوسا
وكيف تهوى وجهه العبوسا وهى ترى الأقمار والشموسا

هذه ملح مما قاله فى ابن المصب الملحى الشاعر

وكان شيحاً نصابب ، ويتعصب للخالديين على السرى ، وكان السرى يهجوه جاداً وهازلا ، وينسبه إلى القيادة ، ويذكر كثيراً مشاهدة أهل الريب فى منزله ، ولا يتق ولا يذر فى التولع به ، فمن ملحه فيه قوله من قصيدة [من الطويل] :

ومن عجب أن الغبين أبرقا ... معيرنى فى أقطار شعرى وأرعدا
فقد نقلاه عن بياض مناسبى ... إلى نسب فى الخالديه أسودا
وإن علياً بائع الملح بالنوى ... تجرد لى بالسب فيمن تجردا
وعندى له لو كان كفواً قوارصى ... قوارص بسرن الدلاص المسردا
ومغموسة فى الشرى والأرى هذه ... لبردى بها باغ وتلك لترتدى
لك الويل إن أطلعت بيض سيوفها ... وأطلقتها خزر النواظر سردا
ولست لجد القول أهلا وإنما ... أطير سهام الهزل مثنى وموحدا
نصبت لفتيان البطالة قبة ... يدحلها الفتيان كهلا وأمردا
وكان طريق القصف وعراً عليهم ... مسهلته حتى رأوه معبدا
وكم لذة لا من فيها ولا أذى ... هديت لها حدن الضلالة فاهتدى
قصدتهم وزناً فساويت بينهم ... ولم تأخذ السهم الحديد ليقصدا
وحتهم فسل ارتداد حصونهم ... بمائدة تكسى الشرائح والمدى
ومبيضة مما قراه محمد ... أبوك لكى تبيض عرضاً وتحمدا
نترت عليها القل عضاً كأنما ... سرت عل حر اللاجين الزبرجدا
ومصوغة بالزعفران عريضة ... كأن على أعطافها منه مجسدا
مريك وقد غطت ساضَ صفيره ... متلا من الكافور ألبس عسجدا
تحف بها مسهم كهول وفتية ... كأنهم عقد يحف مقلدا
فلا عذر الداعى إلى الزاد كلهم ... إذا صحة المدعو ردت لهم يدا

وملت بهم من غير فضل عليهم إلى الورد عضاً والشراب موردا
مناهدة إن فات مثلك طيبها تنفس مجروح الحشا أو تنهدا
معداً لهم فى كل يوم مجدد من الراح والريحان عيشا مجددا
إذا وصلوا أضحى الخوان مذبحا وإن هجروا أضحى سليباً مجرداً
وإن شرعوا فى لذة كنت بيعة وإن طمعوا فى مرفق كنت مسجدا
لك القبة العلياء أوضحت نهجها وأطلعت منها للفتوة مرقدا
يصادف منها الزور عيشاً مبردا وباطيه ملأى وظبياً مغردا
وقد فضلت نعم القباب لأنى نصبت عليها بالقصائد مطردا

وقوله فيه [فى الطويل]

طوى وده الملحى عنى فاطوى وقد كان لى خلا فأعرض والنوى
دعانى فنادانى بإنشاد شعره ولولا انصرافى عنه مت من الطوى(١)
وقال أتاك الخل قلت مازحا أتاك النوى ياباتع الملح بالنوى
وناولنى مسودة لو قرنتها إلى القار كانا فى سوادهما سوا
وقال أرى هذا النبراس لصقوه ورقته كالنجم قلت إذا هوى
وفضل فى الشعر امرأ غير فاضل فقلت له أمسك نطقت عن الهوى
ولو أبى أحمى التقاف لمثله وأعمل فيه العمز لا نصان واستوى(٢)

وقوله فيه [من الوافر]

سل الملحى كيف رأى عقابى وكيف وقد أتاب رأى نوالى(٣)
سقانى لهاتمى فسل صعبى وأعمد عنه أبى وناى

(١) الطوى — بزنة الفتى — عدم الأكل
(٢) التقاف — بكسر أوله بزنة كتاب — ما تسوى به الرماح
(٣) أتاب استنيط

أراه عنى ابن سكرة الهاشمي فإنه كان صديق الملحى ، ولهذا قال :

« سقاني الهاشمي فسل ضغنى » إلخ

وقال أخو المودة والتصافى وعون أخي الصبابة والتصافي
وشيخ طاب أخلاقا فأضحى أحب إلى الشباب من الشباب
له فقص إذا استضفيت فيه أمنت فلم تنلك يد الطلاب
طرقناه وفنديل الثريا يحط وفارس الظلماء كاف
فرحب واستمال وقال حطت ركابكم بأفنيـــة رحاب
وحض على المناهدة انتدامى بألفاظ مهذبة عذاب
وقال تيمموا الأبواب منها فكل جاء من تلقاء باب
فهذا قال قدر من طعام وهذا قال دن من شراب
وهذا قال ريحان ونقل وثلج مثل رقراق السراب
وسمح القوم من سمحت يداه بخدر غريرة بكر كعاب
فتم لهم بذلك لهو يوم غريب الحسن عذب مستطاب
إذا العسر الثقيل توزعته أكف القوم خف على الرقاب

وقوله فيه من الرجز :

أقررت يا ابن العصب العيونا ورحت حبلا لدخنا متينا
علمت قوما كيف يقصمونا فاطرحوا الحشمة مسرعينا
ودخلوا القبة آمنينا فأكلوا يومهم سمينا
ولم يكن سرورهم ممنونا يا من يرى زف الدنان دينا
ومن يدارى العين كي يبينا ما العيش إلا للمناهدينا
مقوده قصت على عسرينا ولو نهردنه بها خرينا

وقوله فيه من قصيدة [من البسيط] :

ملنا إلى غرفة الملحى إن بها ظبياً من الإنس مبذول الخلاخيل
نزوره وبقايا الليل تسترنا فنهتدى لخليع منه ضليل
يرضى النديم ويرضى عن مروءته إذا أتاه بمشروب ومأكول
وإن رآه رقيق الوجه قال أرق كأس الحياء بضم أو بتقبيل
فزدت إذ زرنه قنديل بيعته فالزيت ينشر أضواء القناديل

وقوله من أخرى [من مجزوء الرمل] :

قد وهى ستر رقيق ومضى ود علبل
قصرت أيامنا البي ض وفى يومك طول
دعوة بنسب القد ط إليها والمحول
ليس إلا العطش القا تل والماء الثقيل
مجلس فيه لأربا ب الحنا قال وقيل
وضراط مثل ما انشـ ق الدبيق الصقيل[1]
فاذا اختالت خلال الـ شرب عذراء شمول
لعبت أيد لها أو فيه القوم طبول
لست من شكلك والنا س ضروب وشكول
أنت للحاجة حتى يصدر الورد خليل
فاقطع الرسل فقد أر رى نا منك الرسول

وقوله فيه من المنسرح :

شيخ لنا من شيوخ بغداذ أغذ فى القصف أى إغذاذ[2]

(١) الدبيق : المنسوب إلى دبيق عند بمصر
(٢) أغذ : أسرع وأمعن

رق طباعا ومنطقا فضدا ... وراح فى المستشف كاللاذ(١)
تظن تحت الأكف عامته ... إذا علتها طنين مولاد
قواد إخوانه فإن ظمئوا ... سقاهم الراح سق نباد
له على الشط غرفة جمعت ... كل خليع نشا ببغداذ
أعد فيها انسة الشاك لهم ... مكورة الجنب فى ابنة الداذى
ولذة من صباح قطربل ... وجؤدرا من ملاح كلواذ(٢)
يقول للزائر المسلم به ... أوصل هذا ألذ أم هذى؟
وشاعر جوهر الكلام له ... ملك فن تارك وأخاذ
وخير ما فيه أنه رجل ... يخدمنى الدهر وهو أستاذى
إذا انثنى أقبلت أنامله ... تنثر ميتَ خلال أخاذى

وقوله فيه ، وكان دعاه فى يوم حار إلى غرفة له حارة على الشط ، فأطعمه هريسة وسقاه نبيذ الدبس وماء نثر يعرف بكرخايا(٣) [من الطويل] :

أرى الشاعر الملحى راح بناصا ... يباغضه عمداً ويوسعنا حبا
دعانا لستوفى الثناء فأظلمت ... خلائق يستوفى لصاحبها السبا
تيمم كركر حايا فجاد قليبها ... عليه وماسرب القليب لناثريا
وأحضر نا محبوسة طول ليلنا ... معدنة بالنار مسعره كربا
تخير من رطب الذؤابة لحمها ... ومن ناس الحب التى لها حبا
وساهرها ليلا يضبق سحبها ... فلما أضاء الصبح أوسعها ضربا
إذا مسحتها الريح راحت كأنها ... تمسح موقى كشفت عنهم الترا

---

(١) اللاذ : حرير أحمر صينى
(٢) كلواذ قرية أسفل بغداذ
(٣) كرخايا : مسيل فيض الماء من عمود على نهر عيسى ببغداذ

وداذية تنهى الصباح إذا بدا وتفسد أنفاس النسيم إذا هبا
شراب يغض الطرف عنه وعمره ثلاثة أيام وقد شب لا شبا
يحد بأطراف النهار وما اقترى ولا كان خدنا للجناة ولا تربا
فلما تراءت للجميع إزاءنا عجمت لمضروبين ما جنيا ذنبا

وقوله فيه أيضاً [من الخفيف] :

أربعاء حسامه متهور حين يأتى وشره محذور
تتوقاه أول الشهر إن دا ر ونخشاه آخراً لا يدور
فاغتد سراً نا إلى قفص الملا حى فالعيش فيه غض نضير
تتوارى من الحوادث والدهـ ـر خبير بمن توارى نصير
تحلس فى فناء دجلة يرتا ح إليه الخليع والمستور
طائر فى الهواء فالبرق يسرى دون أعلاه والحمام يطير
وإذا الغيم سار أسبل منه كلل دون خدره وستور
وإذا غارت الكواكب صبحاً فهو الكوكب الذى لايغور
ليس فيه إلا خمار وحمر ونمات من نشوه ونشور
وحديث كأنه زهر المنـ ـثور حسناً أو لؤلؤ منثور
وجريح من الدنان تسيل الـ ـراح من جرحه وقدر تمور
ولك الظبية الغريرة إن شئـ ـت وإن عفتها فضبى غرير
فتمتع بما تشاء نهاراً ثم بت معرساً وأنت أمير
كل هذا بدرهمين فإن زد ت فأنت المحل المحسور

وقوله فيه من قصيدة [من الطويل] :

تقمت فداء الخالدى بمطلق يثنى من الأعداء كل فداء
وناصاى لما جاء فأصحت جوارحه محروحة بسهام

وقد كان يخلى بيته لمآربى إذا زار إلف أو حبا بوصال
على أنه يكريه يوماً بخمسة موجهة بيض الوجوه ثقال
تحلت بذكر الله من كل جانب فهن بذكر الله خير حوالى
يبيح بها الملحى طوراً قذاله وطوراً حريمى منزل وعيال
فإن شئت أن تحظى بوصل غزالة مهفهفة الكشحين أو بغزال
فقدم له الجدى الرضيع وتنه بعذراء من ماء الكروم زلال
ولا تلقه إلا بخمر وسله يلوح على وجهيه خير مقال
ساز إذا أرسلته صاد كل ما تروم به أو نال كل منال

وقوله فيه من أخرى ووصف دعوه دعاه فيها [من المجتث] :

على ابن العصب الملحى يبى اليوم من أبى
على الجلد وإن صاد ف فى عظمه وهما
صحينا عنده يوماً شديد الحر فالتحـ
وم يحو به الأحر وثم نعدم به الما
حاعا نصف الزيتو ن لو أمسك واخبث
ونطرى السمك البنى والجردى والما
وكنا نمر الدر من اللفط فلطما
هو طارب نا صعف صا لاعنه طرنا
ولو أنا دعونا الله فى دعوته فزنا
إلى أن كبر العصر وهللنا فكبرنا
وبس السك المصو بالقرب فسحب
وقلنا هذه رحمه جاءت فأطلتنا
وطلب إذ رأينا الخمر بدو قبل نسمق

إلى مائدة حفت بها أرغفة متى
عليها البقل لانلحقه بالخل أو بفنى
ومنسوب إلى دجلة ما زال لها خدنا
جرى فى مائها قبل يجارى ماؤها السفنا
فأضحى لامتداد العمر أعلى صيدها سنا
طوى أقرانه الدهر فلم تبق له قرنا
فلما اكتحلت عينى به أوسعته لعنا
حللنا عقد الشوا - عن جسم له مضى
ومزقنا له درعا يوارى أعظما حجنا(١)
نرد اليد بالخيبة عن أقربها بجنى
فما تم لنا الإفطا ر بالقوت ولا صمنا
وطاف الشيح بالدن إلى أن نزف الدنا
فأدنى كدر العيش بها لا كان ما أدنى
مادام تجلب الهم ولا تطرده عنا
فلا النفس بها سرت ولا القلب لها حنا
كأن شرابه مطبوخ على راحته اليمنى
وفاح البخر القاء ل منه فتبحرنا
وقال اغتنموا وصل فتاة برعت حسنا
فجاءت تخجل البدر وغصن البانة اللدنا
وتصطاد قلوب السر - أجفان لها وسنى

(١) الحجن : المعوجة ، واحدها حجناء

فكدنا وأبى الله لنا والشيم الحسنى[1]
وقنا نعطف الأزر على العفة إذ قنا
وقلنا يالحاك الله نزنى بعد ما شبنا !
فأبدى الآنس للقوم وأخفى الحقد والضغنا
هو الشن وما وافق منا طيق شنا

وقوله فيه [من مجزوء الرمل] :

لك يا ابن العصب الملحى عرض مستباح
وقفاً فيه لابدى الشرب جد ومزاح
هو للصفع قريح وهو للرحب قراح
وقريض مثلما تنطق باللعو الفقاح
لست أدرى أسلاح لك منه أم سلاح

* * *

غرر من الغزل والنسيب وما يتغنى به من شعر السرى

وماأرانى أروى أحسن ولا أترف ولا أعذب ولا ألطف من قوله من البسيط] :

قسمت قلبى بين الهم والكمد ومقلتى بين فيض الدمع والسهد
ورحت فى الحسن أشكالا مقسمة بين الهلال وبين الغصن والعقد
أربى مضرا ينهل ساكه من الجفون وبرقاً لاح من برد
ووجنة لايروى ماؤها ظمئى عللا وقد لذعت نيرانها كبدى
فكيف أبقى على ماء التنون وما أبقى الغرام على صبرى ولا جلدى

(١) خبر كاد محذوف . والتقدير . فكدنا نفعل . وله نظائر فى العربية منها قول العرب : من تأنى نال أو كاد .

ومما يأخذ بمجامع القلوب قوله [من الوافر] :

بلانى الحب منك بما بلانى ... فشأنى أن تفيض غروب شانى
أبيتك الليل مرتفقاً أناجى ... نصدق الوجه كاذبة الأمانى
فتشهد لى على الأرق الثريا ... ويسلم ما أجن الفرقدان
إذا دنت الخيام به فأهلا ... بذاك الخيم والخيم الدوانى
فبين سجوفها أقمار تم ... وبين عمادها أغصان بان
ومذهبة الخدود بجلنار ... مفضضة الثغور بأقحوان
سقانا الله من رياك ريا ... وحيانا بأوجهك الحسان
ستصرف طاعتى عمن نهانى ... دموع فيك تلحى من لحانى
ولم أجهل نصيحته ولكن ... جنون الحب أحلى فى جنانى
فماولع العواذل حل عنى ... وياكف الغرام خذى عنانى

وقال من قصيدة [من البسيط] :

ومن وراء جموف الرقم تمس ضحى ... تجول فى جنح ليل مظلم داجى
مقدوده خرطت أيدى الشباب لها ... حقين دون محال العقد من عاج

عهدى بأبى بكر الخوارزمى يحن على هذا الوصف .

وقال من أخرى [من الخفيف] :

لطمت خدها بحمر لطاف ... نال منها عذاب بيض عذاب
فتشكى العناب نور الأقاحى ... واشتكى الورد ناضر العناب

وقال [من مجزوء الكامل] :

قامت وخوض الناس فى ... أنوابها
ويهرها سكران سكـ ... ـران ترابها وشبابها
تسعى بصهباوين من ... ألحاظها وترابها
فكأن كأس مدامها ... لما رنت بحبابها

توريد وجنتها إذا ما لاح تحت نقابها

وقال من الكامل [:

لبست مصندلة الثياب فمن رأى صنما تسربل قبلها أثوابا

وحكت من الظبي الغرير تلاثة جيداً وطرفا فاتراً وإهابا

وقال من قصيدة طويلة [من الطويل] :

إذا برزت كان العفاف حجابها وإن سفرت كان الحياء نقابها

حمتنا الليالي بعد ساكنة الحمى مشارب بهوى كل ظام سرابها

ألاحظها لحظ الطريد محله وأذكرها ذكر الشيوخ شبابها

* * *

تذكر أيام الصبا ومواطن الهوى

ما أحسن وأظرف قوله من قصيدة [من الكامل] :

أسلاسل البرق الذي لحظ الثرى وهناً فوشح روضه بسلاسل

أذكرننا النشوات في ظل الصبا والعيش في سنة الزمان الغافل

أيام أسفر صبوتي عن كاشح عمد وأسرع لدقي من عاذل

وقوله من أخرى [من الوافر] :

تبين البرق يذكرني التنائي على أثناء دجلة والشعابا

وأياما عهدت بها التصابي وأوطاناً صحبت بها الشبابا

وقوله من أخرى من الكامل :

ما كان ذاك العيش إلا سكرة رحلت لذاذتها وحل خمارها

ومن أخرى [من الطويل] :

وكم ليلة شمرت للراح رائحٌ وبت لعزلان الصريم معارلا

وحلت كأسي والسماء بحليها فما عطلت حتى بدا الأفق عاطلا

وقوله من قصيدة ينشوق بها الموصل ونواحيها وهو بحلب [من الكامل] :

أعل صبونا دعاء مشوق ... يرتاح منك إلى الهوى الموموق
هل أطرفن العمر بين عصابة ... سلكوا إلى اللذات كل طريق
أم هل أرى القصر المنيف معمماً ... برداء غيم كالرداء رقيق
وقلا لى الدير التى لولا النوى ... لم أرمها بغلى ولا بعقوق
محمرة الجدران ينفح طيبها ... فكأنها مبنية بخلوق
وعل خاشعة القلوب تغردوا ... بالذكر بين فروقه وفروق
أغشاه بين مسافق منجمل ... ومناضل عن كفره زنديق
وأغن تحسب جيده إبريقه ... ما دام يسفح عبرة الإبريق
يتنازعون على الرحيق غرائباً ... يحسبن زاهره كؤوس رحيق
صدرت عن الآفكار وهى كأنها ... رقراق صادرة عن الراووق
دهر ترفق بى فواقاً صرفه ... وسطا على فكان غير رفيق
فمتى أزور قباب مترفة الذرى ... فأرود بين السر والعبوق
وأرى الصوامع فى غوارب أكمها ... مثل الهوادج فى غوارب نوق

ما نظرت إلى الصوامع بقرية بوزن من نيسابور إلا تذكرت هذا البيت واستأنفت التعجب من حسن هذا التشبيه وبراعته وفصاحته

حمراً تلوح خلالها بيض كما ... فصلت بالكافور سمط عقيق
كلف تذكر فى تناهيه البهى ... ظلين ظل هوى وظل حديق
فتعرفت عبراته فى خده ... إذ لا محيد له من الفرنق

حسن الخروج والتخلص

فمنه قوله من قصيدة فى الوزير المهلبي [من الكامل] :

عصر مزجت شمائلي بشموله وظلاله بمروجـــه بشماله
حتى حسبت الورد من أشجاره يحيى أو الريحان من آصاله
وكأنني لما ارتديت ظلاله جار الوزير المرتدى بظلاله

وقال من أخرى [من الكامل] :

أكنى عن البلد البعيد بغيره وأرد عنه عنان قلب مائل
وأود لو فعل الحيا بسهوله وحزونه فعل الأمير بآمل

ومن أخرى [من الكامل] :

وركائب يخرجن من غلس الدجى مثل السهام مرفن منه مروقا
والفجر مصقول الرداء كأنه جلباب خود أشربته خلوقا
أغمامة بالشام شمن بروقها أم شمن من شيم الأمير بروقا

ومن أخرى [من المتقارب] :

وبكر إذا جئتها الجنوب حسدت العشار يوم العشار
ترى البرق يبسم سراً بها إذا ا تحب الرعد فيها جهارا
إذا ما تنمر وسميها تعصفر بارفها فاستطارا
يعارضها فى الهواء النسيم فينثر فى الأرض درآ صغارا
فطوراً يشق جيوب الحيا وطوراً يسح الدموع الغزارا
كأن الأمير أعار الربا سماله فاشتمل المعارا

ملح من المدح

قال من قصيدة من الكامل] :

ظلم التليد وليس من أعدائه وحما الحسود وليس من أحبائه

فالغيث يخجل أن يلم بأرضه والليث يفرق أن يطيف بغابه

ومن أخرى [من البسيط] :

أقول للبحتنى إدراك سؤدده حفض عليك أليس النجم مطلوبا
إن تطلب السلم تسلم من صوارمه أو توتر الحرب ترجع عنه محروبا
كم من جبين أزار السيف صفحته فعاد طرساً بحد السيف مكتوبا
وكم له فى الوغى من طعنة نظمت عداه أو نثرت رمحاً أنابيبا

ومن أخرى [من الكامل] :

كالغيث يحيي إن همى والسيل بر دى إن طما والدهر يصمى إن رمى
شتى الخلال يروح إما سالماً نعم العدى قسراً وإما منعما
مثل الشهاب أصاب فحماً معشباً بحريقه وأصاء فحماً مظلما
أو كالغمام الحون إن بعث الحيا أحيا وإن بعث الصواعق ضرما
أو كالحسام إذا تبسم منه عبس الردى فى حده فتجهما
كلف بدر الحمد بيرم سلكه حتى ترى عقداً عليه منظما
ويلم من شعث العلا بشمائل أحلى من اللعس المعنع واللمى

ومن أخرى [من الكامل] :

خلق سهول المكرمات سهوله وتوعر الأيام من أوعاره
إن لاح فهو الصبح فى أنواره أو فاح فهو الروض فى نواره

ومن أخرى [من الوافر] :

لقد شرفت تسوددك القوافى وفار بمجدك السرف التليد
فيوم الحرب تطربك المذاكى ويوم السلم تطربك النشيد

ومن أخرى من المقارب

ومقبل اليس سن الندى فأعطى القسوة حق الصباء

بكف ترقرق ماء الحياة ووجه يرفرق ماء الحياء

ومن أخرى [من الكامل] :

أما السماح فقد تبسم نوره بعد الذبول وعاد نور ذباله
أطلقت من أغلاله وشفيت من أعلاله وفتحت من أقفاله

ومن أخرى [من الكامل] :

نسب أضاء عموده فى رفعة كالصبح فيه ترفع وضياء
وشمائل شهد العداة بفضلها والفضل ماشهدت به الأعداء

ومن أخرى [من البسيط] :

يريك من رقة الألفاظ منطقه در العقود غدت محلولة العقد
حملته جنة من كل نائبه ورحت من حوده فى جنة الخلد

* * *

المدح بالبأس ، ووصف الجيش والسلاح والحرب

قال من قصيدة [من البسيط] :

باديك من مطر الإحسان ممطور ومرتجيك بعمر الجود معمور
والبيض ظل عليك الدهر ممتشر والنقع جيب عليك الدهر مزرور
والشرك قد هتكت أستار بيضه مجد سمك والإسلام منشور
كم وقعه لك سمت فى الضلال بها نور فأسرق منها فى الهدى نور
ونهضه حر وسطاط الكفور لها حوطا وأدمع وسطاط كافور

ومن أخرى من البسيط :

لله سيف تمى السيف شيمته ودولة حسنتها فخرها الدول
وعاشق حيلاء الخيل مبتذل نفسا تصون لمعالى حين تبتذل
أتم بندى الخصوص السير صاحبه حوطا وسلم من فيها ورتحل

تشوقه ورماح الخط مشرعة نجل الجراح بها لا الأعين النجل
كأنه وهجير الروع يلفحه نشوان مد عليه ظله الأسل
فالصافنات حشاياه وإن قلقت والسابقات وإن أوهت له حلل
لما تمرقت الأعماد عن شعل تمزقت عن سنا أقمارها الكلل
أكرم بسيفك فيها صائلا غزلا يفرى الشؤون وتنى غربه المقل

ومن أخرى [من الكامل] :

ولرب يوم لا تزال حياده مطأ الوشيج مخصاً ومحطماً
معقودة غرر الجياد بنقعه وحجولها عما تخوض من الدما
يلقاك من وضح الحديد موضحاً طوراً ومن رهج السنابك أدهما
أقدمت تفترس الفوارس حرأه فيه وهد هاب الردى أن يقدما
والنقع من فوق الأسنة سافراً وبنى الأعنة بالعجاج ملثما

ومن أخرى [من الوافر] :

وأغلب عامه فى السلم يوم ولكن يومه فى الحرب عام
يهجر والرماح عليه طل ويسفر والعجاج له لثام

ومن أخرى [من الكامل] :

حيتى إذا لاقى العدو صدوره لم يلق للأبجار منه لحوقا
حصنت له شمس النهار وأشرقت شمس الحديد محانيه سروقاً

ومن أخرى من الكامل

كم معرك عرك القنا أبطاله فسماهم فى النقع سما ناهداً
هب رياحك فى ذراه سمائما وعدت سماؤك تستهل خاثعا
فتركت من حر الحديد مصارعاً فيه ومن فيض الدماء مرابعا

ومن أخرى [من الرمل] :

والضحى أدهم بالنقع فإن ضحكت فيه الظبا كان أغر
موقف لو لم يكن ناراً إذن لم تكن زرق عواليه شرر
ينظم الطعن كلى أعداته وعقود الهام فيه تنتثر

* * *

العتاب

قال من قصيدة [من المتقارب] :

إلى كم أحبر فيك المديح ويلبق سواى لديك الحبورا
لهمت عرائسه أن تصد وهمت كواكبه أن تغورا
أيسنى بعد أن رحت لى على نوب الدهر جاراً مجيرا
وأسفر حظى لما رآ ك بيى وبين الليالى سفيرا
سأهدى إليك نسيم العتاب وأصمر من حر عتب سعيرا

وقال فى معناه من الوافر] :

أبا الهيجاء أصبحت القوافى تحب إليك حبا واعتمارا
عتاباً كالنسيم جرى لعتب يضرم فى الحشى منى استعارا

وقال يعاتب صديقاً أفشى له سراً من الطويل] :

رأيتك ترى للصديق نوافذاً عدوك من أمثالها الدهر آمن
وتكشف أسرار الاخلاء مازحاً ويارب مزح راح وهو ضغائن
سأحفظ مابيى وبينك صائناً عهودك إن الحر للعهد صائن
وألقاك بالبشر الجميل مداهناً على منك خل ماعرفت مداهن
أتم بما استودعته من زجاجه ترى الشىء فيها ظاهراً وهو باطن

وقال فى مثل ذلك [من الوافر] :

ثنتنى عنك فاستشعرت هجراً خلال فيك لست لها براض
وأنك كلما استودعت سراً أنم من النسيم على الرياض

وقال فى مثل ذلك [من البسيط] :

لسانك السيف لايخفى له أثر وأنت كالصل لاتبقى ولا تذر
سرى لديك كأسرار الزجاجة لا يخفى على العين منها الصفو والكدر
فاحذر من الشعر كسراً لا انجبار له فللزجاجة كسر ليس ينجبر

وقال فى مثل ذلك [من البسيط] :

أروم منك ثماراً لست أجنيها وأرتجى الحال قد حلت أواخيها
أستودع الله خلا منك أوسعه وداً ويوسعنى غشاً وتمويها
كأن سرى فى أحشائه لهب فما تطيق له طياً حواشيها
قد كان صدرك للأسرار جندلة ضنينة بالذى تخفى نواحيها
فصار من بعدما استودعت جوهرة رقيقة تستشف العين مافيها

وقال من قصيدة [من الكامل] :

لا تأنفن من العتاب وقرصه فالمسك يسحق كى يزيد فضائلا
ما أحرق العود الذى أشممته خطأ ولا غم البنفسج باطلا

هذا مما أخرج له فى الربيع وآثاره وأنواره وأزهاره

فمنه قوله من قصيدة من البسيط :

أما ترى الجو يجلى فى عسكره والأرض تختال فى أبرادها القشب
إذا ألح حسام البرق مؤتلقاً فى الومض جد خطيب الرعد فى الخطب
والريح وسمى حلال الروض وابله فما يراع لها مستيقظ الترب

وقال من أخرى [من الرمل] :

شاقنى مستشرف الدير وقد راح صوب المزن فيه وبكر
أهواء رق فى أرجائه أم هوى راق فما فيه كدر
أم حدود سفرت عن وردها أم ربيع عن جنى الورد سفر
مجلس ينصرف الشرب وما طويت من بسطه تلك الحبر
وكأن الشمس فيه نثرت ورقاً مابين أوراق الشجر
بين غدر نقع الطير بها فتراها رياضاً فى غدر
ونسيم وكره الروض فإن طار فى الصبح ارتديناه عطر
وثرى يشهد بالطيب له عتق خالف أطراف الأزر
وغيوم نشرت أعلامها فلها ظل علينا منتشر

ومن أخرى [من الكامل] .

وحدائق يسبيك وشى برودها حتى تشبهها سباسب عبقر
يجرى النسيم خلالها وكأنما غمست فضول ردائه فى العنبر
باتت قلوب المحل تخفق بينها بخفوق رايات السحاب الممطر
من كل نائى الحجرتين مولع بالبرق دانى الظلتين مشهر
تحدى بألسنة الرعود عشاره فيسير بين معرد ومزجر
طارت عقيقة برقه فكأنما صدعت بمسك غيمه بمعصفر

وقال فى روض وغدير فيه طير الماء من أرجوزه [من الرجز] :

وضاحك الروض على المنزل سبط هبوب الريح جعد المنهل
موشح بالنور أو مكلل مفروحة حلته عن حدول
أقبل قد غص بمد مقبل والطير ينقض عليه من عل
تساقط الوشى على المصندل .

وقال فى الورد [من السريع] :

لو رحبت كأس بذى زورة ... لرحبت بالورد إذ زارها
جاء فقلنا له خدوداً بدت ... مضرمة من خجل نارها
وعطر الدنيا فطابت به ... لا عدمت دنياه عطارها

وقال فى وصف الروض وفوس فرح [من مجزوء الرجز] :

إن عن لهو أو سنح ... فاغد إلى الراح ورح
رضيت أن أحظى بعز ... الكأس والحظ منح
وصاحب يقدح لى ... نار السرور بالقدح
فى روضة قد لبست ... من لؤلؤ الطل سمح
يألفنى حمامها ... مغتبقاً ومصطبح
أوعظه بالعزف أو ... يوقظنى إذا صدح
والحق فى تمسك ... طراوه فوس فرح
يبكى بلا حزن كما ... يضحك من غير فرح

وقال [من المتقارب] :

هما طرباً فى أوان الطرب ... فأنحب أقداحه كالنحب
وغنى ارتياحاً إلى عارض ... يغسى وعبرته تنسكب
غيوم تمسك أفق السماء ... وبرق يكتنه بالذهب
وخضراء ينتر فيها الندى ... فريد ندى ما له من نقب
فأنوارها مثل نظم الحلى ... وأنهارها مثل بيض القضب
حللت بها مع ندامى سلوا ... عن الحد وانتهروا اللعب
وأعنتهم عن بديع السماع ... بدائع ما ضمنه الكتب
وأحسن شىء ربيع الحيا ... أضيف إليه ربيع الأدب

وقال فى وصف البرد [من الكامل] :

يوم خلعت به عـــذارى ... هربت من حلل الوقار
وضحكت فيـــه إلى الصبا ... والشيب يضحك فى عذارى
متلون يبـــدى لنا ... طرفا بأطراف النهار
فهواؤه سكـــب الردا ... ء وغيمه حاف الإزار
يبكى فيجمد دمعـــه ... والبرق يكحله بنـــار

الشراب وما يتصل به

قال يصف باقى زجاجة الكأس من أعلاها إذا كانت ناقصة من الشراب من الطويل :

أعاذل إن الناثبات عرصـــد ... وإن سرور المرء غيـــر مخلد
إذا مامضى يوم من العيش صالح ... فصله بيوم صالح العيش من غد
وحاليـــة من حسنها وجمالها ... وإن برزت عطل الشوى والمقلد[1]
تعاطيك كأسا غير ملأى كأنما ... هوامعها أحـــداق درع مزرد
كأن أعاليها بياض سوالف ... يلوح على توريد حب مورد

وقال فى مثل ذلك من الطويل] :

وصفراء من ماء الكروم سرتها ... على وجه صفراء الغلائل عضه
بدت وفصل الكأس يلمع فوهها ... كأترجة زينت بأكليل فضة

وقال فى مثل ذلك من المتقارب :

دعانا إلى النهو داعى السرور ... فبتنا نروح بما فى الصدور
وطافت علينا بشمس الدجى ... ن فى عسق الليل تمس الخدور

(١) الشوى من الانسان أطرافه . والمقلد : موضع القلاده

كأن الكؤوس وقد كللت بفضلاتهن أكاليل نور
جيوب من الوشى مزدورة يلوح عليها بياض النحور

وقال [من المنسرح] :

وفتية دارت السعود لهم مدار للراح بينهم فلك
بدنا وضوء الكؤوس بهتك بالـ إشراق ستر الدجى فبنهتك
ترى الثريا والسدر فى قرن كما يحيا بنرجس ملك

وقال وقد شرب ليلة فى رورى [من الطويل] :

ومعدل يسعى إلى بكأسه وقد كاد يصبح بالليل يفتك
وقد حجب العيم السماء كأنما يزر عليها منه ثوب بمسك
ظللنا بست الوجد والكأس داثر وبهتك أستار الهوى فتهتك
ومجلسنا فى الماء يهوى ويربى وإبريقنا فى الكأس يبكى ويضحك

وقال من قصيده [من المتقارب] :

وساق يقابل إبريقه كما قابل الظبى ظبياً ربيبا
يطوف علينا بشمسيه يروح بها الشمس حتى تغيبا

وقال من أخرى [من المتقارب] :

وملآن من عبرات الكروم كأن على فمه عصفرا
إذا قرنته أكف السقاه من الكأس فهقه واسعبرا
تروح عذبات الغدام برنا النسيم إذا ما جرى(١١)
وريم إذا رام حث الكؤو س قطب للثيه واستكبرا
وجرد من طرفه حجراً ومن نون طرته حجرا
ترى ورد وجنته أحمرا ويحكى شاربه أخضرا

(١١) الغدام العصفر توضع على الأعراق

وقال [من مجزوء الرجز] :

اشرب فقد ترد صو ء الصبح عنا الظلما
وابسط السرور على وجه الثرى فابسما
كأنما أطلع ما ء المزن فيه أنجما
وصوب الإبريق في ال كأس مداماً عندما
كأنه إذ صبها مقبله يبكي دماً

وقال يذكر ليلة سكر فيها بقطربل ويصف الشمع [من المتقارب] :

كسنك الشبيه ريحانها وأهدت لك الراح ريحانها
هدم للنديم على عهده وعاد المدام وندمانها
فقد خلع الأفق ثوب الدجى كما نفضت البيض أحضانها
وساق يواجهني وجهه فجعله العين نسيانها
يموج بالكأس كف الديم إذا عظم الماء تيجانها
فطوراً يوشح ياقوتها وطوراً يرصع عقيانها
رميت أفراسها خلسة من اللهو ترهج ميدانها
وديرا تسعفت نعرلا ه فكذب أمن صلبانها
فلما دجى الليل فرحته بروح نحيف حثمانها
تسمع أعنز قدود الرماح وسرح دراها وألوانها
عصوف من الترهد أرهب لهيبا يرين أفانينها
فما حس أرواحها في الدجى وقد أكلت منه أبدانها
سكرت بقطربل ليله هوت فعارات عرلانها
وأي لبالي الهوى أحسنت إلي فأسكرت إحسانها

وقال [من البسيط] .

قم فانتصف من صروف الدهر والنوب ... واجمع بكأسك شمل اللهو والطرب
أما ترى الصبح قد قامت عساكره ... فى الشرق ينشر أعلاما من الذهب
والجو يختال فى حجب عسكره ... كأنما البرق فيها قلب ذى رعب
وجانبتك صروف الدهر فاصرعت ... وقابلتك سعود العيش عن كثب
فاطلع عذارك واشرب قهوة مرحت ... بقهوه الفلج المعشوق والشنب
فالعيش فى ظل أيام الصبا فإذا ... ودعت طيب الشباب الغض لم يطب
جريت فى حلبة الأهواء مجتهدا ... وكيف أقصر والأيام فى طلبى
روج بكأسك قبل الحادثات يدى ... فالكأس ناج يد المرء من الأدب

وقال [من البسيط]

جدوا من العيش فالأيام فاسده ... والدهر منصرف والعيش معترض
فى حامل الكأس من بدر الدجى خلف ... وفى المدامه من شمس الضحى عوض
كأن نجم الثريا كف ذى كرم ... مبسوطه بالعطايا ليس ينقبض
دارت علينا كؤوس الراح مترعة ... وللدجى عارض فى الجو معترض
حتى رأيت نجوم الليل عائره ... كأنهن عيون حشوها مرض

وقال يصف طل كرم من الطويل]

أدرها بعقد اللوم إحدى العنائم ... ولا تحس إثماً تبتغى فيها تأثم
ولا عيش إلا فى اعتصام بقهوه ... يروح الفتى منها حصين المعاصم
ولا ظل إلا ظل كرم معرش ... يعيبك فى فضريه ورق الحمائم
سماء عيون نجب الشمس أن ترى ... على الأرض إلا مثل در الدراهم

وقال [من البسيط]

ليوم يعيب ورد فيه كثير ... ويسعد من فجر له سحور

حث الكؤس فذا يوم به قصر وما به عن تمام الحسن تقصير
صحو وغيم يروق العين حسنهما فالصحو فيروزج والغيم سمور(١)

وقال [من الطويل] :

وبكر شربناها على الورد بكرة فكانت لنا وردا إلى ضحوة الغد
إذا قام مبيض اللباس يديرها بوهمته يسعى بكم مورد

* * *

استهداء الشراب

كتب إلى أبي الحسن الشمشاطي [من المتقارب] :

أبا حسن إن وجه الربيع جميل يزان بحسن العقار
فإن الربيع نهار السرو ر والراح شمس لذاك النهار
وإنك مشرقها إن أردت وإن لم ترد غربت في استتار
فأجر إلى بحار العقار من فيض كفيك فيض البحار
وقد عبأ الهم لي جيشه وليس له غير جيش الخمار

وكتب في يوم فصده إلى أبي إسحاق الصابي [من مجزوء الوافر] :

أبا إسحق يا جبلي ألوذ به ومعتصمي
ويا سيفي أصول به ويا حلي وياحرمي
أرقت دمي وأعوزني سليل الكرم والكرم
وبين يدي مخجلة سواد القار والظلم
يرى اللهوات تحجبها إذا وفغت حبال فمي
ولست أسبعها إلا كلون الورد والعنم
فشيئاً من دم العنقو د أحمله مكان دمي

(١) السمور : حيوان يصنع جلده فراء

وكتب إلى أبى الهيجاء الحدانى [من الطويل] :

تجنبنى حس المـــدام وطيبها فقد ظمئت نفسى وطال شحوبها
وعندى ظروف لو تظرف دهرها لما بات مغرى بالكآبة كوبها
وشمت دنان خاويات كأنها صدور رجال فارقتها قلوبها
فسقياك لا سقيا السحاب فإنما بى العلة الكبرى وأنت طبيبها

وكتب إلى صديق له [من البسيط] :

أبا الحسين دعت نفسى أمانيها إلى يد منك مشكور أياديها
تصرم الصوم عنا بعد ما ظمئت له النفوس وفقد الراح يظميها
فجد بعذراء مثل الشمس تعذرها إن أظهرت صلفاً للحسن أوتيها
واعلم بأن ظروف الراح إن كبرت عند الهدية أبدت ظرف مهديها

وكتب إلى صديق له فى وقت كثير الثلج شديد البرد من أبيات [من الطويل] :

ظرفتك ممتاحا ولبس نطارق يرومك من وقع الضريب طريق[١١]
جنوب تحث المزن حثاً وشمأل تعبس منه الوجه وهو طليق
وصوء حريق ألبس الأرض ثوبه يخاف على الإقدام منه حريق
نثير الصبا فى الجو منه عجاجة كما انتثر الكافور وهو سحيق
وما انفل حد القر إلا بقهوه ترقرق فى كاساتها فتروق
إذا لبست أثوابها فعقيقة وإن نشرت أنفاسها فخلوق
تدور علينا كأسها فى غلائل رقاق ترد العبش وهو رقيق
فألبس منها جبة حين أنتشى وأخلعها بالسكره حين أفيق
وإنى خليق من نداك بمثلها وأنت بما أملت منك خليق

---

(١١) الممتاح : الطالب ، والضريب : الجليد .

هذا ما أخرج له فى الاستزارة ووصف آلاتها

قال يدعو صديقاً له . ويصف غرفة له بالموصل مشرفة على الربض الأسفل والنهر . ويصف ما عنده من فدر وكانون ونار وشراب ؛ من المتقارب .

لنا غرفة حسنت منظراً وطابت لساكنها مخبرا
ترى العين من تحتها روضة ومن فوقها عارضا ممطرا
وينساب قدامها جدول كما ذعر الأيم أو نفرا
وراح كأن نسيم الصبا يحمل من نشرها العنبرا
وعندى علق قليل المكاس وندمان صدق قليل المرا(١)
ودهماء تهدر هدر الفنيق إذا ما امتطت لهباً مسعرا(٢)
تجيش بأوصال وحشية رعت زهرات الربا أشهرا
كأن على النار زنجية فرج توبا لها أصعرا
وذو أريحا لا يطيق النهوض ولا يألف السير فيمن سرى
نحمله سجاً أسودا فيجعله دهماً أحمرا
وهد سكر العبد من عندنا يزف لك الطرف والممطرا
فشمر إلى روضه ترتضى فإن أحا الجد من شمرا

وقوله ؛ من المنسرح ؛ :

لم ألق ريحانة ولا راحا إلا تنفى إليك مرتاحا
وعندنا ظبية مهفهفة ترأم ريما يحن صداحا
تفسد علي إن أصلحته ولا أرى لما أفسدته إصلاحا
وفيه إن تذاكروا ذكروا من الكلام المليح أرواحا

---

(١) المكاس : المماكسة ، والمرا : المجادلة . وقد قصره مضطر

(٢) فنيق : الفحل المكرم

وقد أضاءت نجوم مجلسنا حتى اكتسى غرة وأوضاحا
إن جمدت راحنا غدت ذهبا أو ذاب تفاحنا غدا راحا
عصابة إن شهدت مجلسهم كنت شهاباً له ومصباحا
أغلق باب السرور دونهم فكن لباب السرور مفتاحا

وقال يصف كانون نار ويدعو صديقا [من المنسرح] .

يوم رذاذ عسلك الحجب يضحك فيه السرور عن كتب
ومجلس أسبلت ستائره على شموس البهاء والحسب
وقد جرت خيل راحنا خبباً فى جريها أو همن بالخبب
والتهبت نارنا فنظرها يغنيك عن كل منظر عجب
إذا ارتمت بالشرار واطردت على ذراها مطارد اللهب
رأيت ياقوتة مشبكة تطير عنها فراشة الذهب
فصر إلى المجلس الذى ابتسمت فيه رياض الجمال والأدب

وقال [من الكامل] .

نفسى فداؤك كيف نصبر طائعاً عن فتية مثل البدور صباح
حنت نفوسهم إليك فأعلنوا نفسا بفل مسالك الأرواح
وغدوا لراحهم وذكرك بينهم أذكى وأطيب من نسيم الراح
فإذا جرت خبباً على أيديهم حملوه ريحانا على الأقداح

وقال [من الطويل] .

نثا روضه فى الدار صيغ لزهرها قلائد من حمل الندى وشنوف
يطوف بنا منها إذا ما نسمت نسيم كعقل الخالدى ضعيف
وندمان صدق بثره ونظامه ربيع إذا فارضه وحريف
رقد رق ثوب العيم حتى كأنما ستر دون الأفق منه شفوف

فزر مجلساً قد شرف الله أهله وفضلهم، إن الأديب شريف
ولا تعد أفعال الظريف، فإنه زمان رقيق الحلبتين ظريف(١)

وقال [من الوافر] :

هواء كالهوى حسنا ونظرفاً وخيبتي ليس يتركني أن يجفا
وفتيان كرام باكروه وبحم صباحهم يبدو ويخفى
فإن بادرتهم جعلوك بدراً وإن خالفتهم جعلوك خلفا

* * *

أوصاف شتى

قال في وصف الهلال [من الوافر] :

ألا عللي بباطية وكاس ورع همي بإبريق وطاس
وذاكرني شعر أبي فراس على روض كشعر أبي نواس
وغيم مرهفات البرق فيه عوار، والرياض به كواسي
وقد سلت جيوش الفطر فيه على شهر الصيام سيوف باس
ولاح لنا الهلال كشطر طوق على لبات زرقاء اللباس

وقال [من المسرح] :

جاءك شهر السرور شوال وغال شهر الصيام معتال
أما رأيت الهلال يرمقه قوم هم إن رأوه إهلال
كأنه فيد فضة حرج قض عن الصائمين فاختالوا

وقال في وصف الريحان [من الكامل] :

وسائط ريحان كماء زبرجد عبثت بصفحته الجنوب فأرعدا
بشتاقه الشرب الكرام فكلما مرض النسيم سعوا إليه عودا

وقال فى وصف طيل العزف [من الكامل] :

ومقيد الطرفين يطرب عند تضييق القيود
ولقد يلطم خده فى حال ترفيه الخدود
وكأنما زأراته يحسبن زأرات الأسود
أنظر إليه مع المدا م ترى بروقاً مع رعود

وقال فى وصف البراغيث [من الرجز] :

وليلة من نقمات الدهر قطعتها نزر الكرى والصبر
مكلم الظهر جريح الصدر مقسما بين أعاد خزر
كنت إذا عاينتها وشقر كأنها آثارها فى الأزر

وصف المروحة [من الطويل] :

ومبثوثة فى كل شرق ومغرب لها أمهات بالعراق قواطن
يحركن أنفاس الرياح حراكها كأن نسيم الريح فيهن كامن

وصف منثور [من الكامل] :

ومجرد كالسيف أسلم نفسه لمجرد يكسوه ما لا ينسج
ثوب تمزقه الأنامل رقة ويصيبه الماء القراح فيبهج
فكأنه لما استوى فى خصره نصفان ذا عاج وذا فيروزج

وصف الديك [من الكامل] :

كشف الصباح قناعه فتألقا وسطا على الليل البهيم فأطرقا
وعلا فلاح على الجدار موشحا بالوشى توج بالعقيق وطوقا
مرخ فضول التاج فى لباته ومشمر وشياً عليه منمقا

وصف كلاب الصيد من الطويل :

غدوت بها مجنوبة فى اغتدائها تلاقى الوحوش الحين عند لقائها

لهن شيات كالزواج أصبحت مولعة ظلماؤها بضيائها
وأيد إذا سلت صوالج فضة على الوحش يوماذهبت بدمائها

وفى مثله [من الطويل] :

إذا مادعونا لاحقا ومعانقا وقيد لدينا واثب ومخالس
فذلك يوم يجانب السعد سربه وقويل بالنحس الظباء الكوانس
كأن جلود الوحش بين كلابها وقد دميت أجيادها والمعاطس
مصندلة القمصان شقت جيوبها ورقرق فيهن العبير العرائس

وقال فى وصف قدر [من مخلع البسيط] :

سوداء لم تنتسب لحام ولم ترم ساحة الكرام
كأنما تحتها ثلاث مقترنات من الحمام
تلعب فى جسمها لهيب لعب سنا البرق فى الظلام
لها كلام إذا تناهت غير فصيح من الكلام
وهى وإن لم تذق طعاماً مملوءة الجسم من طعام
لم يحل من رفدها نديمى يوم حمار ولا مدام
ولى إذا الضيف عاد أخرى مصرع حولها سوامى
عظيمة إن غلت أدامت تعليها لابس العظام
كأنما الحن ركبتها على ثلاث من الأكام
لها دخان تغشل فيه عجاجة الجحفل اللهام
كأنما النار ألبستها معصفرات من الضرام
ولم يزل مالها مباحاً من غير ذل ولا اهتضام
يأخذ للقوت منه سهماً وللندى سائر السهام

وصف حمل مشوى [من الرجز] :

أنعته معصفر البردين أبيض صافى حمرة الجنبين
حلف سهرين على الخلفين تم رعى بعدهما شهرين[1]
بجسمه شبران فى شبرين ياحسنه وهو صريع الحين
بين ذراعين مفصلين كسارق حد من اليدين
وطرف يستوقف الطرفين كمثل مرآة من اللجين
مدهة المقبض والوجهين تعرفه مرهفة الحدين
بكف طاه عطر الكفين شق حشاه عن شقيقتين
أخبن فى القد شبيهتين كما وزنت بين كفتين
أو كرتى مسك لطفتين .

وقال يصف جام فالوذج ويعتذر لأبى بكر الخالدى . ويشير إلى أنه يميل إلى البرطيل[2] [من الطويل] :

إذا شئت أن تجتاح حقاً بباطل وتعرف خصما كان غير غريق
فسائل أبا بكر نجد منه سالكا إلى ظلمات الظلم كل طريق
ولاطفه بالتهد المخلق وجهه وإن كان بالألطاف غير حقيق
بأحمر مبض الزجاج كأنه رداء عروس مسرب بخلوق
له فى الحشا برد الوصال وطيبه وإن كان بلقاه بلون حريق
كأن بياض اللور فى حباته كواكب لاحت فى سماء عقيق

وصف الضفاع من المسرح

ليست بضاف حمار محمور إلا بضاف السراب مغرور

(١) شاة ذات خلفين : ولدت سنة ذكرا وسنة أنثى .
(٢) البرطيل : الرشوة

يطير عن رأسه القفاع إذا نفست عنه خناق مزرور
رام بسهم كأنه خصرا وطيب نشر نسيم كافور
يميل أعلاه وهو منتصب كأنه صولجان بلور

وصف طبيب بارع [من السريع] :

برز إبراهيم فى علمه فراح يدعى وارث العلم
أوضح نهج الطب فى معشر ما زال فيهم دارس الرسم
كأنه من لطف أفكاره يجول بين الدم واللحم
إن غضبت روح على جسمها أصلح بين الروح والجسم

وفى مثل ذلك [من الكامل] :

هل للعليل سوى ابن قرة شافى بعد الإله وهل له من كافى
أحيا لنا رسم الفلاسفة الذى أودى وأوضح رسم طب عافى
فكأنه عيسى ابن مريم ناطقا يهب الحباة بأيسر الأوصاف
مثلت له قارورتى فرأى بها ما اكتن بين جوانحى وشغافى
يبدو له الداء الخفى كما بدا للعين رضراض الغدير الصافى

وصف مزين حاذق [من المتقارب] :

هل الحذق إلا لعبد الكريم حوى فضله حادثا عن قديم
إذا لمع البرق فى كفه أفاض على الرأس ماء النعيم
جهول الحسام ولكنه يروح ويغدو بكفى حليم
له راحة سيرها راحة تمر على الرأس مر النسيم
نعمنا بخدمته مذ نشا فنحن به فى نعيم مقيم

أبو بكر محمد ، وأبو عثمان سعيد ، ابنا هاشم الخالديان

إن هذان لساحران ، يغربان بما يجلبان ، ويبدعان فيما يصنعان ، وكان ما يجمعهما من أخوة الأدب ، مثل ما ينظمهما من أخوة النسب . فهما فى الموافقة والمساعدة . يحيان بروح واحدة . ويشتركان فى قرض الشعر وينفردان ، ولا يكادان فى الحضر والسفر يفترقان ، وكانا فى التساوى والتشابك . والتشاكل والتشارك ، كما قال أبو تمام [من المتقارب] :

رضيعى لبان سريكى عنان عتيق رهان حليفى صفاء

بل كما قال البحترى [من الكامل] :

كالفرقدين إذا تأمل ناظر لم يعل موضع فرقد عن فرقد

بل كما قال أبو إسحاق الصابى فيهما [من الطويل] :

أرى الشاعرين الخالدين سيرا قصائد تحكى الدهر وهى تخلد
جواهر من أبكار لفظ وعونه يقصر عنها راجز ومقصد
تنازع قوم فيهما وتناقضوا ومر جدال بينهم يتردد
فطائفة قالت سعيد مقدم وطائفة قالت لهم بل محمد
وصاروا إلى حكمى فأصلحت بينهم وما قلت إلا بالتى هى أرشد
هما فى اجتماع الفضل زوج مؤلف ومعناهما من حيث بنيت مفرد
كذا فرقدا الظلماء لما تشاكلا علا أشكلا هل ذاك أم ذاك أبعد
فروجهما ما مثل له فى اتفاقه وفردهما بين الكواكب أوحد
فقاموا على صلح وقال جميعهم رضينا وساوى فرقد الأرض فرقد

وما أعدل هذا الحكم من أبى إسحاق ! فما منهما إلا محسن ينظم فى سلك الإبداع ما فاق وراق . ويكاثر بمحاسنه وبدائعه الأفراد من شعراء الشام والعراق . وقد ذكرت ما اختص به كل منهما والسرى فى شأن خصائصه ومسارحه

وما أقدم عليه السرى من دس أحسن أشعارهما فى شعر كشاجم . وكان أفاضل الشام والعراق إذ ذاك فرقتين : إحداهما — وهى فى شق الرجحان — تتحصب عليه لهما . لفضل مارزقاه من قلوب الملوك والأكابر . والأخرى تتحصب له عليهما وقد بدأت بملح شعر أبى بكر لأنه أكبر الأخوين :

* * *

هذه نبذ مما اتفق له فيه التوارد مع السرى أو السارق

قال أبو بكر [من مجزوء الرمل] :

قام مثل الغصن الميـــاد فى غض الشباب
يمزج الخمر لنا بالـــصفو من ماء الشراب
فكأن الكأس لما ضحكت تحت الحباب
وجنه حمراء لاحت لك من تحت النقاب

وقال السرى [من الكامل] :

وكأن كأس مدامها لما ارتدت بحبابها
توريد وجنتها إذا ما لاح تحت نقابها

وقال أبو بكر [من الطويل] .

ألا فاسقنى والليل قد غاب نوره لعينيه بدر فى الغمام غريق
وقد فضح الظلماء برق كأنه فؤاد مشوق مولع بخفوق

وإنما سرقه من قول ابن المعتز [من الطويل] :

أمنك سرى ياسر طيف كأنه فؤاد متوق مولع بخفوق

رجع :

مداماً كأن الكف من طيب نشرها وصفرتها قد خلقت بخلوق
نعاينها نوراً جلاه تجسد وتشربها ناراً بغير حريق
كأن حباب الكأس فى جناتها كواكب در فى سماء عقيق

وقد مر مثله للبحترى فى وصف الفالوذج

وقال أبو بكر [من المسرح]

مطرب الصبح هيج الطربا ... لما قضى الليل نحبه انتحبا
معرد رابح الصباح فما ... يدرى رضا كان ذاك أم غضبا
ماتنكر الطير أنه ملك ... لها فالتاج راح معتصبا
طوى الظلام السود مصرعا ... حين رأى الفجر يفسر العذبا
والليل من فتكة الصباح به ... كراهب شق جيبه طربا

وللبحترى فى مثله من المسرح :

كراهب حين لهوى طربا ... شق جلبابه من الطرب

قال أبو بكر من المسرح

فاكر حمرة التى تركت ... على كف المدير محمصا
كأنما صب فى الزجاجة من ... عصف ومن رقة نسيم صبا
وليس نار الهموم خامدة ... إلا بور الكؤوس ملتهبا
يطل رو المدام عندها ... سحراً وديل المحون منسحباً

ومنها فى وصف كانون نار :

ومعهد لاحر القر بهجته ... وهو على أربع قد انتصبا
مصفر خرق بنفسه ... تخاله العين عاشقاً وصبا
إذا جلسنا فى حده سخن ... صيره بعد ساعة ذهبا

ومثله للبحترى [من المتقارب

ودو أربع لا يصيق العروض ... ولا يكتب السر فيمن يرد
حمى سحر أسود محمر ... ذهب أحمر

رجع :

فما خبت نارنا ولا وقفت خيول لهو جرت بنا خببا
وساحر الطرف لا نقاب له إذ كان بالجلنار منتقبا
تقطف من ثغره ووجنته أنامل الطرف زهرة عجبا
شقائقاً مذهباً يرى خجلا وأقحوانا مفضضاً شنبا

ومثله للسرى [من الطويل] :

سفرن فلاح الأقحوان مفضضا على القرب ما والشقيق مذهبا

رجع :

حتى إذا ما انتشا ونشوته قد سهلت منه كل ما صعبا
غلبت صحبي عليه منفردا به وهل فاز غير من غلبا ؟
أرشف ريقاً عذب اللمى خصرا كأن فيه المريب والضربا(١)

* * *

١٠ أخرج من شعره الذى ينسب فى بعض النسخ إلى كشاجم

[غير] ماتقدم ذكره من ذلك

قال من المنسرح :

قامر بالنفس فى هوى قمر ونال وصل البدور بالبدر
وافتض أبكار لهوه ضرباً إلى عشايا المدام والبكر(٢)
مسرة كيلها بلا حشف ولذة صفوها بلا كدر
قد صرت خيمة الغمام لنا ورش حبتن النسيم بالمطر
وعندنا عاتقان حمراء كالشمس وأخرى صفراء كالقمر

---

(١) الضريب والضرب : العسل الأبيض .
(٢) العشايا : جمع عشية ، والبكر . جمع بكرة .

مدامة كان من تقادمها عاصرها آدم أبو البشر
وبنت خدر تزيك صورتها بدر الدجى فى ردائها العطر
حنت على عودها وقد تركت مدامنا جمرة بلا شرر
يسعى علينا بها الوصائف غـــلدن مجونا فلائد الزهر
باتاركاً طيب يومه لغـــد تبيع عين السرور بالأثر !
إن وترت قلبك الهموم فما متل انتصار بالناى والوتر

وقوله [من الخفيف] :

رق توب الدجى وطاب الهواء وتدلت للمغرب الجوزاء
والصباح المنير قد نشرت منـــه على الأرض ريطه بيضاء
فاسقنيها حتى ترى الشمس فى الغر ب عليها غلالة صفراء
فهوة بابلية كدم الشا دن بكراً لكنها عمطاء
فكستها الدهور أرديه الرقـــة حتى حفا لديها الهـــواء
فهى فى خد كأسها صفرة التبـــر وفى الخد وردة حمراء
عجباً ما رأيت من أعجب الأشـــياء تقدير من له الأشياء
سبج يستحيل منـــه عقيق وظلام يسل منه ضياء

وقوله ، وهو مما ينسب أيضاً إلى المهلبى الوزير من الطويل] :

خليلى إنى للثريا لحاسد وإنى على ريب الزمان لواحد
أبيت جميعاً سهدها وهى سبعة وأفقد من أحشائه وهو واحد

وقوله من قصيدة فى مرثية الحسين بن على رضى الله تعالى عنهما [من المنسرح]

إذا تعسكرت فى مصابهم أتعب رد الهموم قادحه
عصبة قرت مصارعه وتعصبهم تعدت مطارحه
أظمأ فى كربلاء يومهم تحلى وهم ذبائحه

لا برح الغيث كل مشارقة تهمى غواديه أو رواثحه
على ثرى حله ابن بنت رسو ل الله مجروحة جوارحه
ذل حماه وقل ناصره ونال أقصى مناه كاشحه
عفرتم بالثرى جبين فتى جبريل بعد النبى ماسحه !
يطل مابينكم دم ابن رسو ل الله وابن السفاح سافحه !
سبان عند الأنام كلهم حاذله منكم وذابحه

وقوله [من البسيط] :

محاسن الدير تسبيحى ومسباحى وحمره فى الدجى صبحى ومصباحى
أقمت فيه إلى أن صار هيكله بيتى ومفتاحه للحسن مفتاحى
منادماً فى قلاليه رهابنه راحت خلائقهم أصفى من الراح
قد عطلوا نقل أديان ومعرفة فيهم بخفة أبدان وأرواح
ووشحوا غرر الآداب فلسفه وحكمه بعلوم ذات إيضاح
فى طب بقراط لحن الموصلى وفى نحو المبرد أشعار الطرماح
ومنشد حين يبديه المزاج لنا ألمع برق سرى أم ضوء مصباح
وكم حننت إلى حاناته وغدا شوقى يكابر أصواتاً بأقداح
حتى تحسر حسارى عبرقى وحيرت ملحى فى السكر ملاحى
بدير مران لاتعدم صبحى ودجى سجال غيث منث الودق سحاح
إن نص كأسك أكاسى فإن سهما يفل جيش همومى جيش أفراحى
وإن أقم سوق أطراف فلا عجب هذا بذاك إذا ما قام نواحى

وقوله من البسيط

يا نفس موتى فقد حد الأسى موتى ما كنت أول صب غير محموت
كم إلى عداة الدجى حتى رأى دمعى يفيض وحالى حال مبهوت

فدمعتى ذوب ياقوت على ذهب ودمعه ذوب در فوق ياقوت

وقوله [من البسيط] :

أنباك شاهد أمرى عن مغيبه وجد جد الهوى بى فى تلعبه

يانازحاً نزحت دمعى فطيعته هبلى من الدمع ماأبكى عليك به

وقوله من قصيدة [من البسيط] :

لا تطنبن ببكاء النوء والطنب ولا تحى كثيب الحى من كثب

ولا تحـــد بعمام للغميم ولا تسمح لسرب المها بالواكف السرب

ربع تعفى فأعفى من جوى وأسى قلبى وكان إلى اللذات منقلبى

سيان بان خليط أو أقام به فإنما عامر البيداء كالخرب

أبهى وأجمل من وصف الخال ومن إدمان ذكر هوى يهوى على قتب

مد البنان إلى كأس على سكر ورفع صوت بتطريب على طرب

حمراء حيى جلتها الكأس نقطها مزاجها بدنانير من الحبب

كانت لها أرجل الأعلاج واترة بالدوس فانتصفت من أرؤس العرب

يسقيكها من بنى الكفار بدر دجى ألحاظه للعاصى أوكد السبب

يومى إليك بأطراف مطرفه بها خضابان للعناب والعنب

هذا ما أخرج من سائر ملحه وغرره

قال من قصيده مطلعها [من البسيط

ماراره الطف بعد البين معتمدا إلا ليدنى له الشوق الذى بعدا

ومنها

كأنما من ـــ ـت ها وريقته أيدى الغمام سرقن الورد والبرد

وقال وهو فى نهاية الحسن [من الكامل] :

لو أشرقت لك شمس ذاك الهودج لأرتك سالفتى غزال أدعج

ومنها :

أرعى النجوم كأنما فى أفقها زهر الأقاحى فى رياض بنفسج
والمشترى وسط السماء تخاله وسناه مثل الزئبق المترجرج
مسمار نير أصفر ركبته فى فص خاتم فضة فيروزج
وتمايل الجوزاء يحكى فى الدجى ميلان شاربْ قهوة لم تمزج
وتنقبت بخفيف غيم أبيض هى فيه بين تخفر وتبرج
كتنفس الحسناء فى المرآة إذ كملت محاسنها ولم تتزوج

وهذا تشبيه لم يسبق إليه . وقال [من الخفيف] :

وسحاب يجر فى الأرض ذيلى مطرف زره على الأرض زرا
برقه لحظ ولكن له رعد بطىء يكسو المسامع وقرا
كحلى منافق للذى يهواه يبكى جهراً ويضحك سرا

وقال [من الوافر] :

ألست ترى الظلام وقد تولى وعنقود الثريا قد تدلى
فدونك مهوه لم يبق منها تقادم عهدها إلا الأقلا
بزلنا دنها والليل داج فصيرت الدجى شمساً وظلا

وقال من الخفيف] :

يا معيرى بالصد ثوب السقام أنت همى فى يقظتى ومنامى
أنت أمنيتى فإن رمت عصماً سمتك المنى إلى الأحلام

وقال [من الكامل] :

حور شغلن قلوبنا عن نرجس فصرت عن الإبلاغ

ومنهن ورد خدودهن فلم نطق قطفاً له لعقارب الأصداغ

وقال [من الكامل] :

روحى الفداء لظاعنين رحيلهم أنكى وأفسد فى القلوب وعاثا
فليقض عدته السرور فإنى طلقت بعدهم السرور ثلاثا

أخذه من قول أبى تمام وزاد فيه ذكر العدة . وهو قوله [من الكامل] :

بلد خلعت اللهو خلعى خاتمى فيه وطلقت السرور ثلاثا

وقال [من المسرح] :

فى كنف الله ظاعن ظعنا أودع قلبى وداعه حزنا
لا أبصرت مقلتى محاسنه إن كنت أبصرت بعده حسنا

وقال [من البسيط] :

أهلا بشمس مدام من يدى قمر تكامل الحسن فيه فهو تياه
كأن حمرته إذ قام يمزجها من خده اعتصرت أومن تناياه
إذا سقتك من الممزوج راحته كأساً سقتك كؤوس الصرف عيناه
فى وجهه كل ريحان تراح له منا قلوب وأبصار وتهواه
الترجس الغض عيناه ، وطرته بمسج ، وجنى الورد خداه

وقال [من الخفيف] :

قلت لما بدا الهلال لعينى صغتها من السكرى عيناكا
يا هلال السماء لولا هلال أرض ما بت ساهراً أرعاكا

وقال [من الطويل] :

وبدر دجى يمسى به عصر ربه ... وزره لكى يحوله صعب
إذا ما بدا أعيى ... كل ناظر كأن قلوب الناس فى حبه قلب

وقال [من البسيط] :

لا تحسبوا أنني باغ بكم بدلا ولو تمكنت من صبري ومن جلدي
فلي رقيب على قلبي لكم أبداً والعين عين عليه آخر الأبد

وقال [من البسيط] :

فديت من زرعت في القلب لحظته صبابة وسقى بالدمع ما زرعا
لو أن قلبي وفاه بعضه أحبه بقلوب العالمين معا

وقال [من المنسرح] :

كأنما أنجم الثريا لمن يرمقها والظلام منطبق
مال بخيل يظل يجمعه من كل وجه وليس يفترق

وقال [من الخفيف] :

يا خليلي من حذيري من الدنيا ومن جورها علي وصبري
عجباً أنني أنافس في عمران أيامها وتخرب عمري !

وقال [من المتقارب] :

هو الفجر فابتنا بابتسام لتصرف عنا عبوس الظلام
ولاح لخل كأس الشمو ل صرفاً وحرم كأس المنام
ظللنا على سم ورد الخدود ومسك النحور وبقل اللثام
نعين الصباح على كشفه قناع الظلام بضوء المدام

وقال [من السريع] :

إن غالك الدهر فكن عالماً بالبيض والطلبات والعيس
ولا تكن عبد المنى فالمنى دؤوس أموال المفالس

وقال من الكامل] :

حور حملن وقد رحلن وداعنا بمدامع بطقت وهن سكوت

فعيونها سجح وثغر دموعها در وحمرة خدها ياقوت

وقال [من الكامل] :

ما عذرنا فى حبسنا الأكوابا سقط الندى وصفا الهواء وطابا
ودعا بحى على الصبوح ، معرداً ديك الصباح فهيج الأطرابا
وكأنما الصبح المنير وقد بدا باز أطار من الظلام غرابا
فأدم لذاذة عيشنا بمدامة زادت على هرم الزمان شبابا
سفرت فصار حبابها من لحظنا فعلا محاسنها وصار نقابا

وقال من قصيدة [من الكامل] :

فلأشكرن لدير قنا ليلة أشرقت ظلمتها ببدر مشرق
بتنا نوفى اللهو فيها حقه بالراح والوتر الفصيح المنطق
والجو بسحب من عليل هواته توأ يرش بطله المترقرق
حتى رأينا الليل قوس ظهره هرما وأثر فيه شيب المفرق
وكأن ضوء المجر فى باق الدجى سيف حلاه من اللجين المحرق
ياطيبها من ليلة لولم تكن قصرت فريع تجمع تتفرق

وقال ، وهو من إحسانه المشهور من مجزوء الرمل :

يا شبيه البدر حسناً وضياء ومثالا
وشبيه الغصن ليناً وهوى واعتدالا
أنت مثل الورد لوناً ونسيما وملالا
زرتنا حتى إذا ما سرنا بالقرب زالا

وقال [من الخفيف

[illegible] صحة [illegible] ح حتى تركته كالسكر

ذى سماء كخرم ونجوم مشرقات كنرجس وبهار (١)
وهلال يلوح فى ساعد الغر ب كدملوج فضة أو سوار
بت أجلو فيه شموس وجوه حملت فى الدجا شموس عقار

وقال — وقد أمر الأمير بجمع المتكلمين ليتناظروا بحضرته فى يوم دجن — [من مجزوء الخفيف] :

هو يوم كما ترا ه مليح السمائل
هاج نوح الحمام فيـ ـه عناء اللآلل
ولزك السحاب فى الـجـو حق كباطل
مثلما هاه فى المهنـد بعض الصياقل
حليت تمسه لرقـتـه فى غلائل
وعمود الزمار معـتـدل غير مائل
حبب ساوى حر الهوا حر برد الأصائل
وغدا الروض فى قلا نـده والحلاحل
فى البحر أى ترى فيه طوع العوادل
يا لهذا أبى الهديـل وتوصيل واصل
ومـلاحاه عاقل ومقاساه جاهل
وخصـوم يكابرو ن وضوح الدلائل
انف كيد الحداق عـنـك بصيد الأحادل (٢)
كل صلب العظام واللحم رطب المفاصل
وهو أهدى من الردى فى طريق المقاتل

(١) الخرم : ثقوب تفسحى الأوتار
(٢) الأحادل : جمع أحدل ، وهو الصقر

كم غدونا به لطيـــر التلاع السـوابل
فانبرى أخرس الحنا ح صحوب الجلاجل
وتعامى عن النتوى واهتدى للشواكل
بسكاكينه التى نبذت فى الأنامل
عقفت ثم أرهفت فهى مثل المناجل(١)
صاعد خلف صاعد نازل خلف نازل
فنزدى رداء لهـــو إلى الليل شامل
ثم انتنى جذلان بيـــن القنا والقنابل
نحو ربع من المكا رم والمجد آهل
فترى الأنس فى عيـــدك عند المناهل
من عقول قد بللتـــهن صهباء بابل
فإذا الليل كف كـــل رقيب وعاذل
صرت العرش تحت قو م صرير المحامل

وقال [من الطويل] :

وأغيـد روته المدامه فانثنى كما يثنى من ريه الغصن الغض
دعوت إليها وهو فى دعوة الكرى وقد أخذت فى خلع أسودها الأرض(٢)
همام وفى أعطافه فضل سكرة وفى عينه من ورد وجنته بعض

وقال [من الكامل] :

ومدامه صفراء فى قارورة رقاء تحملها يد بيضاء
بالراح شمس والحباب كواكب والكف قطب والانا سماء

---

(١) عقفت سكين بر ... (٢) بر ... أسود الارض لليل

وقال [من المجتث] :

راح كضوء الشهاب سلافة الأعناب
والمزج ماء غدير صاف كماء الشباب
لو لم يكن ماء مزن لكان لمع سراب
كأنه حسم در عليه درع حباب
يجرى خلال حصى أبيض كقطر السحاب
كأنه الريق يجرى على الثنايا العذاب

وقال فى غلمة [من الكامل] :

بأبى التى كتمت محاسنها حوف العيون وليس تكتم
لبست سواداً كى يعاب به والبدر ليس يشينه الظلم

وقال من قصيدة فى المهلبى الوزير استهلالها [من المتقارب] :

مهاة توهمها أم غزالا وشمساً تشبهها أم هلالا
معممه أطلقت لحظها فكان لعقل المعى عقالا
وتمس برجل فى مجلس ندمانها وتعى ارتجالا
ولا تعرف النحن ألحانها إذا ما الخفاف تعن التقالا
شدت رملا فى مديح الوزير فظلنا من السكر نحكى الرمالا (١)
وهل عمل مسكر بعد أن يكون قد راحته عمالا ؟ (٢)

ومنها فى التهنئة بعيد الفطر

هنيئاً مريئاً لأجر أقام وصوم ترحل عنك ارتحالا
وفضر تواصل إهلاله لأن له بالسعود اتصالا

---

١) الرمل : ضرب من أوزان الشعر . والشدو : الغناء
٢) الثمل : السكران . والثمل : الغيابات الناقع

رأى العيد فعلك عبداً له وإن كان زاد عليه جمالا
وكبر حين رآك الهلال كفعلك حين رأيت الهلالا
رأى منك ما منه أبصرته هلالا أضاء ووجهاً تلالا
تولاك فيه إله السماء بعز يعالى ويمن توالى
ولقيت سعداً إذا العيد عاد ولقيت رشدا إذا الحول حالا
وإن رمضان أطاح الكؤوس فشوال يأذن فى أن تشالا
مواصل بمن كؤوس الشمول يمينا مقبلة أو شمالا
ولا زلت عن رتب تلتها ومن ذا رأى جبلا قط زالا ؟

وقال من قصيدة فيه أيضا [من الكامل] :

أيدت ملك معز دولة هاشم فزمانه عرس من الأعراس
وتيقن الشعراء أن رجاءهم فى مأمن لك من وقوع البائر
ما صح علم الكيمياء لغيرهم ممن عرفنا من جميع الناس
تعطيهم الأموال فى بدر إذا حملوا الكلام إليك فى قرطاس

وقد ألم فى هذا المعنى بقول بكر بن النطاح لأبى دلف [من الكامل] :

يا طالباً للكيمياء ونفعه مدح ابن عيسى الكيمياء الأعظم
لو لم يكن فى الأرض إلا درهم ومدحته لأتاك ذاك الدرهم

ولكنه لطفه وزاد فيه وقال [من الكامل] :

وأحب جفا ظلماً، ومن وطالما فقنا الأنام مودة وبداما
فسلوت عنه وقلت ليس بمنكر للدهر أن جعل الكرام لئاما
فاحمر وهى الراح ريتما غدت حلا وكانت قبل ذاك مداما

وقال فى معنى أيضا من الطويل

وكم من عدو صار بعد عداوة صديقاً عجلا فى الحماس معظما

ولا غرو فالمنقود فى عود كرمه يرى عنباً من بعد ما كان حصرما

وقال فى استهداء نبيذ ، وقد عزم على أخذ دواء [من البسيط] :

يا سيداً بالعلا والمجد منفردا وواحد الأرض لا مستثنيا أحدا
لهاك أوجدت الآمال ما فقدت وقربت لمنى الراجين ما بعدا
هذا زمان علاج يتقى ضرر ال أخلاط فيه لأن الفصل قد وفدا
فلست تبصر إلا شارباً قدحا مرا وإلا نزيف الجسم مفتصدا
وقد عصيت الهوى مذ أمس مختميا لما عزمت على إصلاح ما فسدا
وروقوا لى رطلا لست أذكره إلا عدمت لديه الصبر والجلدا
مناكر لطباعى غير أن له عقبى تمازج محموداتها الجسدا
وليس لى فهوة أطفى بحمرتها عن مهجتى شره الماء الذى بردا
فامنن بدستيجة المشروب يومك ذا فقد عزمت على شرب الدواء غدا[1]

وقال فى العتاب [من الكامل] :

وأخ رخصت عليه حتى ملنى والشيء يعلون إذا ما يرخص
ياليته إذ باع ودى باعه فيمن يزيد عليه لا من ينقص
ما فى زمانك ما يعز وجوده إن رمته إلا صديق مخلص

وقال [من الكامل] :

يا من جفا فى القرب ثم نأى مشكا الهوى بالكتب والرسل
مهلا فإنك فى فعالك ذى مثل الذى قد قيل فى المثل
« ترك الزيارة وهى ممكنة وأتاك من مصر على جمل ! »

وقال فى وصف سيف من الكامل ! :

متوقد . مترقرق . عجباً له ! نار وماء كيف يجتمعان ؟

(١) الدستيجة : آنية صغيرة

وكأنما أبواه صرفا دهرنا أو كان يرضع درة الحدثان
تجرى مضاربه دما يوم الوغى فكأنما حداه مقتصدان

وقال فى هجاء شاعر [من المنسرح] :

لما تبدى الكوفى ينشدنا قلنا له : طعنة وطاعونا
تجمع يا أحمق العباد لنا شعرك فى برده وكانونا ؟

وقال فى مثل ذلك [من البسيط] :

لو أن فى فمه جمراً وأنشدنا شعراً لماضره من برد إنشاده

* * *

ما أخرج من شعر أبى عثمان

سعيد بن هاشم الخالدى

وهو منسوب فى بعض النسخ إلى كشاجم لسبب الذى تقدم ذكره ، وما وقع لأبى عثمان فيه التوارد مع السرى أو السارق

قال أبو عثمان [من المنسرح] :

ادن من الدن بى فداك أبى واشرب وسق الكبير وانتخب
أما ترى الطل كيف يلمع فى عيون نور تدعو إلى الطرب ؟
فى كل عين للطل لؤلؤة كدمعة فى جفون منتحب
والصبح قد جردت صوارمه والليل قد هم منه بالهرب
والجو فى حلة ممسكة قد كتبتها البروق بالذهب

وللسرى فى مثله [من المنسرح] :

غيوم تمسك أفق السماء وبرق يكتبها بالذهب(١)
فهاتها كالعروس محمرة الـ خدين فى معجز من الحبب
كادت تكون الهواء فى أرج عنبر لو لم تكن من العنب

(١) هكذا ، والشطر الأول لا يوافق بقية الأبيات فى الوزن

من كف راض عن الصدود وقد غضبت فى حبه على الغضب
فلو ترى الكأس حين يمزجها رأيت شيئاً من أعجب العجب
نار حواها الزجاج يلبسها ماء ودر يدور فى اللهب

وقال من قصيدة [من المنسرح] :

وليس للقر غير صافيـــة تدفع ماليس يدفع الدلق
درياق أفعى الشتاء وهو إذا سل علينا سيوفه درق

وقال يدعو صديقاً له فى يوم شك [من الكامل] :

هو يوم شك ياعلـــى وشره مذ كان يحذر
والجو حلته مســـكة ومطرفه معنبر
والماء عودى القمي صروطيلسان الأرض أخضر
ولنا ضيلات تكو ن ليومنا قوتاً مقدر
ومدامة صفراء أد رك عمرها كسرى وقيصر
وحديثنا ماقد علمـــت وشعرنا ما أنت أبصر
فانشط لنا لنحث من كاساتنا ما كان أكبر
أو لا فإنك جاهل إن قلت إنك سوف تعذر

وقال، وهو مما ينسب إلى الوزير المهلبي [من المتقارب] :

قديتك ما شبت من كبرة وهذى سنى وهذا الحساب
ولكن هجرت خليل المشيب ولو قد وصلت لعاد الشباب

وقال [من مجزوء الوافر] :

بليت بأحسن التقليـــس إقبالا ومنصرفا
فمثل الحشف ملتفتا ومثل الغصن منعطفا
يسوقنى نائله وقد أهدى لى الأسفا

وآخذ وصله عدة ويأخذ مهجتى سلفا

وقال ، وهو مما يسب أيضاً إلى المهلبى الوزير [من الوافر] :

دموعى فيك أنواء غزار وقلبى مايقر له قرار

وكل فتى علاه ثوب سقم فذاك الثوب منى مستعار

وقال [من الخفيف] :

وفقتنى مابين هم وبوس وتنت بعد ضحكة بعبوس

ورأتنى مشطت عاجا بعاج وهى الآبنوس بالآبنوس

وللسرى فى معناه [من الوافر] :

رأت شيبا يضاحكها فصدت وكان جزاؤه منها العبوسا

وقالت إذ رأت للشط فيه سواداً لا يشاكله نفسا

تلق العاج منك بمشط عاج ودع للآبنوس الآبنوسا

وأنشدنى أبو سعيد بن دوست للصاحب فى مثل ذلك [من الخفيف] :

هات مشطاً إلى وليك عاجاً فهو أدنى إلى مشيب الرءوس

وإذا مامشطت عاجاً بعاج فامشط الآبنوس بالآبنوس

ماأخرج من سائر غرر أبى عثمان وملحه

فمنها قوله [من المتقارب] :

كأن الرعود خلال البرو ق والرنح يكتر تحريصها

ـروج إذا حققت بينها تنادبها حردت يصب

وقوله [من الكامل] :

صـــدت محاسنه بوار وأى محاسنه ازورار

رأت بياضى قد علت وكأنه دمـــ قصر

ياهذه إن رحت فى خلق فما فى ذاك عار
هذى المدام هى الحيا ة قميصها حزف وقار

وقوله ، من الخفيف] :

شعر عبد السلام فيه ردى، ومحال وساقط وبديع
فهو مثل الزمان فيه مصيف وحريف وشتوه وربيع

وقوله ، من البسيط] :

أما ترى الغيم يامن قلبه قاسى كأنه أنا مقياساً بمقياس
فطر كدمعى وبرق مثل نارجوى فى القلب منى وريح مثل أنفاسى

وقوله [من مجزوء الرمل ·

يا نديمى ، أطلق الفجـــر لنا للكأس حبس
قهوة تعطيكها قبـــل طلوع الشمس شمس
وهى كالمريح لكن هى سعد وهو نحس

وقوله من الخفيف]

ياقضيبا يمس تحت هلال وهلالا يربو بعيني غزال
ملك ياشمسنا بعلت الشمـ ـس دنو السنا وبعد المنال

سرقه من قول ابن الرومى ، من مجزوء الرمل] :

يا شبيه البدر فى الـ حسن وفى بعد المنـال

وقوله فى جارية سوداء يقال شغف من المسرح] :

إذا تغنت بعودها شغف جاء سرور يفوق كل مى
واحدة الحدق لا نظير لها كالمسك لوناً وبهجة وغنا

وقوله فيها [من الخفيف] :

ركبتنا بطيبها إذ تغنت شغف بين أنة وحنين

طبة بالغناء هى لأسقا م التدامى لطافة كالطبيب
ألفتها القلوب لما رأتها صاغها الله من سواد القلوب

وإنما سرقه من قول ابن الرومى ، من المنسرح] :

أكسبها الحب أنها صبغت صبغة حب القلوب والحدق

ونقص أبو عثمان من المعنى إذ ترك ذكر الحدق .

وقال [من البسيط] :

ياراقداً عارياً من ثوب أسقامى هب الرقاد لعين جفنها دامى
لاخلص الله قلبى من يدى رشأ رؤيا رجائى له أضغاث أحلام

وقوله [من البسيط] :

يا حسنا نحن فى لهو . وليلتنا بزهر أنجمها ترمى العفاريت
وقد تضايق فى السكر العناق بنا كما تضايق فى النظم اليواقيت

وقوله من الكامل ، :

متـــبرم بعتابه مستعذب لعذابه
هجر العميد تعمدا فغدا وراح لما به
وكساه ثوب مشيبه فى عنفوان شبابه
فتراه يؤذن فى أوا ن مجيئه بذهابه

وقوله [من الخفيف] :

هتف الصبح بالدجى فاسقنيها قهوة تترك الحليم سفيهـــا
لست أدرى لرقة وصفـاء هى فى كأسها أم الكأس فيها

وقوله ، من مجزوء الخفيف] .

ظالم فى ولايته الـــــدهر يسىء ويظلم
رصد حده وســـكن حقده حينم

ورضاه وسخطه الـ دهر عرس ومأتم

وقوله من الخفيف] :

إن شهر الصيام إذ جاء فى فصـ ـل ربيع أودى بحسن وطيب
فكأن الورد المضعف فى الصو م حبيب يمشى بجنب رقيب

وقوله [من مجزوء الرجز] :

وليلة ليلاء فى اللـــون كلون المفرق
كأنما نجومها فى مغرب ومشرق
دراهم منثورة على بساط أزرق

وقوله فى معنى متداول [من الطويل] :

بنفسى حبيب بان صبرى لبينه وأودعنى الأحزان ساعة ودعا
وأضلنى بالهجر حتى لو أننى قـذى بين جفنى أرمد ما توجعا

وقوله من قصيدة [من المتقارب] :

صغير صرفت إليه الهوى وهل حاكم فى سوى حنصر
فإن شئت فاعـذر ولا تلحنى وإن شئت فالح ولا تعـذر

وقوله [من السريع] :

همته حر وماحور وهمه عود وطنبور
وليس دنياه ولا دينه إلا مهى مثل الدمى حور
ذيل الصبا فى الغى مجرور والعمر باللذات معمور
وليلة الخيـكل كم أنفدت فيها دنان ودنانير
أقبلن كالروض تغشاه من در وياقوت أزاهير
على خصور أرهفت دقة فى الزنانير زنانير
فما درينا أوجوه الدمى أحسن أم تلك التصاوير

وعندنا صفراء من قامرت بالمسكر منا فهو مقمور
سلاف أعناب معقودها من قبل أن يعصر معصور
زاد على المصباح إشراقها فهو ظلام وهى النور
حتى إذا ما انحل جيب الدجى فينا وجيب الصبح مزرور
جرت هناة لى أجلتها فهل لها عندك تفسير ؟

وقوله من أبيات [من السريع] :

ريقته خمر . وأنفاسه مسك . وذاك الثغر كافور
أخرجه رضوان من داره مخافة تفتن الحور
يلومه الناس على تيهه والدر إن تاه فمعذور

وقوله [من مجزوء الرجز] :

مكحل بالدعج مقب بالغنج
معصفر التفاح فى حد مليح الضرج
حشيه الشعر وما ذاك لطول الحجج
وإنما عارضه شينه بالسبج

وقوله من البسيط :

يا حسن دير سعيد إذ حللت به والأرض والروض فى وشى وديباج
فما ترى غصناً إلا ورهرته تجلوه فى جبة منها ودواج
وللحمائم ألحان تذكرنا أحبابنا بين أرمال وأهزاج
وللنسيم على الغدران رفرفه زورها فتلقاه بأمواج
والخمر تحلى على حطابها فترى عرائس الكرم قد زفت لأزواج
وكلنا من أكاليل البهار على رءوسنا كأنو شروان فى التاج
ونحن فى فلك اللهو المحيط بنا كأننا فى سفين ذات أرواح

ولست أنسى نداى وسط هيكله حتى الصباح غزالا طرفه ساجى
أهز عطفى قضيب البان معتنقاً منه وأثم عينى لعبة العاج
وقولتى والتفاتى عند منصرفى والشوق يزعج قلبى أى إزعاج
يا دير يا ليت دارى فى فنائك أو يا ليت أنك لى فى درب دراج

وقوله [من الكامل] :

قر بدير الموصل الأعلى أنا عبده وهواه لى مولى
لثم الصليب فقلت من حسد قبل الحبيب فى بها أولى
جدلى يا حداهن كى يحيابها قلبى لخته على المقلى
فاحمر من خجل وكم قطفت عينى شقائق وجنة خجلى
وثكلت صبرى عند فرقته فعرفت كيف تحرق الثكلى

وقوله من قصيدة فى المهلبى الوزير وقد عزم على الرجوع إلى وطنه [من البسيط] :

إنا لنرحل والأهواء أحمها لديك مستوطنات ليس ترتحل
لمن مر خلفك الروض الأريض ومن بذاك يعمرهر العارض الهطل
لكن كل فقير يستفيد غنى دعاه شوق إلى أوطانه عجل
وكل غاز إذا حلت غنيمته فإن آثر شىء عنده القفل

وقوله من الطويل :

وكنت أرى فى اليوم مجرك ساعه فأحمو لديد اليوم حولا تطيرا
وتأمرنى بالصبر والقلب كلما تقاصيته صبراً تقاضيت معسرا
فلما رأيت العذر من شأنك اغتدى عذير التصافى بيننا متكدرا
فوالله ما أهواك إلا تكلفاً ولا أشتكى الهجران إلا تخمرا

وقوله فى إنسان قصير ضئيل تزوج طويلة ضخمة [من الكامل] :

يا من أحل به الريه وأعاد نعمته بليه

حظى الردى بك إذ غدت ... لك بنت عمار حظيه
قل لى وكيف تنيكها ... مع دل قامتك القميه ؟
أنت البعوضة قلة ... وكأنها جمل الضحيه
نبئتها قالت وقد ... بصرت بأيرك كالشظية !
من ليس تشبعه الهرى ... سة كيف تشبعه القليه ؟
فلو اطلعت عليهما ... عند ارتكابهما البليه
لذكرت فى شخصيهما الـ ... ـعنقاء قد خطفت صبيه !

وقوله [من الخفيف] :

قل لمن ينتهى المديح ولكن ... دون معروفه مطال ولى
سوف أهجوك بعد مدح وتحرى ... لك وعتب ، وآخر الداء كى

وقوله [من المسرح] :

بمداد قد صار حبرها سرا ... صيرها الله مثل سامرا
اطلب وفتش واحرص فلست ترى ... فى أهلها حرة ولا حرا

وقوله من قصيدة [من البسيط] :

نيل المطالب بالهندية البتر ... لا بالأمانى والتأميل للقدر
فإن عفا طلل أو بان ساكنه ... فلا تقف فيه بين البت والفكر
فى سمك المسك شغل عن مذاقته ... وفى سنا الشمس ما يغنى عن القمر
لو لم أكن مشبهاً للناس فى خلقى ... لقلت إنى من جيل سوى البشر
أو لم يكن ماء على قاهراً فكرى ... لأحرقتنى فى نيرانها فكرى
تزيدنى قسوة الأيام طيب ثنا ... كأنى المسك بين الهبر والحجر
ألفت سن حادثات الدهر أكبرها ... فما أعوج على أطفالها الأشر
لا شىء أعجب عندى فى نهايته ... إذا رأيته من هذه الصور

أرى نيباً وفى أتنائها بقر ... بلا قرون ، وذا عيب على البقر !
قالت رويدك قلت الهم أرقدنى ... والهم يمنع أحيانا من السهر
كم قد وقعت وقوع الطير فى شبك ... فضضضت منتى منه قوى المرر
أصعو وأكدر أحيانا فختبرى ... وليس مستحسناً صفو بلا كدر
إنى لأسرى فى الآفاق من مثل ... فرد وأملأ بالآفاق من قمر
إذا تشككت فيما أنت مبصره ... فلا تقل إننى فى الناس ذو بصر
وكيف يفرح إنسان بعقلته ... إذا تضاءلها فلم تصدقه فى النظر !
لقد فرحت بما عاينت من عدم ... خوف القبيحين من كبر ومن بطر
وربما ابتهج الأعمى بحالته ... لأنه قد بحا من طرفة العور
ولست أبكى لشيب قد مببت به ... يبكى على الشيب من يأسى على العمر
كن من صديقك لا من غيره حذرا ... إن كان يبجيك منه شدة الحذر
ما أطمئن إلى حلو فأحسره ... إلا تكشف لى عن لؤم مختبر
وقد طرت إلى الدنيا بعقلتها ... فاستصغرتها حفوفى غاية الصغر
وما سكرت بما فى وهو يصحبنى ... فكيف أشكره فى حال منحدر
لا عار يلحقنى إن بلا نشب ... وأى عار على عرس بلا حور
فإن بلغت الذى أهوى فغير قدر ... وإن حرمت الذى أهوى فغير عذر

أبو بكر محمد بن أحمد بن حمدان المعروف بالخباز البلدى

هو من بلده يقال لها بلد من بلاد الجزيرة الى فيها الموصل وأبو بكر من حسناتها

ومن عجب شأنه أنه كان أمّيّ . وشعره كله ملح وتحف . وغرر وطرف

ولا تخلو مقطوعة له من معنى حسن أو مثل سائر، وهو القائل [من السريع]:

بالغت فى شتمى وفى ذمى وما خشيت الشاعر الأمى
جربت فى نفسك سما فما أحمدت تجريبك للسم

وكان حافظاً للقرآن مقتبسا منه فى شعره ، كقوله [من الطويل] :

الا إن إخوانى الذين عهدتهم أفاعى رمال لاتقصر فى لسعى
ظننت بهم خيراً فلما بلوتهم نزلت بواد منهم غير ذى زرع

وقوله [من الطويل] :

كأن يمينى حين حاولت بسطها لتوديع إلفى والهوى يذرف الدمعا
وقائلة هل تملك الصبر بعدهم فقلت لها لا والذى أخرج المرعى
يعين ابن عمران وقد حاول العصا وقد جعلت تلك العصا حية تسعى

وقوله [من الخفيف] :

أترى الجيرة الذين تداعوا بكرة للرحيل قبل الزوال
علموا أننى مقيم وقلبى راحل فيهم أمام الجمال
مثل صاع العزيز فى أرحل القو م ولا يعلمون ما فى الرحال

وقوله [من الكامل] :

سار الحبيب وخلف القلبا يبدى العزاء ويضمر الكربا
قد قلت إذ سار السفين بهم والشوق ينهب مهجتى نهبا
لو أن لى عزاً أصول به لأخذت كل سفينة غصبا

وكان يتشيع ، ويتمثل فى شعره بما يدل على مذهبه ، كقوله من الكامل] :

وحمائم تبكى والليل داجى المشرقين
شجيتهن وقد بكين ومد ذرفن دموع عين
فلسان آل محمد لم يبكين على الحسين

وكقوله [من الوافر]:

جحدت ولاء مولانا على وقدمت الدعى على الوصى
متى ماقلت إن السيف أمضى من اللحظات فى قلب الشجى
لقد فعلت جفونك فى البرايا كفعل يزيد فى آل النبى

وكقوله [من مجزوء الرمل] :

أنا إن رمت سلوا عنك ياقرة عينى
كنت فى الإثم كمن شا ركك فى قتل الحسين
لك صولات على قلبى بقد كالردينى
مثل صولات على يوم بدر وحنين

وكقوله [من الخفيف] :

أنا فى قبضة الغرام رهين بين سيفين أرهفا ورديني
فكأن الهوى فتى علوى ظن أنى وليت قتل الحسين
وكأنى يزيد بين يديه فهو يختار أوجع القتلتين

وكقوله [من البسيط] :

انظر إلى بعين الصفح عن زللى لاتتركنى من ذنبى على وجل
موتى وهجرك مقرونان فى قرن فكيف أهجر من فى هجره أجلى
وليس لى أمل إلا وصالكم فكيف أقطع من فى وصله أملى
هذا فؤادى لم يملكه غيركم إلا الوصى أمير المؤمنين على

وكقوله [من الوافر] :

ظن بأنى أهوى حبا سواك على القطيعه والبعاد
جحدت إذن موالاتى عليا وولت أبى مولى زياد

ما أخرج من سائر ملحه

فنها قوله [من الوافر]

إذا استثقلت أو أبغضت خلقاً ... وسرك بعده حتى التنادى
فشرده بقرض دريهمات ... فإن القرض داعية البعاد

وقوله [من الوافر] :

أقول لليلة فيها أتانى ... حبيب فى مصارعتى لجوج
أيا ليلى الذى ماكنت تفنى ... قصرت وكنت قدما ما تروج !
أيأجوج إذا نحن التقينا ... وأيام التهاجر أنت عوج

وقوله [من الطويل] :

ذرى شجر للطير فيه تناجر ... كأن صنوف النور فيه جواهر
كأن نسيم الروض فى جنباته ... لخالخ فيما بيننا وزرائر
كأن القمارى والبلابل حولها ... فيان وأوراق الغصون ستائر
شربنا على ذاك الترنم قهوة ... كأن على حافاتها الدر دائر

وقوله . وهو مما يتغنى به [من البسيط] :

وروضة بات طل الغيث ينسجها ... حتى إذا نجمت أضحى يدبجها
يبكى عليها بكاء الصب فارقه ... إلف فيضحكها طوراً ويبهجها
إذا تنفس فيها ريح نرجسها ... ناغى جنى خزاماها بنفسجها
أقول فيها لساقينا وفى يده ... كأس كشعلة نار إذ يؤججها
لاتمزجنه بغير الريق منك وإن ... بخل بذاك فدمعى سوف يمزجها
قل مابدى من حبيك أن يدى ... إذا دنت من فؤادى كاد ينضجه

وقوله [من مجزوء الرمل] :

ومدامة كست الكأ ... س من النور وشاحه

ظهرت فى جنح ليل فكأن الفجر لاحا
لم يكن وقت صباح فسبناه صباحا

وقوله [من مجزوء الرمل] :

قلت والليل له الوي ل مقيم غير سارى
أعظم الخالق أجر ا خلق فى شمس النهار
فلقد ماتت كما ما ت عزائى واصطبارى

وقوله [من الخفيف] :

أنا أخفى من أن يحس بجسمى أحد حيث كنت لولا الأنين
فكأنى الهلال فى ليلة الشـ ـك نحولا فما ترانى العيون

وقوله [من الخفيف] :

صدنى عن حلاوة التشييع اجتنانى مرارة التوديع
لم يقم أنس ذا بوحشة هذا رأيت الصواب ترك الجميع

وقوله [من السريع] :

يا ذا الذى أصبح لا والد ـه على الأرض ولا ولده
قد مات من قبلهما آدم فأى نفس بعده خالده
إن جئت أرضاً أهلها كلهم عور فغمض عينك الواحده

وقوله [من السريع] :

نكبت فى شعرى وفى وما نفسى فى صبرى بمنكوبه
إذا دنت بيضاء مكروهه منى نأت بيضاء محبوبه

وقوله [من مجزوء الكامل] :

قالوا تكحل من هوى ت فقلت رسم قد درس
عانت من ظلاله رمزاً مواصله رمس

وكذاك أصحاب الحديـ ـث نفاقهم عند الكبر

وقوله [من المتقارب] :

بكيت بدمع يفوق السحاب إلى أن جرى الماء حولى وساحا
ولو لم أكن رجلا سابحاً غرقت وألزمت نفسى الجناحا

وقوله [من البسيط] :

ليل المحبين مطوى جوانبه مشمر الذيل منسوب إلى القصر
ماذاك إلا لأن الصبح نم بنا فأطلع الشمس من غيظ على القمر

وقوله [من مجزوء الوافر] :

بدائع خده ورد صوالج صدغه سبج
إذا اتصلت محاسنه تقطع بينها المهج

وقوله ، وهو مما يستغفر منه [من البسيط] :

يا قاسم الرزق لم خاننى القسم ما أنت مهم قل لى من اتهمتا
إن كان نجمى نحساً أنت خالقه فأنت فى الحالتين الخصم والحكما

وقوله فى أمرد التحى [من السريع] :

انظر إلى مسك ولكنه خير من الأكفان والغاسل
قد كتب الدهر على خده بالشعر هذا آخر الباطل

وقوله من الطويل :

هزلك لا أنى عرفتك ناسياً وعد ولا أنى أريد تقاضى
ولكن رأيت السيف من بعد سله إلى الهز محتاجاً وإن كان ماضيا

حسن . وأبلغ منه فى معناه قول محمد بن أبى زرعة الدمشقى من الخفيف

لا تقم مستقصر أنت فى السـ ـير ولكن مستعطف مسترد
قد سرى طبعك وهو جسم وبحث جواد وهو جواد

عبيد الله بن أحمد البلدى النحوى

لم أسمع ذكره وشعره إلا من أبي الحسن المصيصي الشاعر، وكان قد عاشره واستكثر منه، فحكى لى أنه كان أعور ، فاعتلت عينه الصحيحة ، حتى أشرف على العمى فقال وأستغفر الله من كتبه [من مخلع البسيط] :

إن قلت جوراً فلا تلمنى بأن رب الورى المسيح
أراك تعمى وذاك يبرى فهو إذاً عنـــدى الصحيح

قال : وأنشدنى عبيد الله لنفسه [من مخلع البسيط] :

للحسن فى وجهه شهود تشهد أنا له عبيـــد
كأنما خده وصـال وصدغه فوقه صدود
يا من جفانى بغير جرم أقصر فقد نلت ما تريد
إن كان قد رق ثوب صبرى عنك فثوب الهوى جديد

وقال : أنشدنى لنفسه أيضاً [من مجزوء الكامل] :

يا ذا الذى فى خده جيشان من زنج وروم
هذا يغير على التلو ب وذا يغير على الجسوم
إنى وقفت من الهوى فى موقف صعب عظيم
كوقوف عارضك الذى قد حار فى ماء النعيم

قال : وأنشدنى أيضا لنفسه ، من مجزوء الكامل] :

هات المدامة يا شقيق نشرب على روض الشقيق
كأس العقيق نديرها ما بين أكناف العقيق

آخر القسم الأول من كتاب يتيمة الدهر حسب تقسيم المؤلف رحمه الله تعالى ويتلوه القسم الثانى ، وهو فى « أخبار دولة آل بويه »

القسم الثانى

من يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر

وهو فى أخبار دولة آل بويه

بسم الله الرحمن الرحيم

أبدأ — بعد حمد الله تعالى ، والصلاة على محمد المصطفى وآله — بباب مقصور على ملوك آل بويه الذين شعروا ورويت أشعارهم ، لما تقدم ذكره من الانتساب إلى قائلها ، لا لكثرة طائلها ، والله الموفق للصواب

الباب الأول

في ذكرهم ، وما أخرج من ملحهم وأشعارهم

عضد الدولة أبو شجاع فنا خسرو بن ركن الدولة

كان — على ما مكن له في الأرض وجعل إليه من أزمة البسط والقبض وخص به من رتبة اللسان ، وأوتي من سعة السلطان — يفرع الأدب ويتتبع الكتب ويؤثر مجالسة الأدباء على مخادمة الأمراء ويقول شعرا كثيرا يخرج منه ما هو من سرعة حركته من المليح والسكت . وما أدري كم قصر بارع ، ووصف رائع ، قرأته لصاحب في وصف عضد الدولة

فمن ذلك : وأما قصيده مولانا فقد حويت ومعها عزة الملك ، وعصمها روا الصدق . وهما سيما العلم . وعندهما لسان المجد ولها صيال الحق

ومنه لا عروا إذا بعض حر الوغا . على لسان السمر . أن يمنح مالا عين ومعنى على سلمه . ولا أدى جمعا لتشهه

ومنه لو ما محوى سعر ، عبد عمرو ، ماهه ، وحلا لقوافله ، لكان قصد ى لأن الحسد عند سماع ذلك منه وحده يبدأ صوت التعظيم وأقصى ، ، ، ، ، الإجلال والتكريم

ومنه : شعر قد حبس خدمته على فكره . ووقف كيف شاء على أمره . فهو يكتب فى غرة الدهر ، ويشدخ جبهتى الشمس والبدر .

ثم من أراد أن ينظر فى أخبار عضد الدولة ويقف على محاسن آثاره ، فليتأمل الكتاب الناجى ، من تأليف أبى إسحاق الصابى ، لتجتمع له مع الإحاطة بها بلاغة من قد تسهل له حزونها ، ولاينته متونها ، وأطاعته عيونها .

حدثنى أبو بكر الخوارزمى ، قال : كان ينادم عضد الدولة بعض الأدباء الظرفاء ، ويحاضر بالأوصاف والتشبيهات ، ولا يحضر شيء من الطعام والشراب وآلاتهما وغيرها . إلا وأنشد فيه لنفسه أو لغيره شعراً حسناً . فبينا هو ذات يوم معه على المائدة ينشد كعادته إذ قدمت بهطة (١) فنظر عضد الدولة كالآمر إياه بأن يصفها ، فأرتج عليه . وغلبه سكوت معه خجل . فارتجل عضد الدولة وقال [من السريع] :

بهطة عجز عن وصفها ... يا مدعى الأوصاف بالزور
كأنها فى الجسم حلوة ... لآلىء فى ماء كافور

وأنشدنى محمد بن عمر الزاهر قال : أنشدنى أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف . قال : أنشدنى عضد الدولة لنفسه فى أبى تغلب ، عند اعتذاره إليه من معاودة بختيار عبه ، والتماسه كتاب الأمان منه من الكامل :

أفاق حين وطئت ضيق خناقه ... يبغى الأمان وكان بعض صريعه
فلأركبن عزيمة عضدية ... تاجيه تدع الأنوف رواغم

وبما حسب إليه ، وأنا أشك فيه ، أبيات تداولها الخوالون وهى [من الوافر] :

خرجت إلى الصبوح مع الصباح ... وبرد الراح والوتر الملاح
وكأس الراح كالكافور لون ... وأذكى عند ممتزج وروح

---

(١) البهطة : الأرز يطبخ باللبن والسمن

شمول ومشروب وتار وصبح والصبوح مع الصباح
هيب فى لهيب فى لهيب صباح فى صباح فى صباح

وأنشدنى أبو سعيد نصر بن يعقوب أبياتاً لعضد الدولة ، اخترت منها قوله فى الخيرى [من البسيط] :

يا طيب رائحة من نفحة الخيرى إذا تمزق جلباب الدياجير
كأنما رش بالماورد أو عبقت فيه دواخن ند عند تبخير
كأن أورافه فى القد أجنحه صفر وحمر وبيض من دنانير

واخترت من قصيدته التى فيها البيت الذى لم يفلح بعده أبداً قوله [من الرمل]:

ليس شرب الكأس إلا فى المطر وغناء من جوار فى السحر
غانيات سابيات للنهى ناغمات فى تضاعيف الوتر
مبرزات الكأس من مطلعها سافيات الراح من فاق البشر
عضد الدولة وابن ركنها ملك الأملاك غلاب القدر
سهم الله له غيبه فى ملوك الأرض ما دار القمر
وأراه الخير فى أولاده ليساس الملك منه بالغرر

فيحكى أنه لما احتضر لم ينطق لسانه إلا بتلاوة قوله تعالى (ما أغنى عنى ماليه. هلك عنى سلطانيه)[1].

* * *

عز الدولة أبو منصور بختيار بن معز الدولة

لم أسمع له شعراً حتى ورد كتاب سديد هرون بن أحمد الصيمرى، ورأيته متصلا بالأمير أبى الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالى . فعرض على كتابه المترجم بحديقة حمدى . وقد أنشدنى بعض أخوانى قال : أنشدنى القاضى أبو بكر بن

---

(١) الآيتان ٢٨ و ٢٩ من سورة الحاقة

فريعة ، قال : أنشدنى عز الدولة لنفسه [من المتقارب] :

فيا حبذا روضنا نرجس تحيي الندامى بريحانها
شربنا عليها كأحداقنا عقاراً بكأس كأجفانها
ومسنا من السكر مابيننا نجرر ريطاً كقضبانها

وبهذا الإسناد له [من الكامل] :

اشرب على فطر السماء القاطر فى صحن دجلة واعص زجر الزاجر
مشمولة أبدى المزاج بكأسها درا نثيراً بين نظم جواهر
من كف أغيد يستبيك إذا مشى بدلال معشوق ونخوة شاطر
والماء مابين الغصون مصفق مثل القيان رقصن حول الزامر

وأنشدنى أبو سعيد(١) قال : أنشدنى أبو جعفر الطبرى طبيب آل بويه ، قال : أنشدنى بختيار لنفسه [من الوافر] :

وفاؤك لازم مكنون سرى وحبك غايتى والشوق زادى
وحالك فى عذارك فى اللبالى سواد فى سواد فى سواد

* * *

تاج الدولة أبو الحسين(٢) أحمد بن عضد الدولة

هو أدب آل بويه وأشعرهم وأكرمهم ، وكان يلى الأهواز . فأدركته حرفة الأدب ، وتصرفت به أحوال أدت إلى النكبة والحبس من جهة أخيه أبى الفوارس . فلست أدرى مافعل به الدهر الآن .

أنشدنى أبو سعد بن دوست . قال : أنشدنى أبو الحسن محمد بن المظفر العلوى النيسابورى . قال : أنشدنى أبو العباس الملحى القوال بسوق الأهواز ، قال :

---

(١) فى إحدى نسخ ا « سعد » محرفة

(٢) وفيها « أبو الحسن » .

أنشدنى تاج الدولة أبو الحسين بن عضد الدولة لنفسه [من الطويل] :

سلام على طيف ألم فسلما وأبدى شعاع الشمس لما تكلما
بدا فبدا من وجهه البدر طالعاً لدى الروض يستعلى قضيباً منعما
وقد أرسلت أيدى العذارى بخده عذاراً من الكافور والمسك أسحما
وأحسب هاروتا أطاف بطرفه فعلمه من سحره فتعلما
ألم بنا فى دامس الليل فانجلى فلما انثنى عنا وودع أظلما

وأنشدنى بديع الزمان له هذين البيتين من الطويل] :

هب الدهر أرضانى وأعتب صرفه وأعقب باحسنى من الحبس والأسر
فمن لى بأيام الشباب التى مضت ومن لى بما أنفقت فى الحبس من عمرى؟

ووجدت مجموعاً من شعر تاج الدولة أبى الحسين بخط أبى الحسن على بن أحمد بن عبدان ، فاخترت منه قوله رحمه الله تعالى فى أرجوزة من مجزوء الرجز] :

ألا شفيت غلتى من العداة بالتى
وصارم مهند محض رقيق الشفرة
وليلة أحييتها منوطة بليلة
كأنما نجم الثريا فى الدجى ومقلتى
جوهرتا عقد على نحر فتاة طفلة
فكر فى بنى أبى وعمى بعض إخوتى
ظن أنى أحمر تنعيم فأين همتى
تقنع بالأهوار لى وواسط والبصرة
ست بتاج الدولة سابق تاج لمتة
إن لم أزر بعدد فى عما قليل كتبتى
وعسكر عرمرم يملأ كل لبدة

حشو الجبال والفلا مواكب من غلق
نصرتهم منى ومن رب السماء نصرق

وقوله من قصيدة [من الرجز] :

أنا ابن تاج الملة المنصورتا ج الدولة الموجود ذو المناقب
أسماؤنا فى وجه كل درهم وفوق كل منبر لخاطب

وقوله من قصيدة [من الوافر] :

أنا التاج المرصع فى جبين الـ ـــمالك سالك سبل الصلاح
كتائبنا يلوح النصر فيها برايات تطرق بالنجاح
تكاد ممالك الآفاق تترى قسيرا إلى من كل النواحى
ألا لله عرض لى مصون مقام المجد بالماء المباح

وقوله من طردية [الرجز] :

صرنا مع الصباح بالفهود مردفة فوق متون القود
قد وطئت توطئة المهود بالقطف والجلال واللبود(١)
فهى كقوم فوقها قعود قد ألبست وشياً على الجلود
يخالها الناظر كالأسود تبكى لشبل ضائع فقيد
بأدمع على الخدود سود فقابلت مرادها فى لبيد
وقطعت حبائل المسود تفوت لحظ الناظر الحديد(٢)
ركضا إلى اقتناص كل رود فكم بها من هالك سهيد
منعفر الخد على الصعيد بنحسب ضل فى السعود
جدنا بها ، واجود بالموجود عسكرت ولائم الجنود
- وشمت النيران بالوقود

(١) القطف : جمع قطيفة .
(٢) المسود : جمع مسدة ، وهو حبل من ليف مضفور .

واخترت منه قوله فى الغزل سامحه الله تعالى وعفا عنه [من الهزج] :

سقانى سحراً خمره وقد لاحت لى الشره(١)
غزال فاتن الطرف مليح الوجه والطره
أنا ملك وقد ملكـ ـت قلبى صاحب الوفره(٢)
وقد زرفن صدغيه على أبهى من الزهره
فمن أسود فى أبيـ ـض فى أحمر فى صفره
إذا حاول أن يجهـ ـل أو يبدو له نفره
أعان الشيخ إبليس عليه فأتى مكره

وله فى النكبة (٣) [من البسيط] :

حتى متى نكبات الدهر تقصدنى لا أستريح من الأحزان والفكر
إذا أقول مضى ما كنت أحذره من الزمان رمانى الدهر بالغير
فحسبى الله فى كل الأمور فقد بدلت بعد صفاء العيش بالكدر

* * *

أبو العباس خسرو بن فيروز بن ركن الدولة رحمهم الله تعالى !

أنشدت له أبياتاً ، تدل على فضل مستكثر من مله ، ولم يحضرنى إلا هذه من مجزوء الرمل :

أدر الكأس علينا أيها الساقى لنطرب
من شمول مثل شمس فى فم الندمان تغرب
فسكت حين تجلت قرقفاً يلثم كوكب
ورد خديه جنى ساكن الغاطور عقرب
فإذا ما لدغت فالـ ـترياق درياق مجرب

---

(١) الشره : كوكب متقد يسمى بياض .
(٢) وفرة — بفتح فسكون — الشعر المجتمع على الرأس .
(٣) هذه القصيدة ليست فى ب

الباب الثانى

فى ذكر المهلبى الوزير وملح أخباره ، وفصوص فصوله وأشعاره

هو أبو محمد الحسن بن محمد ، من ولد قبيصة بن المهلب بن أبى صفرة . كان من ارتفاع القدر ، واتساع الصدر ، ونبل الهمة ، وفيض الكف ، وكرم الشيمة : على ماهو مذكور مشهور ، وأيامه معروفة فى وزارته لمعز الدولة ، وتدبيره أمور العراق ، وانبساط يده فى الأموال ، مع كونه غاية فى الأدب والمحبة لأهله ، وكان يترسل ترسلا مليحاً ، ويقول الشعر قولا لطيفاً ، يضرب بحسنه المثل ، ولا يستحلى معه العسل . يغذى الروح ، ويجلب الروح . كما قال بعض أهل العصر [من الخفيف] :

بأبى من إذا أراد سرارى ... عبرت لى أنفاسه عن عبير
وسبانى نغر كدر نظيم ... تحته منطق كدر نشير
وله طلعة كنيل الأمانى ... أو كشعر المهلبى الوزير

حدثنى أبو بكر الخوارزمى وأبو نصر بن سهل بن المرزبان وأبو الحسن المصيصى . فدخل حديث بعضهم فى بعض تزاد ونقص . قالوا : كانت حاله المهلبى الوزير قبل الاتصال بالسلطان حال ضعف وقلة ، وكان يقاسى منها قذى عينه ، وشجى صدره فبينما هو ذات يوم فى بعض أسفاره مع رفيق له من أصحاب الجراب والمحراب . إلا أنه من أهل الآداب . إذ لسق فى سفره نصباً ، واشتهى اللحم ، فلم يقدر على ثمنه . فقال ارتجالا [من الوافر] :

ألا موت يباع فأشتريه ... فهذا العيش ماله خير فيه
ألا موت لذيذ الطعم يأتى ... يخلصنى من العيش الكريه
إذا أبصرت قبراً من بعيد ... وددت لو أنى مما يليه

ألا رحم المهيمن نفس حر تصدق بالوفاة على أخيه

فاشترى له رفيقه بدرهم واحد لحماً ، فأسكن به قرمه (١) وتحفظ الأبيات وتفارقا ، وضرب الدهر ضرباته ، حتى ترقت حالة المهلبي إلى أعظم درجة من الوزارة فقال [من مجزوء الكامل] :

رق الزمان لفاقتي ورق لطول تحرق
وأنالني ما أرتجي وأجار مما أتقي
فلأصفحن عما أتا ه من الذنوب السبق
حتى جنايته بما فعل المشيب بمفرق

وحصل الرفيق تحت كلكل من كلاكل الدهر ، ثقل عليه بركه (٢) وهاضه عركه (٣) فقصد حضرته ، وتوصل إلى إيصال رقعة تتضمن أبياتاً منها [من الوافر] :

ألا قل للوزير فديته نفسي مقال مذكر مافد نسيه :
أتذكر إذ تقول لضنك عيش ألا موت يباع فأشتريه ؟

فلما نظر فيها تذكره ، وهزته أريحية الكرم ، للحنين إليه ، ورعايه حق الصحبة فيه ، وأجرى على حكم من قال من البسيط] :

إن الكرام إذا ما أسهلوا ذكروا من كان يألفهم في المنزل الخشن

وأمر له في عاجل الحال بسبعمائة درهم ، ووقع في رقعته (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء) ثم دعا له وختم عليه وقلده عملا يرتفق به ، ويرتزق منه

(١) القرم — بفتحتين — شدة الشهوة إلى اللحم
(٢) البرك : البروك ، وهو الزول .
(٣) عركه : عفاه دلكا ورحكا وحن عليه .

ونظير البيتين قول بعضهم [من البسيط] :

قل للوزير أدام الله دولته أذكرتنا أدمنا ، والخبز خشكار
إذ ليس فى الباب بواب لدولتكم ولا حمار ولا فى الشط طيار

وحكى أبو إسحاق الصابى فى الكتاب التاجى قال : كان لمعز الدولة أبى الحسين غلام تركى يدعى تكين الجامدار أمرد ، وضىء الوجه ، منهمك فى الشرب لايعرف الصحو ، ولا يفارق اللعب واللهو . ولفرط ميل معز الدولة إليه وشدة إعجابه به ، جعله رئيس سرية جردها لحرب بعض بنى حمدان ، وكان المهلبي يستظرفه ويستحسن صورته ، ويرى أنه من عدد الهوى ، لا من عدد الوغى ، فمن قوله فيه [من مجزوء الكامل] :

ظبي يرق المـــاء فى وحناته ويرق عوده
ويكاد من شبه العذا رى فيه أن نبدو نهوده
ناطوا بمعقـــد خصره سيفاً ومنطقة تؤوده[1]
جعلوه قائد عسكر ضاع الرعيل ومن يقوده ! !

فما كان بأسرع من أن كانت الدائرة على هذا القائد . وخرج الأمر على ما أشار به المهلبى

ومما يستحسن فى هذا المعنى قول ابن المعتز فى وصف خادم [من الطويل] :

عجبت لتأمير الرجال مقرطقاً ينوء بخصر فى القباء هضيم[2]
يذكر عزاب الجيوش إذا بدا بخد كعاب أو بمقلة ريم

وذكر الصابى أخا أبا عيينة المهلبي . الذى استفرغ نسيبه فى صاحبته دنيا

---

(١) تؤوده : تثقله وتتعبه .

(٢) الرعيل هنا : الجيش .

(٣) المقرطق : اللابس لنوع من الثياب اسمه المقرطق .

من عمومة الوزير ، وكان المهلبي يحفظ أكثر أشعاره ، ويتأسف على مافاته من زمانه فمن قوله [من الكامل] :

إنى وصلت مفاخرى بأب حاز الفخار وطاول العليا
وأجاب داعيه وخلفنى وحديثه فكأنما يحيا
وتلوت عمى فى نغزله وسربت ريا من هوى ريا
فكأننى هو فى صابته وكأنه فى حسنها دنيا

وقوله لما تقلد الوزارة [من الطويل] :

لقد ظفرت والحمد لله منيتى بما كنت أهوى فى الجهارة والنجوى
وشارفت مجرى الشمس فيما ملكته من الأرض واستقررت فى الرتبة العليا
وعاينت من شعر العيبى حسله نعاون فيها الطبع والمهجة الحرا
فحركنى عرق الوشيجة والهوى لعمى وأطت بى إلى الرحم القربى
فيا حسرتى أن فات وقتى وقته ويا حسرة تمضى وتتبعها أخرى
ويا فوز نفسى لو لمحت رمقه وبعيته دنيا وفى يدى الدنيا
فكنته من أهل دنيا وأرضها فصار بما يهوى وفوق الذى يهوى

ما أخرج من كتاب الروزنامجة للصاحب إلى ابن العميد

مما يتعلق بملح أخبار المهلبى

فصل : وردت أدام الله عز مولانا [illegible] وكان [illegible] مستمتعا مولاى للإسعاد فى محمد [illegible] وجعله [illegible] فى [illegible] وبيو [illegible] كان [illegible] شيخ [illegible] حفيف روح [illegible] سجع فى كلامه [illegible] يعرف بالقاضى [illegible] فى [illegible] فى مسائل حفظها بمنع من ذكرها [illegible] إلا أنى استحسنت قوله فى حشو كلامه هذا الذى أوردته الصانه عن [illegible] والكاتب عن [illegible] عن الحاجة . وله نوادر عربية وملح عجيبة

ومنها أن كهلا تطايب بحضرة الأستاذ أبى محمد أيده الله سأله عن حد القفا مريداً تخجيله ، فقال : هو ما اشتمل عليه جربانك ، ومازحك فيه إخوانك ، وباسطك فيه غلمانك ، وأدبك عليه سلطانك . فهذه حدود أربعة

فانصرفت وقد ورد الخبر بمضى أبى الفضل صاحب البريد رضى الله عنه ورحمه وأنسأ أجل مولانا ومد فيه ، فساعدت القوم على الجلوس للتعزية عنه لما كان من الحال يعرف بينى وبينه [من الكامل] :

صلة غدت فى الناس وهى قطيعة عجباً وبر راح وهو جفاء

فما تمكنت أن جاءنى رسول الأستاذ أبى محمد أيده الله يستدعينى لمعرفته عذرى وحسبته يعفينى ، فعاودنى بمن استحضرنى فدخلت عليه وقد قعد للشرب فأكرهنى عليه . ثم قال : أتعرف أحسن صنعة منى بك . وقد نقلتك عن واحرباه إلى واطرباه . وسمعت عنده خادمه المسمى سلافاً ، وهو يضرب بالطنبور ويجيد ويعى ويحسن . وفيه يقول وقد ترنما عنده سلافا [من الخفيف] :

قد سمعنا وقد سربنا سلافا وجمعنا بلطفه أوصافا

وشاهدت من حسن مجلسه ورقة روح أدبه وإنشاده للصنوبرى وطبقته ما طاب به الوقت وهتنت له النفس ، وتناكل رفده ذلك الهوى . وعدوه ذلك النهى

وكان مما أنشدنى لنفسه ولبعض عبيده [من الكامل] :

خطط مقومه ومعرق صدره فكأنه بسمه رحمه تحرس

ورنت فى كتفيه الذى ألقى به بعض النعاس والمحال

فانصرفت عنه وجعلت أتقاه فى دار الإمارة ، وهو على حفه من البر والتكرمة ، حتى عرفت حد وحمل إلى نفسه ما لم أحسن منه ولا أصب من مودته ، ثم حضرته [illegible] فكتب إلى [illegible]

شعراً [من الكامل] :

قل للوزير أبي محمد الذى من دون محتده السهى والفرقد
من إن سما هبط الزمان وريبه أو قام فالدهر المغالب يقعد
سقيذى مشمولة ذهبية كالنار فى نور الزجاجة توقد
لما تخون صرف دهر عارض صبرى وقلبى مستهام مكمد
وفطمتنى من بعدها عنها فقد أصبحت ذا حزن يقيم ويقعد
من أين لى مهما أردت الشرب عن ذك يا أخا العلياء صبر يوجد

فاستطاب هذا الشعر وأعجب به ، واستدعانى من غده ، فحضرت وأبناء المنجم فى مجلسه وقد أعدا قصيدتين فى مدحه ، فنعمها من النشيد لأحضره ، فأنشدا وجودا ، وتمام هذه القصة فى ذكر بنى المنجم

* *

فصل من كتاب الروزنامجه أيضا

قد حضرنا حجرة نرفر بحجرة الريحان ، فيها حوض مستدير ينصب إليه الماء من دجلة بالدواليب . وقد مدت الستارة وفيها حسن العكبراوية فغنت [من الوافر] :

سلام أيها الملك اليمانى نقد غلب البعاد على التدانى

فطرب الأستاذ أبو محمد أيده الله تعالى بغنائها ، واستعادها الصوت مراراً وأتبعته أبياتاً وهى من الكامل :

تطوى المنازل عن حبيبك دائما وتطل تبكيه بدمع ساجم
هلا أقمت ولو على جمر الغضا قامت أو حد الحسام الصارم

ونعتها جارية ابن مقلة . ولا غناء أطيب وأطرب وأحسن من غنائها فغنت ابنة الأستاذ وهما [من مجزوء الكامل] :

يا من له رتب عـ كنة الفواعد فى الفؤاد

أيحل أخذ الماء من متلهب الأحشاء صادى

ففتنت الجميع ، ثم انبسطنا فى الشرب ، واشتغل فى الشدو ، وارتفع الأمر عن الضبط ، والأصوات عن الحفظ ، واتفقت فى أثناء ذلك مذاكرات ، ومناشدات ومجاوبات ، وافترقنا

* * *

فصل منه أيضا

وعلى ذكر عكبرا حضرنا مع الأستاذ أبى محمد أيده الله تعالى بها فاستدعى دنا للوقت ، وخماراً من الدير ، وريحاناً من الحانة ، واقترح غناء من الماخور ، وأخذنا فى فن من الانخلاع عجب ، بطريق من الاسترسال رحيب . ورسم أن يقول من حضر شيئاً فى اليوم ، فاسنظروا وركبت فرمى ، فاتفقت أبيات لم تكن عندى مستحقة لأن تكتب أو تسمع ، لكن رضاء القوم جعل لدى صورتها ، ولولا حذرى من وبيخ مولانا لطويتها وهى [من الطويل] :

تركت لساقى الريح بانة عرعرا ... وررت لصاقى الراح حانة عكبرا
وقلت لعلج يعبد الخز زعفا ... مشعشعة قد شاهدت عصر قيصرا
فناولنيها لو تفرق نورهـــا ... على الدهر نال الليل منها تحيراً
وأوسعنى آسا ووردا ونرجساً ... وأحضرنى ناياً وطبلا ومزهراً
هنالك أعطيت البطالة حقها ... وألقيت هتك الستر عمدا ومفخرا
كأنى الصبا جرياً إلى حومة الصبا ... أباغى صيداً من جلندا مزنرا
فما قمته والراح قد عقرت بنا ... فكررت تقبيلا وقد أقبل الكرى
وصد عن المعنى النعاس وصادنى ... إلى أن صدى تصبح بلبع مسفرا
وهبت سهال نضمت نمل بغبتى ... فطارت بها عنى شمول نطيرا
فكل الذى لولا الحياء دعته ... ولا حرج فى عبس فتى إن تسترا

فصل أيضاً منه : وحضرت الأستاذ أبا محمد أيده الله تعالى فى منظرة له على دجلة تنفتح منها أبواب إلى بساتين ، فعمل بيتين صنعا فى الوقت وغنى بهما ، وهما [من المجتث] :

لئن عرفت جريرا أو اعتمدت فطيعا
فلا ظفرت بعاص ولا أطعت المطيعا

والبيت الأول يحتاج إلى تفسير ، فالمراد بالجرير جريرة وبالقطيع قطيعه وأنفذ الأستاذ أبو محمد أيده الله ليلة وقد مضى الثلث منها فاستدعانى . وقاد دابة نوبته كى لا أتأخر انتظاراً لدابتى . فضربت وألهبته قد انتهى من بستانه الكبير إلى مصبها من دجلة على ميادين ريحان نضرة ، فاستحسن الموضع وقعد فيه يشرب مع خدمه : أبى الكأس ، وسلاف ، وأبى المدام ، وشراب ، وخندريس وشمول ، وراح . وأمر فنصبت نحو مائة شمعة فى أصول تلك الميادين صغيره وقعدت فغنى سلاف [من الرمل] :

يا شقيق النفس من حكم بمت عن ليلى ولم أنم

فقال الأستاذ : بل عن ، من الرمل :

يا شقيق النفس من خدمى لم يبت ليلى ولم أنم
غننى من شعر ذى حكم ياشقيق النفس من حكم

ولم نزل نشرب الراح إلى أن باح الصبح بسره . وقام كل منا يتعرف فى سكره .

ما أخرج من شعره فى وصف كتب ابن العميد

فمن ذلك قوله [من الكامل] :

ورد الكتاب فسرنى وبى ضعاف سرور
فقضضته بوحشته لا عن صفحات نور

مثل السوالف والخدو دالبيض ريبت بالشعور
بنظام لفظ كالثغو روكالعقود على النحور
أنزلته في القلب منـــزلة القلوب من الصدور

وقوله [من الخفيف] :

طلع الفجر من كتابك عندى فى للقاء يبـــدو الصباح
ذاك إن تم لى فقد عذب العيـ ـش ونيل المنى ورنس الجناح

وقوله [من الكامل] :

وصل الكتاب طليعه الوصل بعرائب الإفضال والفضل
فشكرته شكر الفقير إذا أغناه رب المجد بالبذل
وحفظته حفظ الأسير وقد ورد الأمان له من القتل

وقوله [من الكامل] :

ورد الكتاب فدته من وارد فله بقلبى من حناى مورد
فرأيت درا عقـــده منظم فى كل فصل منه فصل مفرد

* * *

ما أخرج من فصوله المردفة بأبيات الشعر

فصل : رأيته فصيح الإشارة لطيف العبارة من الطويل :

إذا اختصر المعنى فسرته حاتم وإن رمت إسهابا أتى العيض بالمد

فصل : قد نظرته فرأيته جسما معتدلا ودما مشعلا [من المتقارب]

ومسا بعض كفيض الغمام وطرداً كماسب صفو المدام

فصل قد عظمه بعده وعرفه نفسه [من الكامل]

وقرأته سريع من فصله حتى خواطره بطيء عنه

فصل : كأن قلبه عين ، وكأن جسمه سمع [من الكامل] :

وكأن فطنته شهاب ثاقب وكأن نقد الحدس منه يقين

فصل : قد لاقت مناهجه ، وراقت مباهجه [من الطويل] :

وقصر يوم الصيف عندى وليلة الـ شتاء سرور منه رفرف طائره

فصل : قد اغتيل كمينه ، واجتيح عرينه [من المتقارب] :

ودارت عليه رحى وقعة تظل الحجارة فيها طحينا

فصل : قد أدبته زجرك ، وهذبته هجرك [من الطويل] :

وإن لمست منه بعاد معاده وعصر جفاه الشرب أن يتعهدا

فصل : قد ضيعه الجلة ، ومنعه المهلة [من المتقارب] :

وأصلاه حر جحيم الحديـ ـد تحت دخان من القسطل

فصل : مضطرب اللسان ، منتقض البيان [من الطويل] :

قليل مجال الرأى فيما ينوبه نزول على حكم النوى والتودع

فصل : من تعرض للمصاعب ، فليتثبت للمصائب [من الطويل] :

ومن خاف أن الهم يملك نفسه فأولى به ترك الملا والمجاشم

فصل : وصلة متينة ، وقاعدة مكينة [من الطويل] :

وأرحام ود دونها الرحم التى تدانت وجلت أن يطول بها الظن

فصل : إنه جريح سيفك ، وطريح حتفك [من الطويل] :

ومن إن تلافاه رضاك أعاشه ومن موته إن دام سخطك حائن

فصل : قد كثرت فتوقه ، واتسعت خروقه [من المتقارب] :

وفات مداواة التلافى فساده وأعيت دلالات الخبير بكاهله

فصل : قد خبا قبسه ، وكبا فرسه [من الكامل]

وصدا شوكه إلى جناب عدوه وقصمت أفراده وعلائقه

فصل : ربما وفى ضنين ، وهفا أمين [من الطويل] :

فللرجل الوافى جميل جزائه وللناصح الهافى جميل التجاوز

فصل : قد حل بربع مأنوس ، وملك محروس [من المتقارب] :

يدبره ملك ماهر بهضم القوى وجبر الضعيف

فصل : لئن فخر بعز لم يحضره ، وبيت لم يعمره [من المتقارب] :

فإن عصير الثمار النجير وإن نفى الحديد الخبث[1]

فصل : قتل الإنسان ظلم ، وقتل قاتله حكم [من السريع] :

والسيف يبدى الجور فى حالة ويبذل الإنصاف فى أخرى

فصل : استقر بساحة خضرة ، واستيد بعشبة نضرة [من الكامل] :

وغدا ابن دأية عندهم كبا وابن سوف صاحه خرس[2]

فصل . عادل المكيال . وازن المثقال [من الطويل] :

يجير على سلطانه حكم دينه ويبعد فى حق البعيد أقاربه

فصل . فاتهم بشدة نجدتهم ، وسرعة تهجمهم [من الكامل] :

تركوا المكيدة والكمين لجهرهم والنبل والأرماح للأسياف

فصل : قد علقت منه بحبل منهوك ، وستر مهتوك [من الطويل] :

وقلب شديد لا يلين لخلة ولا بتلافاء الرقى والتنطف

فصل : أوحشت عنى إبعادا لك . وانعطفا عدك [من البسيط]

وهو يباعد عذب الماء ذو غصص أو ستى عن بذيذ الزاد منهوم

---

[1] شجير . الشعر . وفى بعض الروايات

[2] ابن دأية . الخبر

ما أخرج من فصوله المجردة من أبيات الشعر

واغرط بعضه فى سلك كتابى المترجم بسحر البلاغة

القلب لا يملك بالمخاتلة . ولا يدرك بالمجادلة . له أنعام كثيرة الشهود ، وأفضال غزيرة المدود . لم يعلم فى أى حتف تورط ، وأى شر تأبط . محامد أقر بها الراضى والغضبان ، وأوضحها الدليل والبرهان . كيس البيع رابح الشراء ، حسن الأخذ والعطاء . يؤذى صدره ويمنعه من النفث ، ويجرح خاطره ويعوقه عن العبث . لما أجاب أطاب . وتفسح فى رحاب الصواب . قد ألنت عريكة الدهر له ، وكففت غرب الزمان عنه . يفور غيظا . ويتميز حقدا ، ويتلظى غضبا ، ويزيد حنقا . قد قام بينى وبين وصلك حاجز من فعلك ، قد ابتذلت جديد وده ، واستحللت حرام صده . من حنث فى أيمانه . وأخل بأمانته . فإنما ينكث على نفسه حلف يمين بر شهد بها تصديق ، واستيقنتها نفسى . قد ترامت به البلدان والأسفار ، وبت عنه الأوطان والأوطار ، وضاقت به الأعطان والأقطار . تركت قلبه طائفا بوجده . ودمعه سافحا على خده إلو سامله الأسد رام ظلمه ، أو خاشنه الضر طالب سلمه [١] قد أمرته أن يجعل رأيك سراجه ، ورحمك منهاجه . قد شربت وشلا من وده ، ولبست سملا من عبده . لأكشفنه الكل ليل بارد ، ونهار واقد . اكفف عن لحم يكسبك بشما وفعل يعقبك ندما . مستثقل من كراه . تمل من عناه إطرقنى ثناء ما تتلق شفتاى بذكره ، ولا يثبت بالى لخطره ، استغفار عن الدهر فتنكر نوائبه ، ولا مطيقا له فتدفع مصائبه . قد تناسخت الأيام قواه ، وشذبت الحوادث هواه . تبدى وجه المضايق والموافق . وتخفى نظر المسارق والمنافق لو أن البرق قطنته ، والريح جنبته ، والسد سوره ، لتغشاه حسبى ، واستخرجه طلبى ، ولما خذلته أنصاره ، وقطعته أرحامه ، وقعدت عنه أشياعه . أولته من حمايتى

---

[١] هذا بيت لا صرعى لبس فى بيت

عضدا ، ومن عنايتى مددا . وجدته أمد يداً من باعه ، وأبسط قعوداً من قيامه. مكن موضع رجلك قبل مشيك ، وتأمل عاقبة فعلك قبل سعيك . عصارة لؤم فى قرارة خبث ، غصن مهصور بالموت ، معصور بالتراب . قد خفف همه بالشكوى ، وحل حزنه بالبكاء . كما حذيت النعل بالنعل ، وقد الشراك على المثل ، يعدل عن النص إلى الحرص ، وعن الحس إلى الهجس . فى حكمه صارم فصل ، وفى يده خاتم عدل . سديد المذاهب ، سعيد المناقب . نجيح المطالب . دلاه فى خطر ، وأسلمه المغرب لانملت فى إقامة عمدة الحشايا ، وحركة وطيئة المطايا . دفعه إلى شفير ، وأطلعه على حقير . استدعى حضورى خاليا ، واستدنى مجلسى مكرما ، واستوفى مقالى مصغيا ، وأعطانى معروفه مسمحا ، ونزل على مسألتى مسهلا ، وقضى حاجتى عجلا ، وصرفنى بالنجاح عجلا طيب المغرس ، زاكى المنبت . نضير المنشأ ، رفيع الفرع ، لذيذ الثمر . متقلب بين استقبال شباب ، واستقلال حال . وشرخ قصف ، وفتاء ظرف. وجدت فيه مصطنعا ، وبه مستمتعا ، قد وفر همه على مطعم يجوده . ومرفق يمهده . أنا أتذمم من استئصال مثلك ، وأهب جرمك لفضلك . من ضاف الأسد فراه أظفاره ، ومن حرك الدهر أراه اقتداره وجدت فيه مع علو سنه ، وأخذ الأيام من جسمه بقية حسنة . ومتعة حلوة . التصرف أسنى وأعلى . والنسيم أعنى وأصفى . وبهما اخترت من الأمرين أمراً فعنايتى تحرسك فيه . ونظرى يمكنك منه . لو لم يكن فى تهجين الرأى المفرد . وتبيين عجز التدبير الأوحد . إلا أن الاستلقاح ـ وهو أصل كل شىء ـ لا يكون إلا بين اثنين وأكثر الطبات أقسام تجمع وأوصاف تؤلف .

ما أخرج من شعره فى جاريته تجنى

من ذلك قوله من المنسرح :

[illegible]

تلك نجمى التى جنيت بها أعاذنى الله من تجنيها

وقوله [من الخفيف] :

رب ليل لبست فيه التصابى وخلعت العذار والعذل عنى
فى محل يحسده لذة العيـ ـش ويجنى سروره من تجنى

وقوله [من الخفيف] :

لى صديق فى وده لى صدوق ورعى الحقوق منى حقيق
يا تجنى كنت ثم بدا لى أنت ذاك الصديق لى والرفيق
كلما سرت من فراقك مبلا مال من مهجتى إليك فريق
فحياتى مصروفة فى طريق المنايا على فيها طروق

وقوله [من الخفيف]

منية سامت ورود البشير ومواف أوفى على التقدير
يا عروساً زفت إلى فأهدى ت إليها رقى مكان المهور
يا تمثلى وبالرجا والسرور يا حياتى والمنزل المعمور
قد لعمرى وفيت لى وسأجزيـ ـك وفاء بالشرط بعد النذور

وقوله [من الطويل]

لقد واظبت نفسى على الحب والهوى بإنسانة يرعى الهوى ويواظب
صفالى منها العيش والعيش شامل كما كان يصفو والشباب مصاحب

ما أخرج من شعره فى الغزل وغيره

من ذلك قوله من الوافر :

أراق الله وبلا كل يوم صباح للمنى والسرور
وأرجو أن يحين صحيفته بلا ما الحس من تلك السطور

وقوله [من مجزوء الرمل] :

يا منى نفسى ويا حسـ ـبى من حسن وطيب
سابق بالوصل موقى أو مشيبى ومغيبى
فهو للفتيان فى الدنـ ـيا بمرصاد فريب

وله فى غلام اسمه غريب [من الوافر] :

رعى الرحمن موماً ملكونى رشا قصر بلغت به المرادا
وسموه مع القربى غريباً كذور العين سموه سوادا

وقوله [من الخفيف] :

رب ليل قطعت فيه خمارى بغزال كأنه مخمور
ومصاد سرحت فيه ونصر بازيازى مظفر منصور
بصقور مثل النجوم إذا انقضـ ـت وعصف كأنهن صقور

وقوله [من الكامل] :

الورد بين مضمخ ومضرج والزهر بين مكلل ومتوج
والتاج يهبط كالنثار فقم بنا نلتذ بابنة كرمه لا تمزج
طلع النهار ولاح نور شقائق وبدت سطور الورد لو تنفسج
فكأن يومك فى غلالة فضة والنبت من ذهب على فيروزج

وقوله [من مجزوء الكامل] :

يوم كأن سماءه شبه الحصن الأرتى
وكأن زهره روضه فرشت بأحسن مفرش
فسماؤه دكن الخزو ر وأرضه حصر الوتى

كأنه أخذه من قول ابن الرومى [من الخفيف] :

وعد للسيم يوم سرور والملذاذ ونعمه وانتهاج

ذو سماء كأدكن الخز قد غيـ ـمت وأرض كأخضر الديباج[1]

وقوله [من الخفيف] :

يا هلالا يبدو فيزداد شوقي وهزاراً يربو فيزداد عشقي
زعم الناس أن رقك ملكي كذب الناس أنت مالك رقي

وقوله [من الطويل] :

ألا يامى نفسي وإن كنت حتفها ومعناى فى سرى ومغزاى فى جهرى
تصارمت الأجفان منذ صرمتنى فما تلتقى إلا على عبرة تجرى

وقوله [من السريع] :

يا شادناً حدد حتى له من بعد حب سالف ساحى[2]
ملحه قد أوصلت حبه مثل اتصال الطوق بالتاج

وله فى علام ناله من علته [من مجزوء الكامل] :

سهر العليل فقلت حيـ ـن بدا كقرص ماثل
طلع الهلال للسله نصباء بدر كامل

وقوله من الخفيف

قال لى من أحب والليل قد مد دمعى مواصلا للسهى
ما الذى فى الصبر فى نصح نعدى فقلت أبكى عليك طول الطريق

وقوله من مجزوء البسيط]

قولا تسلى بتكاصى فى البعد والقرب والتلاق
ودمعى طمه الأماق فرقت روحى مع الفرق

---

[1] الأدكن الداكن الغبرة
[2] السالف الماضى والساحى السكن

وقوله [من السريع] :

يناى فأشتط وأوى له ... تنقص الدانى على النائى
حتى إذا أعصرته ذست فى ... يديه دوب الملح فى الماء

وقوله [من المسرح]

ولى حبيب ألوذ منه بأو ... صاف وهواه فوق ما أصف
كالبدر يعلو والشمس تشرق والا ... هزال يعطو والغصن ينعطف(١)

وقوله [من مجزوء الكامل]

إن كنت أرمعت الرحـ ... ـل فإن عزمى فى الرحيل
أو كنت قاطنة أقا ... ت وإن منعت لذيذ سولى
كالجسم يصحب فى المسـ ... ـير ولا يزول لدى النزول

أحده من قول أبى تمام من الكامل

كالجسم إن سافرت كان موكلا ... وإذا حططت الرحل كان حليفا

وقوله من الكامل

عزمى وعزم عصابة ركابه ... موصوله الإخشام بالإسراح
كالسيل غادره إلى أهدافها ... وتصير قاصده إلى الأرواح

وقوله [من الطويل

ودى حسد لو حل فى ما يريده ... لأصبح مسحوتا قصير المدى
ولم أعطه حبا ولكن سجيتى ... تعم ذوى الإخلاص والمتملق

وقوله لأبى إسحاق الصابى من بسيط

[illegible] ... [illegible]
[illegible] ... [illegible]

(١) هذا البيت من قصيدة [illegible]

وقوله [من الطويل] :

أرق كلا وقتى فسط تأله وفسط هوى لا يستمر لمحرم
ولذة وجدى من لذاذة مطربى أسر إلى نفسى وأعذب فى فمى

وقوله [من الكامل] :

يا عارفاً بالداء مطـــرح السؤال عن الدواء
العلم عنـــدى كالغذا . فهل تعيش بلا غذاء ؟

وقوله [من الرمل] :

لو توسطت إذاً لم تترك وكففت القلب عن بعض الأرب
كان أرجى لك فى العقبى من أن تملأ الدلو إلى عقد الكرب(١)

وقوله [من المتقارب] :

هب البعث لم يأتنا نذره وجاحمة النار لم تضرم
أليس بكاف لذى فكرة حياء المسىء من المنعم ؟!

وقوله [من الكامل] :

يا من يسر بلذة الدنيا وبغضها خلقت لما بهوى
لا تكذبن فإنما خلقت ليبتلى زاهدها بها الأخرى

وقوله من الطويل :

بعثت إلى رب البرايا رسالة توسل لى منها دعاء مناصح
فجاء جوابى بالإجابة وانجلت بها كرب ضاقت بهن الجوانح

---

(١) عجز هذا البيت من قول الهجيمى :

وأنا الأخضر من يعرفنى أخضر الجلدة من بيت العرب
من يساجلنى يساجل ماجداً يملأ الدلو إلى عقد الكرب

الباب الثالث

فى ذكر أبى إسحاق الصابى ، ومحاسن كلامه

هو إبراهيم بن هلال بن هرون الصابى الحرانى .

أوحد العراق فى البلاغة ، ومن به تثنى الخناصر فى الكتابة ، وتتفق الشهادات له ببلوغ الغاية ، من البراعة والصناعة ، وكان قد خنق التسعين فى خدمة الخلفاء ، وخلافة الوزراء . وتقلد الأعمال الجلائل . مع ديوان الرسائل . وحلب الدهر أشطره ، وذاق حلوه ومره . ولابس خيره ، ومارس شره . ورئس ورأس ، وخدم وخدم . ومدحه شعراء العراق فى جملة الرؤساء وسار ذكره فى الآفاق ، ودون له من الكلام البهى النقى ما تتناثر درره . وتتكاثر غرره . وفيه يقول بعض أهل العصر [من الكامل] :

أصبحت مشتاقا حليف صبابة ... برسائل الصابى أبى إسحاق
صوب البلاغة والحلاوة والحجى ... ذوب البراعة سلوة العشاق
طوراً كما رق النسيم وتارة ... يحكى لنا الأطواق فى الأعناق
لا يبلغ البلغاء شأو مبرز ... كتبت بدائعه على الأحداق

ويقول بعض أهل العصر فيه أيضاً [من الكامل] :

يا بؤس من يمنى بدمع ساجم ... يهمى على حجب الفؤاد الواجم
لولا تعلله بكأس مدامة ... ورسائل الصابى وشعر كشاجم

وحكى أن الخلفاء والملوك والوزراء أرادوه كثيراً على الإسلام . فأداروه بكل حيلة ، وتمنيه حيلة . حتى إن عز الدولة بختيار عرض عليه وزارته إن أسلم . فلم يهده الله تعالى للإسلام . كما هداه نحاس الكلام وكان يماشر المسلمين أحسن عشره . ويحمد الأكابر رفع حمده وبضاعتهم على صيامه شهر رمضان ، وتحفظه القرآن حفظاً يدور على طرف لسانه وكان

قلبه . وبرهان ذلك ما أوردته فى كتاب الاقتباس من فصوله التى أحسن فيها كل الإحسان . وحلاها بآى من القرآن .

سمعت أبا منصور سعيد بن أحمد البريدى ببخارى يقول : إن أبا اسحاق الصابى ، كان من نساك أهل دينه والمتشددين فى دياناته ،وفى محاماته على مذهبه وتصونه عما يدعو إليه الهوى يقول [من الوافر] :

حمتنى لذق رتب المعالى وضنى بالمروءة والوقار
ودين ضاق فيه مجال فتكى لخوف عقوبة وحذار نار
فواشوقا إلى خلع العذار وفعلى ما أريد بلا اعتذار
ويا لهفى على حل الإزار صريعاً بين سكر أو خمار

وحدثنى أبو نصر سهل بن المرزبان ، قال : بلغنى أن الصابى حضر يوماً مائدة المهلبى ، فامتنع عن الأكل ، لباقلاء كانت عليها ، لأنه محرم على الصابئة كيفما كان مع السمك ولحم الخنزير ولحم الجمل وفراخ الحمام والجراد ، فقال له المهلبى : لا تبرد وكل معنا من هذه الباقلاء . فقال : أيها الوزير لا أريد أن أعصى الله فى مأكول . فاستحسن ذلك منه

وكان أبو إسحاق فى أيام شبابه وإقباله أحسن حالا . وأرخى بالا منه فى أيام استكماله وزمن اكتهاله . وأورى زندا وأسعد جدا منه حين مسه الكبر . وأخذ منه الهرم ، وفى ذلك يقول [من الكامل] :

عجباً لحظى إذ أراه مصالحى عصر الشباب ، وفى المشيب مغاضبى
أمن الغوانى كان حتى ملنى شيخا وكان على صبای مصاحبى؟
أمع التضعضع ملنى متجنبا ومع الترعرع كان غير مجانبى
يا ليت صبوته إلى تأخرت حتى تكون ذخيرة لعواقبى

من قصيدة فى فنها فريدة كتب بها إلى الصاحب ، يشكو فيها بثه وحزنه

ويستمطر سحابه ، بعد أن كان يخاطبه بالكاف ولا يرفعه عن رتبة الأكفاء .

وكان المهلبى لا يرى إلا به الدنيا ، ويحن إلى براعته وتقدم قدمه . ويصطنعه لنفسه ، ويستدعيه فى أوقات أنسه . فلما توفى المهلبى وأبو إسحاق على ديوان الرسائل والخلافة مع ديوان الوزارة ، اعتقل فى جملة عمال المهلبى ، فمن قوله فى ذلك الاعتقال من قصيدة [من الكامل] :

يا أيها الرؤساء ، دعوة خادم ... أوقت رسائله على التعديد
أيجوز فى حكم المروءة عندكم ... حبسى وطول تهددى ووعيدى ؟
قلدت ديوان الرسائل فانظروا : ... أعدلت فى لفظى عن التسديد ؟
أعلى رفع حسام ما أنشأته ... فأفيم فيه أدلتى وشهودى ؟
أنسيتم كتباً شحنت فصولها ... بفصول در عندكم منضود ؟
ورسائلا نفذت إلى أطرافكم ... عبد الحميد بهن غير حميد
يهتز سامعهن من طرب كما ... هز النديم سماع ضرب العود
أنا بين إخوان لنا قد أوثقوا ... بسلاسل وجوامع وقيود
وموكلين بنا نذل لعزهم ... فكأننا لهم عبيد عبيد
والله ما سمع الأنام ولا رأوا ... نقدا توكل قبلهم بأسود
من كل حر ماجد صنديد ... فى كل وغد عاجز رعديد
قصرت خطاه خلاخل من قيده ... فتراد فيها كالفتاة الرود
يمشى الهوينا ذلة لا عزة ... مشى النزيف الخائف المزءود
فتفضلوا وتعطفوا وهبوا لنا ... عفواً قديم حفائظ وحقود
وتعلموا أن الولاية عندكم ... عارية ليست بذات خلود

وسأجعل لإخوانى هذه الأبيات مما قاله فى هذا الاعتقال وغيره فصلا فى جملة الفصول ، من غرر شعره .

ولما حنى عنه وأعيد إلى عمله لم يزل يصبر ويقنع ويتخفض ويترفع إلى أن

دفع فى أيام عضد الدولة إلى النكبة العظمى والطامة الكبرى . إذ كانت فى صدره حزازة كبيرة ، من إنشاءات له عن الخليفة الطائع فى شأن عز الدولة بختيار نقمها منه ، واحتقدها عليه .

حدثنى أبو منصور سعيد بن أحمد البريدى وأبو طاهر محمد بن عبد الصمد الكاتب، قالا : كان من أقوى أسباب تغير عضد الدولة لأبى إسحاق بعد ميله إليه وضنه به فصل له من كتاب أنشأه عن الخليفة فى شأن بختيار ، وهو :

وقد جدد له أمير المؤمنين مع هذه المساعى السوابق ، والمعالى السوامق التى تلزم كل دان وقاص ، وعام وخاص . أن يعرف له حق ما كرم به منها ويتزحزح عن رتبة المماثلة فيها ، فإنه أنكر عليه هذه اللفظة أشد إنكار ؟ ولم يشك فى التعريض به ، وأسرها فى نفسه إلى أن ملك بغداد ، وسائر بلاد العراق ، وأمر أبا إسحاق بتأليف كتاب فى أخبار الدولة الديلمية ، يشتمل على ذكر قديمه وحديثه ، وشرح سيره وحروبه وفتوحه ، فامتثل أمره وافتتح كتابه المترجم بالناجى الذى تقدم ذكره . فاشتغل فى منزله به ، وأخذ يتأنق فى تصنيفه وترصيفه ، وينفق من روحه على تفريظه وتشنيفه. فرفع إلى عضد الدولة أن صديقاً للصابى دخل عليه يوماً فرآه فى شغل شاغل من التعليق والتسويد والتبديل والتبييض . فسأله عما يعمله مردداً فقال : أباطيل أنمقها وأكاذيب أرقمها . فانصدع أبو هند لكلامه فى قلب عضد الدولة إلى ما كان فى نفسه من أبى إسحاق . وحرك من ضغنه الساكن وأثار من حقده الكامن. فأمر من يلو نحت الرحال الفضة فأتى بنصر بن هرون ومظهر بن عبد الله وعبد العزيز بن يوسف على الأرض يقبلونها بين يديه . ويستشفعون إليه فى أمره . ويتلطفون فى سببه فعرفه أن أمر باسحبانه مع القبض عليه وعلى أشياعه واستصفاء أمواله . فهو فى ذلك الاعتقال بضع سنين إلى أن تخلص فى آخر أيام عضد الدولة . وقد زرحت حاله وتهتك ستره وكان الصاحب عبد الصمد حسن الرعاية له والتعهد على بعد الدار بالمدح . وأبو إسحاق يخدم بحضرته بالمدح

وقرأت له فصلا من كتاب فى ذكر صلة وصلت منه إليه استظرفته جداً ، وهو :

ورد ـ أطال الله تعالى بقاء سيدنا ومولانا ـ أبو العباس أحمد بن الحسين وأبو محمد جعفر بن شعيب حاجين ، فعرجا إلى ملين ، وعاجا على مسلين ، فحين عرفتهما ، وقبل أن أرد السلام عليهما ، مددت اليد إليهما ، كما مدها حسان ابن ثابت إلى رسول جبلة بن الأيهم ثقة منى بصلته ، وتشوقا إلى تكرمته واعتياداً لإحسانه ، وإلفاً لموارد إنعامه ، وتيقنا أن خطورى بباله ، مقرون بالنصيب من ماله ، وأن ذكراه لى مشفوعة بجدواه ، وقمت عند ذلك قائما ، وقبلت الأرض ساجدا ، وكررت الدعاء والثناء مجتهدا . وسألت الله تعالى أن يطيل له البقاء ، كطول يده بالعطاء ، ويمد له فى العمر ، كامتداد ظله على الحر . وأن يحرس هذا البدد ، القليل العدد من مشيخة الكتاب ، ومنتحلى الآداب ، ما كنفهم به من ذراه ، وأفاء عليهم من نداه ، وأسامهم فيه من مراتعه ، وأعذبه لهم من شرائعه ، التى هم محلئون إلا عنها ، ومحرومون إلا منها .

وله رسائل وقصائد كثيرة إليه ، وقد أودعت هذا الكتاب شرطه منها

وبلغنى أن الصاحب كان يتمنى انحيازه إلى جنبته ، وقدومه إلى حضرته ، ويضمن له الرغائب على ذلك إما تشوقا أو تفوقا ، وكان أبو إسحق يحتمل ثقل الخلة ، وسوء أثر العطلة ، ولا يتواضع للاتصال بجملة الصاحب بعد كونه من نظرائه وتحلبه بالرياسة فى أيامه .

وأخبرنى ثقات منهم أبو القاسم على بن محمد التنوخى ، وكان شديد الاختصاص بالصاحب ، أنه كثيرا ما كان يقول : كتاب الدنيا وبغداء العصر أربعة : الأستاذ ابن العميد ، وأبو القاسم عبد العزيز بن يوسف ، وأبو إسحق الصابى ، ويرشحت لذكر سابع يعنى نفسه ، وأما الترجيح بين هؤلاء الصدور فى

الصاحب والصابى ـ فى الكتابة فقد خاض فيه الخائضون . وأخبر فيه المخبرون ومن أشق ما سمعته فى ذلك أن الصاحب كان يكتب كما يريد وأبو إسحاق كان يكتب كما يؤمر، وبين الحالين بون بعيد. وكيف جرى الأمر فيهما هما وقد وقف فلك البلاغة بعدهما .

وأنا كاتب أنموذجا من فصوص فصول الصابى وفرائد قلائده ، ومقف على أثره بما فصلته من غرر أشعاره المشتملة على بدائع معانيه بمشيئة الله تعالى وإذنه .

فصل له من كتاب إلى عضد الدولة فى التهنئة بتحويل سنة

أسأل الله تعالى مبتهلا لديه ، ما يدنى إليه . أن يحيل على مولانا هذه السنة وما بتلوها من أخواتها بالصالحات الباقيات، وبالزائدات العامرات. ليكون كل دهر يستقبله وأمد يستأنفه موفيا على المتقدم له ، قاصرا عن المتأخر عنه ، ويوفيه من العمر أطوله وأبعده ، ومن العيش أعذبه وأرغده، عزيزا منصورا محميا موفورا باسطا يده فلا يقبضها إلا على نواصى أعداء وحساد ، سامیا طرفه . فلا يغضه إلا على لذة غمض ورقاد مستريحه ركابه ولا يعملها إلا لاستضافه عز وملك فائزة قداحه فلا يجيلها إلا لحيازة مال وملك . حتى ينال أقصى ما تتوجه إليه أمنيته جامحا . وتسمو له همته طامحا

فصل من كتاب عن مختار إلى مؤيد الدولة

لما قبض على أبى الفتح بن العميد ذى الكفايتين ، فى الشفاعة له

وهذا غلام أفسده سجيه ركن الدولة السريعة فى شدة الاحتمال ، والصبر على الإدلال واجتمع له إلى ذلك التقلب فى نعمه حازها حيازة وارث لها ، لم يكدح فى أنيلها . ولا مسه النصب فى سعيها ولا اهتدى إلى طريق استفادتها . ولا تحزن من ضرق دواعى انتقالها . ومن ألزم اللوازم فى حكم الرعاية أن حفظه من شكر نعمة نحن سقناه بكأسها ، وأن نعذره عند هفوة

قد شاركناه فى إيجاد أسبابها . وأن تكون نفسه محروسة والبقية من حاله بعد أخذ فضلها المفسد له متروكه ، وأن يتحدث الناس بأن سيدى الأمير أصاب غرض الحزم بالقبض عليه ، ثم طبق مفصل الكرم فى التجاوز عنه .

فصل عنه إلى أبى تغلب ، فى الشفاعة لأخ له

وقد يكون لعمرى من ذوى الأرحام الشابكة ، والقرابات الدانية ، من يتمادى فى العقوق . ويذهب عن حفظ الحقوق ، ولا يمنع ترك تألفه حتى يرجع ، واستصلاحه حتى ينزع . فإن تجشم الإعراض عنه لرياضة تقصد . أو عاقبة نفع تحمد . لم يبلغ به إلى قطع المعيشة ، ومنع المادة . لأن قباحة ذلك عن يستعمله أكثر من مضرته بمن يعمل معه . وقد قيل إن الملوك تؤدب بالهجران . ولا تعاقب بالحرمان . هذا فى الأتباع والأصحاب . فكيف فى الإخوان والأقارب .

فصل عن نفسه إلى عبد العزيز بن يوسف

كتب الأتباع محتاجة عند الملوك إلى قائد يطرق ويمهدها . وسائق يشيع ويحدو بها ، وناصح يعضدها فى متضمناتها . ويشفع لها فى ملتمساتها ، ويعتمد عرضها فى أوقات الفراغ والنشاط وأحيان الخلوة والانبساط .

فصل عن بختيار إلى أبى تغلب ، فى ذكر فرس أهداه إليه

أما الفرس الذى سألت إيثارك به . فقد تقدمنا بقوده إليك . والله تعالى يبارك لك فيه . ويجعل الخير معقد ناصيته . والإقبال غرة وجهه وإدراك مطالب تحجيل قوائمه . ونيل الأمانى طلق شده . وفتح "فتوح غايه شأوه وسلامة العواقب منى عدوه

فصل عن نفسه إلى صديق له منجم يسأله الحكم عن تحويل سنته

ما أحوج من حالى حاله إلى تفضل منك عائد بعد باد ، ونال بعد ماض ، وبالحكم على السنة المستقبلة التى تصل زايرجتها درج هذا الكتاب ، مستقصيا له ومدققا فيه ومتوفرا عليه ، ومتوصلا إلى استنباء دفينه واستثارة كمينه ، والافصاح بكلياته وجزئياته ، غير مغرق فى تفخيم مايلوح من السعادة سهلها الله تعالى . كيلا أتوقع منها أكثر من حدها ، ولامقتصرا فى الإنذار بالمنحسة صرفها الله تعالى ، لئلا أكون كالغافل الذاهل عنها . فإن ثمرة هذه الصناعة هى تقدمة المعرفة بما يكون ، والاستعداد له بما يمكن . ولاأقول إن ذلك يؤدى إلى دفع مقدور نازل . ولامعارضة محتوم حاصل . ولكنى أقول : ربما كان من سعادة السعيد أن يعلم هذا الأمر فيتصدى لحيازة مايحب ، ويتوقى حلول ما يكره ، وربما كان من منحسة المنحوس أن يجهله فيكون كالمسلوب بصره وسمعه ، الذى لايرى فيتحفظ ، ولايسمع فيتيقظ . وكلا الأمرين لسابق قضاء الله تعالى موافق ، ولمتقدم علمه مطابق . وإنما ذكرت ذلك استظهاراً لنفسى إن تعداك كتابى إلى غيرك ، ممن لايهتدى للجمع بين الأمرين ، والتعلق منهما بالعروتين . فيظن أن المراعى لأحدهما مخل بالآخر ، وعندى أن الفاصل بينهما لايخلو من أن يكون ناقص الحظوظ فى أدبه ، أو ناقص اليقين فى دينه . وأنت ولى ما تفضل به فى ذلك معتمد تقديمه ، وترك تأخيره ، إذ للنفس راحة فى تيسير المنتظرات ، وعليها كلفة فى أن تتمادى بها الأوقات ، على أن ظنى بك الإيثار لما أثرت ، والتحرز مما حاذرت .

فصل من رسالة عن صديق له فى الخطبة

ولم يكن سخط إلى محظوظ إياه سبب غير ابتدائه إياه بالثقة . والأنس بمشاكله ورضاه به شريكا مفوضا فى الولد واللحمة والحال والنعمة

لكفاه وأجزاه . وأغناه عن كل ما سواه حتى إنه لو خطب إلى زاهد لوجب عليه أن يرغب أو إلى معتاص للزمه أن ينقاد . لأن هذا المطلب إذا صدر عن الأحرار إلى الأحرار استهجن الرد عنه ، والمقابلة له بضده ، فكيف وقد انتظمت بيننا دواعى الإجابة ، وارتفعت عن المدافعة ؟ وبالله جهد المقسم أن والدى أيدهما الله تعالى يسومانى التأهل منذ سنين كثيرة ، فأحمل نفسى على التقاعس عما آثراه مع ما افترض على من طاعتهما اشتطاطاً منى فى سرائط أحببت أن تجتمع لى فى الخيبة التى أواصلها . وقلما تتكامل إلا فيمن طهر الله أصله ، وجمل أمره وأظهر فضله . وقد دعانى بالدعاء إلى ذلك كثير من الرؤساء الأكابر وذوى الأخطار والأفاضل . بفارس والبصرة وبغداد ، فامتنعت من أجل شذوذ بعض شرائطى عليهم . حتى إذا أوجدنيها الله فى جهتك الجليلة . وجمعها فى منازلك المصونة ، بعثنى البواعث وحفزتنى الحوافز إلى أن يتألف بيننا الشمل ، ويتصل بنا الحبل . فكتبت إليك هذه الرقعة خاطباً إليك كريمتك فلانة ، على أن أكون لها كالجفن الواقى لمقلته . والصدر الحاوى لمهجته ولك كالولد المطيع لأبيه ولأخيها كالأخ المعاضد لأخيه . فإن رأيت ياسيدى أن تتأمل ما كتبت به من هذه الحلة ، وتسمع من موصلها ما يحمله عنى من تفصيلها ، وتتوخى بإجابتى إلى ما سألت تحقيق ظنى . وتصديق أملى . فعلت إن شاء الله

فصل من عهد للخليفة إلى قاض

رأمره أن يجلس للخصوم . وقد نال من المطعم والمشرب ضرفا يقف به عند أول حد من الكفاية . ولا يتبع منه إلى آخر الغاية وأن يعرض نفسه على أسباب حاجته كلها . وعوارض المسرية بأسرها . لئلا يلجئه من ذلك إلى ما يطيف به طائف . فيحيلانه عن رشده . ويحولان بينه وبين سداده

فصل فى ذكر تقليد المطيع ابنه الطائع ما كان إليه من الخلافة

ولما صار فى السن العليا ، والعلة العظمى ، بحيث يحرج أن يقيم معه على إمامة قد كل عن تحمل كلها ، وضعف عن النهوض بعبئها وحملها ، خلع ذلك السربال على أمير المؤمنين الطائع لله ، خلع الماض إليه ، والمسلم عليه

فصل عن مختار إلى عضد الدولة فى التأليف

وإن من أعظم محن هذا البيت ، أن تزول منابت فروعه عن منابت أصوله ، وأن تؤتى مراسى أوتاده من ذوائب عروشه وأن تدب بينهم عقارب المشاحنة ، وتسرى إليهم أراقم المناقشة . وتنشب الدواهى فيهم من ذاتهم ، وقد كانت محسومة من أضدادهم وعداتهم .

فصل إلى صديق له ، فى الشكوى والاستماحة

ولما صارت صروف الدهر نوبا على بعد النطريف ، وبحجف بى بعد الحيف وصادف ما يجدد على فى هذا الوقت منها أشلاء منى منهوكة ، وأعظم مرية ، وحشاشة مشفيه ، وبقية مودية جعلت اختبار الجهات ، واغتنام الجنبات ، لأعرو منها مالا يعاب سائله إذا سأل ، ولا يخيب آمله إذا أمل وكان سيدى أولها إذا عددت ، وأولاها إذا اعتمدت . وكتبت كتابى هذا بيد يكاد وجهى يتظلم منها إذ تخطه ، إشفاقا على ماثه مما يريقه ، لولا الثقة بأنه يحقن ماء الوجوه ويحميها ، ويحميها ولا يقذيها .

فصل فى مثله

ولما أناخت النكبة بى حلى على طلل قفر ، وبلقع صفر وعون المغارم

أثقل وطأة من أبكارها ، وأبلغ تأثيرا فى ثلبها وإضرارها . فقد اضطرنى إلى تجشم ما كنت أجمه من نداه ، والتعرض لما كنت أدخره من جدواه . وإنما تخرج الكرائم ونذل النفائس من نزايد الضغطة . وتضايق الخطه

فصل فى ذكر الأقدار

لله تعالى أقدار ترد فى أوقاتها ، وقضايا تجرى إلى غاياتها ، لا يرد شىء منها عن متأوه ومداه ، ولا يصد دون مبلغه ومنحاه ، فهى كالسهام التى لا تتثبت فى الأغراض ، ولا ترجع بالاعتراض . والناس فيها بين غبطة بحب السكر عليها ، ورزية يونق بالعوض عنها

فصل فى ذكر الشكر والكفر

للنعم شروط من الشكر لا تريم ما وجد . ولا نعيم ما فقد وكثيرا ما تسكر الواردين حياضها ، وتعتى عيون المقتبسين إيماضها . فيذهلون عن لامتراء لدرتها ، ويعمهون عن الاستمتاع بنضرتها ويكونون كمن أطار طائرها لما وقع ، وفر وحشيها لما أنس ، فلا يلتئون أن تتمروا من جلبابه ، ويتسلحوا من إهابها . وتعوضوا منها الحسرة والتحليل ، والأسف الطويل

فصل عن بختيار إلى سبكتكين الغزنى

ليت شعرى بأى قدم توافقنا ورأيا سما حاتمه على رأسك ، ومعاليكنا عن بنانك وسمائك ، وحملنا موسومة أسمائنا تحتك . وتيجاننا المنسوجة فى طرزنا على جسدك ، وسلاحنا المسحود لأعدائنا فى يدك

فصل نه إليه أيضا

[illegible] أن مثل إحسانه [illegible] يكفر . ومن مجده [illegible] حسن [illegible] ضعك من [illegible] لا يقع [illegible] مرتب [illegible] أحرار [illegible]

فصل إليه أيضا

تناولتك الألسن العاذلة ، وتناقلت حديثك الأندية الحافلة . وقلدت نفسك عاراً لا يرحضه الاعتذار ، ولا يعفيه الليل والنهار

فصل فى ذكره

هو أرق دينا وأمانة . وأخفض قدرا ومكانة ، وأتم ذلا ومهانة ،وأظهر عجزا ورمانة، من أن تستقل به قدم مطاولتنا، أو تطمئن له ضلوع على منابذتنا . وهو فى نشوزه عنا وطلبنا إياه كالضالة المنشوده ، وفيما نرجوه من الظفر به كالظلامة المردودة

فصل فى مثله أيضا

ولما بعد صيته بعد الخمول ، وطلع سعده بعد الأفول ، وجمعت عنده الأموال ،ووطئت عقبه الرجال،وتضرمت بحسده جوانح الأكفاء، وتقطعت لمنافسته أنفاس النظراء ، زين له بطنته، فأدركته شقوته ونزغ به شيطانه، وامتدت فى الغى أشطانه

فصل عن بختيار فى ذكر عضد الدولة ، وما جرى بينهما

والله عالم أنى مع ماعودنيه الله من الإظهار ، وأوجدنيه من الاستظهار ومنحنيه من شرف المكان ، وظل السلطان وكثرة الأعوان ، لأجزع فى مناصلة عضد الدوله من أن أصيب الغرض منه . كما أجزع من أن يصيب الغرض منى ، وأكره أن أظفر به كما أكره أن يظفر بى . وأشفق من أن أطرف عنى يدى ، وأعض فى ساق

فصل فى ذكره أيضاً

إن بختيار الطعام إذ بد والعز ذا لقه مالى لم يقف عند أحد الذى يقدر دلال أن يقف عنده . ولم يخصص بخ ب الذى نص أنه لحقه وحده . ل لقد دب " ر فى لحمه ودمه كما سرى السم فى لدغه وكثيراً ماتعدى

الصحاح مبارك الجرب . ويتخطى الأذى إلى المرتق الصعب .

فصل فى ذكره أيضاً

قد لحقنى من مولانا مايلحق الرجل تذوى يمينه ، وهو بين أن يقطعها ليسلم له ما بعدها . وبالها من خطة ما أصعبها وأشقها ، وورطة ما أحرجها وأضيقها . وبين أن يغضى عليها فيرمى إلى ماهو أعظم من قطعها ، وأمض من فقدها .

فصل فى ذكر القواد

عادوا إلى الحضرة عود الأثياب إلى أقوابها . والأظفار إلى براثنها . والنصال إلى أجفانها والسهام إلى كنائنها

فصل عن الخليفة فى رعاية حقوق الآباء فى الأبناء

واصطناع أولاد الأولياء

وأمير المؤمنين يذهب على آثار الأئمة المهديين ، والولاة المجتهدين فى إفرار ودائعهم عند المترشحين لحفظها ، والمضطلعين بحملها . من أولاد أوليائهم وذرية نصحائهم ، إذ كان لابد للأسلاف أن تمضى . وللأخلاف أن تنمو . كالشجر الذى يغرس لدنا فيصير عصيا . والنبات الذى ينجم رطبا فيعود هشيما فالمصيب من تخير الغرس من حيث استحب الثمر . واستحلى الثمر ، وتعهد العرف من طاب عنه الخبر . وحسن منه الأثر :

فصل من رسالة فى وصف التصيد والصيد

وخيلنا كالأموج المندفقة والأطواد المرتقة مسومة عاطفة ، مسلمة حربة تستاق الصيد وهى لا تطعم ، وتحمى بيضه كما تضمر مضمه وتسقى فرخه حتى يقوى ، فحينئذ تعرضه للصيد وتحجره ، فإذا

الألحاظ والمناظر . بعيدة المرامى والمطارح ، زكية القلوب والنفوس ، قليلة القطوب والعبوس . سابقة الأذناب ، كريمة الأنساب . صلبة الأعواد . قوية الأوصال ، تزيد إذا طمعت شرها وقرما . وتتضاعف إذا شبعت كلباً ونهماً فبينا نحن سائرون . وفى الطلب ممعنون ، إذ وردنا ماء زرقا جامه ، طامية أرجاؤه يبوح بأسراره صفاؤه . ويلوح فى قراره حصباؤه . وأفانين الطير به محدقة . وغرائبه عليه واقعة . متغايرة الألوان والصفات ، مختلفة اللغات والأصوات . فمن صريح خلص وتهذب نوعه ، ومن مشوب تهجن عرقه ، فلما أوفينا عليها أرسلنا الجوارح إليها ، كأنها رسل المنايا ، أو سهام القضايا . فلم نسمع إلا مسمياً ولم نر إلا مذكيا . وعدنا لشأننا دفعات ، وأطلقناها مرات .

فصـــــل منها

ثم عدلنا عن مطارح الحيام ، إلى مسارح الآرام . نستقرى ملاعبها ، ونتوم مجامعها ، حتى أفضينا إلى أسراب لاهية بأطلائها ، راتعة فى أكلائها ومعنا فهود أخطف من البروق . وأقفز من الليوث ، وأمكر من الثعالب وأدب من العقارب . وأنزل من الجادب ، خمص الخصور قب البطون ، رقش المتون ، حمر الأماق . خزر الأحداق . درت الأشداق ، عراض الجباه . غلب الرقاب ، كاشرة عن أنياب كالحراب .

فصل منها

وكم من قبر أطلقنا عليه بازياً فعرج إلى السماء عروجا ، ولجج فى أثره تلجيجا . فكأن ذلك يعتصم منه بالخالق ، وكان هذا يستطعمه من خالق . حتى غابا عن النظار ، واحتجبا عن الأبصار . وصارا كالغيب المرجم ، والظن المتوهم ، ثم خطفه ووقع به وهما كهيئة الطائر الواحد ، فأعجبنا أمرهما . وأطربنا منظرهما

فصل من رسالة فى وصف الرمى عن قسى البندقيه

مآرب الناس منزلة بحسب قربها من هزل أو جد ، ومرتبة على قدر استحقاقها من ذم أو حمد . وإذا وقع التأمل عليها والتدبر لها ، وجد أولاها بأن تعده الخاصة نزهة وملعبا ، والعامة حرفة ومكتسبا ، الصيد الذى فاتحته طلاب لذة ونظر ، وخاتمته حصول مغنم وظفر . وقد اشتركت الملوك والسوقة فى استجماله ، واتفقت الشرائع المختلفة على استحلاله . ونطقت الكتب المنزلة بالرخصة فيه ، وبعثت المروءات على مزاولته وتعاطيه . وهو رائض الأبدان ، وجامع شمل الإخوان ، وداع إلى اتصال العشرة منهم والصحبة ، وموجب لاستحكام الألفة بينهم والمحبة .

فصل إلى بعض الوزراء ، فى إهداء دواة ومرفع

قد خدمت مجلس سيدنا حرسه الله تعالى وآنسه بدواة تداوى مرض عفاته ، وتدوى قلوب عداته . على مرفع يؤذن بدوام رفعته ، وارتفاع النوائب عن ساحته .

فصل من كتاب له إلى الصاحب

كتبت أطال الله بقاء الصاحب هذا الكتاب . وأنا أود أن سواد عينى مداده ، وبياضها طرسه . شوقاً إلا لألاء غرته . وقرماً إلى تقبيل أنامله . وظمأ إلى ارتشاف بساطه

فصل من هذا الكتاب

وما عسيت أن أبلغ فى شكر سيدنا وحمده . على ما أهلنى له من جوده ورفده . وجدى يقصر عن عفوه وإسهابى يعجز عن وصفه . وهل أنا فى

ذلك لو فعلته إلا كمن جارى الحصان بالأنان ، وواحه الغزالة بالذبالة ، وقارع الحسام بالعصا ، وبارى الدر بالحصى .

* * *

ما أخرج من شعره فى الغزل

من ذلك قوله [من الطويل] :

تورد دمعى إذ جرى ومدامتى ... فمن مثل ما فى الكأس عينى سكب
فوالله ما أدرى أبالخمر أسبلت ... جفونى أم من عبرتى كنت أشرب

وقوله فى معناه [من الكامل] :

جرت الجفون دماً وكأسى فى يدى ... شوقاً إلى من لج فى هجرانى
فتحالف الفعلان شارب قهوة ... يسكى دماً وتشاكل اللونان
فكأن ما فى الجفن من كأسى جرى ... وكأن ما فى الكأس من أجفانى

وقوله [من الخفيف] :

لست أشكو هواك يومى هواه ... كل يوم يروعنى منه خطب
مر ما مر لى من أحلك حلو ... وعذابى فى مثل حبك عذب

وقوله [من الخفيف] :

أيها اللائم المضيق صدرى ... لا لعمرى فكثرة اللوم تغرى
قد أقام الغرام حجة عشقى ... وأبى العذار فى حب عذرى

وقوله من الكامل :

حذرت قلبى أن يعود لهوى ... ما مس بالسراء بروعا
فأجابنى لا تحسبنى حسبما ... أفنيت من سرك الغرام وقوعا
حتى إذا داع دعاه إلى الهوى ... أصغى إليه سامعاً ومطيعاً

كذبالة أخمدتها فكما دنا منها الضرام تعلقته سريعا

وقوله [من الوافر] :

مرضت من الهوى حتى إذا ما بدا ما بى لإخوانى الحضور
تكنفنى ذوو الإشفاق منهم ولاذوا بالدعاء وبالنذور
وقالوا للطبيب أشر فإنا نعدك للمهم من الأمور
فقال شفاؤه الرمان مما نضمنه حشاه من السعير
فقلت لهم أصاب بغير عمد ولكن ذاك رمان الصدور

وقوله [من الطويل] :

إلى الله أشكو مالقيت من الهوى بجارية أمسى بها القلب يلهج
إذا امتزجت أنفاسنا بالتزامنا توهمت أن الروح بالروح يمزج
كأنى وقد قبلتها بعد هجعة ووجدى ما بين الجوانح يلعج
أصفت إلى النفس التى بين أضلعى بأنفاسها نفساً إلى الصدر تولج
فان قيل لى اختر أيما شئت منهما فإنى إلى النفس الجديدة أحوج

وقوله [من الكامل] :

أحشمتها بالعتب عند لقائها فتلثمت من شدة استحيائها
واستكملت صفة الدور بطاعة وبحلة صبغت بلون سمائها
فبهت أنظر من خلين حسنها متحيراً فى لازورد ردائها

وقوله [من المجتث]

هيفاء تحكى قضيباً قد حسنته الروح
مثر على خط در عليه مسك وراح
حردتها واعتصما كل لكل وشاح
باتت وكل مصون لى من حماها مباح

(١٧ ـ ٢ يتيمة)

في ليلة لم يعبها ... في الدهر إلا الصباح

وقوله [من المنسرح] :

هيفاء كالغصن في رشاقته ... لفاء كالدعص في كثافته
تبخترت والعثان يكنفها ... فكانت البدر وسط هالته

وقوله [من الطويل] :

أقول وقد جردتها من ثيابها ... وعانقتها كالبدر في ليلة التم
لئن آلمت صدري لشدة ضمها ... لقد جبرت قلبي وإن أوهنت عظمي

وقوله [من البسيط] :

إن نحن قسناك بالغصن الرطيب فقد ... خنا عليك إذاً ظلما وعدوانا
الغصن أحسن ما نلقاه مكتسياً ... وأنت أحسن ما نلفاك عريانا

وقوله [من مجزوء الكامل] :

يا من بدت عريانة ... فرأيت كل الحسن منها
كانت تباينك عورة ... سترت بالتجريد عنها

وقوله من السريع :

يا قمراً كاشمس في نطرته ... وكالقضيب اللدن في خطرته
خلتك صيداً صرت في قبضتي ... فصرت من صيدي في قبضته
بدت من لاحظي طرفها ... من حيفة الناس بسلمته
لما رأت سري لها شائعاً ... وعاصياً ذلك من نميمه
أراحت الريح على وجهها ... وشب السعر في فحمته

وقوله [من المنسرح

ما أنس لا أنس منه لاحظ ... والليل صفو والصبح مكفهر
قلت منه ما لاحظته ... تجمع من الظلام والنور
كأن مجرى سواكه برد ... وريقه دون ذلك البرد

وقوله [من مجزوء الرمل] :

طيب عيشى فى عناقك ووفاقى فى وفاقك
أنت لى بدر فلا عشـــت إلى يوم محاقك
فاسقنى الصهباء صرفا أو بمزج من رياقك
لا أريد المـــاء إلا عند غسلى من عنافك

وقوله [من الكامل] :

كل الورى من مسلم ومعاهد للدين منه فيك أعدل شاهد
فإذا رآك المسلمون تيقنوا حور الجنان لدى النعيم الخالد
وإذا رأى منك النصارى ظله يعطو بدير فوق غصن مائد
أتنوا على تثليثهم واستسهدوا تلك إذ جمعت ثلاثة فى واحد
وإذا اليهود رأوا جبينك لامعاً قالوا لدافع دينهم والجاحد
هذا سنا الرحمن حين أتاته لكليمه موسى النبى العـــابد
وترى المجوس ضياء وجهك فوقه مسود فرع كالظلام الراكد
فيقوم من ظلام ذاك ونور ذا حجج أعدوها لكل معاند
أصبحت تمسحهم فكم لك فيهم من راكع عند الظلام وساجد
والصابئون يرون أنك سيد فى حسن بشر غير سيد
كازهره بهر ، أب لديهم مسعوده نامسترى وعطارد
فعلى لدين جميعهم مستعصر فى الدين من عدوى اسابين وراشد
اصلحهم وهدى وزكى من بعد ما شقى بدين ف د

ما أخرج من شعره فى الخمر وما يضاف إليه

فمن ذلك قوله [من مجزوء الرمل] :

كوكب الإصباح لاحا طالعاً والديك صاحا
فاسقنيها قهوة تأ سو من الهم جراحا
ذات نشر كنسيم الـــروض غب القطر فاحا
يا غلامى ما أرى فيـــها ولا فيك جناحا
حرم الماء وأبعد ه وإن كان مباحا
أفراح أنا حتى أشرب الماء القراحا

وقوله فى نبيذ تمر كدر يدور به ساق يشبهه بالعروس التى تجلى ، وتبرز أمامها سوداء قبيحة ، لتكون كالعوذة لها ، وتكون محاسن العروس أظهر بإزاء مقابحها [من الوافر] :

بنفسى مقبلا يهدى فتونا إلى الشرب الكرام بحسن قده
وفى يده من التمرى كأس كسوداء العروس أمام خده

وقوله [من المنسرح] :

صـــفراء كالتبر جامها يقق شعاعها كالذبال يأتلق
كأن فى كف من أتاك بها ضحى نهار فى وسطه شفق

ونونه من قصيدة شبه له فيها مجلس الأنس بالمعركة [من المتقارب] :

ألا قم هوى فى جحفل ط من مقامى فيه قرار
دبدبة من صوان نقا ن ولدى بوق به مستطار
ومجلسنا حومة أرجحت يخف لسامى إليها بدر
كأن فكاهتهم إذ علت تماثم لحرب دبت شعار
كأن الكؤوس بأيدى السقاة سيوف لها بالدماء احمرار

كأن مناديل أكتافهم حمائلها إذ عليهم تدار
كأن رجوم تحاياهم سهام على الجيش منها تثار
كأن المجامر خيل جرت وقد ثار للنقع منها غبار
كأن السكارى رجال الوغى وقد عقرتهم هناك العقار
وقد جدلتهم جروح بهم وجرح المدامة فيها جبار
كأن تسكابها فى الزجاج حريق له من حباب شرار
فيالك من مأقط لى به بلاء وقول إليه يشار
ولما برزت إلى الهم فيه ولى بالسرور عليه اقتدار
جرى الضرب مختلفاً بيننا فمات وعشت وقد نيل ثار

ومولد من قصيدة [من الخفيف] :

رب عذراء زوجتنى من الرا ح بعذراء تطرد الهم طردا
خندريس إذا المزاج علاها نظمت بالحباب للكأس عقدا
تترك البال ناعماً وأخا الشجـــو خلياً وطائر اللهو سعدا
عقتنى بكأسها ذات دل دل قلبى إلى الهوى فتعدى

وكتب إلى صديق له يستدعيه ويصف ما عنده من رءوس الحملان والشراب والفستق للقل والمطرب الممتع . فقال [من مخلع البسيط] :

طاخنا صانع رءوسا يسقط فى طيبها الخلاف
بيضـــة كالمجين لوناً شـــهية كلها نظاف
وأخذها فى الرقاق يحكى صريع حمى له لحاف
من بين عجل إلى خروف تزهى بنضدها الصحاف
مختلفات القدود لكن لها بألسنها ائتلاف
وكلها راضع صغير له على ضرعه عنكاف

قد أسمتهن أمهات من طول إرضاعها عجاف
نسق على ذاك روح دن أرق أسماثها السلاف
عروس دن صفت وطابت لوناً وطعماً فما تعاف
كأن إبريقها لدينا ناكس رأس به رعاف
والنقل من فستق جنى رطب حديث به القطاف
لى فيه تشبيه فيلسوف ألفاظه عذبة خفاف
زمرد زانه حرير فى حق عاج له غلاف
ومسمع مطرب مليح يحرم عن مثله العفاف
يظلنى صاحياً ولكن فى سكره ما به انتصاف
فصر إلينا غداً بليل أهديك من كل ما يخاف
فأنت أصل السرور عندى وكل ما بعده مضاف

* * *

ما أخرج من شعره فى الأوصاف والتشبيهات

من ذلك قوله فى الورد من قوافر :

وزائره لنا فى كل حول هما حظان من حسن وطيب
تنال النفس حين تشم منها مثل العين من وجه الحبيب
كأن رياضنا تعتاض نداً إذا طلعت شذاً من منيب

وقال من قصيدة من البسيط

أما ترى الورد قد حياك زائره بوجه فرجت عن كل مصدور
كأن أعناقه أنفاس عاشقه معسوفة حلئت أعناس مخمور
تفتحت وجنات فى جوانبه كأنما انتزعت من أوجه الحور

وقال فى النرجس [من الخفيف] :

رب يوم نقعت فيه غليلى وهمومى بين الضلوع كمون
بوجوه مملوءة بعبون وعيون تخشى عليها العيون
تلك من نرجس نضير وهذى من غوان وجدى بهن حنون

وقال فى وصف شمامة كافور [من مجزوء الرجز] :

كافورة جعلتها لأسود العين عرض
حتى وددت أنها من أبيض العين عوض

وقال فيها [من الطويل] :

وشمامة كالبدر عند اعتراضه وكالكوكب الدرى عند انقضاضه
يود سواد العين من اشتغف بها لو اعتاضها مستبدلا من بياضه

وقال فى النابغة من مجزوء الكامل] .

ومشيمه من بعد بطـــن لم تكن من ظهر فحل
أهدت إليك حنينها من غير بطن بحمل
ل باقتناص حبائل نثرت لها وبرشق نبل
فغدت ضباعه ناجر لا تشترى إلا بذل
فيها لنفس فوتها لكن بسم لا بأكل
حلت محـــلا لاترى إلا ذرى الخطر الأجل

وقال فى عنبره الطيب(١) من الكامل .

وعنبرة للطيب إن تستدعها دعت إليك أمهات بشيرها
لفاك قل عنها أرح فكأنه مستأذن لخصورها
محياتها لم تدر من كافورها تلك أم من مسكه وعبيره

(١) عنبرة حقة تكون فيها طيب

مزجت ببعض بعضها فتوحدت عن أن تقاس بشكلها ونظيرها
لاعيب فيها غير أن نسيمها مثل اللسان يشيع سر ضميرها

وقال فى مدخنة [من الطويل] :

ومكروبة الأحشاء يعلو زفيرها وتعصف ريح الطيب بين فروجها
إذا روحت عن نفسها بخروجها فللنفس منى راحة فى ولوجها

وقال فيها [من الطويل] :

ومحرورة الأحشاء تحسب أنها منيمه تشكو من الحب تبريحا
تناجيك بجوى يسمع الأنفس وحيها وتجهله الأذن السميعة إذ يوحى
إذا استودعت سرا من الطيب مجملا أشاعته مصبلا وأفشته مشروحا
وإن حاولت إخفاءه فى ضميرها أبى عرفها إلا اعترافا وتصريحا
يحرق فيها العود عوداً وبداه فتأخذه جسما وتمنعه روحا

وقال فيها من مجزوء الرجز [:

وعاطس حماؤه من الحموم عائمه
فى حوه سحابه لها الأنوف شائمه
وشابه مدحته خاصربه حادمه
داخلها محمرة مثل القطة الحائمه
كأنها طارمه فيها فتاة نائمه
تهدى سنا روحها من الحنان عادمه
يا عاتبا خلع من الدنيا دائمه
اسكنها عارمه تخرج منها رغمه

وقال عن لسان مدحته غلاه رأس مقشر فيه [من مجزوء البسيط]

حمت بى حتفى وعرقى ما ن حسن وش صب

أدخل فى الذيل من عجب طورا وفى الكم من حبيب
فكم ترددت بين هذا وذا برغم من الرقيب

وقال فى الغالية [من مخلع البسيط] :

غاليه تنتمى لحام قد استعارت لباس قار
فى قدح ينتمى لسام من سنة البدر مستعار
جامع ما بين ذا وهذا قد أولج الليل فى النهار

وقال فيها [من السريع] :

غالية صرح عطارها فى عجنها عن خالص النيه
تعزى إلى تبت من مسكها وهى من العنبر تجريه
منشورة الطيب على أنها فى مدح الدور مطويه
كأنها فيه وقد حررها رقومه حبلى بزنجيه

وقال فى غلام له أسود سهر برشد [من الكامل] :

أنصرت فى رشد وقد أحببته رشدى . ولم أحفل بمن قد نكر
يا لائمى أعلى السواد ترمى من لونه وبه عليك المفخر
دع فى السواد وحد بباصك إنى أدرى بما آتى وما أتحير
منوى البصيرة فى الفؤاد سواده والعين بالمسود منها تبصر
والدين أنت مناظر منه بذا وكذاك فى الدنيا بهذى تنظر
سواد ذينك مستضىء ولونها أبيضا عتاك الظلام لا كدر
فقد ماضك وهو دليل مس وعماد سوادى وهو خير نور

وقال فيه من الكامل]

قد قلت يسود وهو أسود مدى ماضيه مستعلى علو مباس
ما نظر حدثك بعد ما ضى وحى آت أن قد أفدت به مزيد محاسن

ولو أن منى فيه خالا زانه ولو أن منه فى خالا شانى

وقال فيه يخاطبه [من الخفيف] :

لك وجه كأن بمناك خطتـــه بلفظ تمـله آمالى
فيه معنى من البدور ولـكن نفضت صبغها عليه الليـالى
لم يشنك السواد بل زدت حسناً إنمـــا يلبس السواد الموالى
فبمالى أفديك إن لم تـكن لى وبروحى أفديك إن كنت مالى

وقال فى الشمعة [من البسيط] :

وليلة من محاق الشهر مدجنة لاالنجم يهدى السرى فيها ولاالقمر
كلفت نفسى بها الإدلاج متطياً عزماً هو الصارم الصمصامة الذكر
إلى حبيب له فى القلب منزلة ما حلها قبله سمع ولا بصر
ولا دليل سوى هيفاء مخطفة تهدى الركاب وجنح الليل معتكر
غصن من الذهب الإبريز أثمر فى أعلاه ياقوتة صفراء تستعر
تأتيك ليلا كما يأتى المريب فإن لاح الصباح طواها دونك الحذر

وقال فى وصف الفجة وأرسلها إلى أبى الفرج البغاء(١) [من الرجز] :

أنعت طارونية الساب لابسة خزاً على الإهاب(٢)
صبغت تصبيغ التصابى وأبرزت وجهاً بلا نقاب
ريان من محاسن الشباب مكحولة العينين كالكعاب(٣)
مقموسة الحاجب بالخضاب منقارها أحمر كالعناب
كأنما تسقى دم الرهاب محدورة محمـــة الخناب

---

(١) الفجة : تقع على الذكر والأنثى من الحجل
(٢) الطارونية : المنسوبة إلى الطارونى وهو ضرب من الخمر .
(٣) الكعاب ـ بفتح الكاف بزنة السحاب ـ جارية الناهدة

لها على الأرجل والأعقاب حملات ليث من ليوث غاب
أقفاصها كحبس الحجاب مدورات الشكل كالقباب
تسمعنا منها وراء الثياب تمتمة بالقاف فى الخطاب
كأنما تقرأ من كتاب مكروزة زادت على الحساب
فهقهة الإبريق بالشراب ملآن منكباً على الأكواب
أهلا بصياد لها جلاب جاء بها كريمة النصاب
ربيبة الجبال والهضاب كريمة الأعراق والأنساب
لم تدر ما بادية الأعراب غريبة صارت من الأحباب
دونك ياذا المفخر اللباب أرجوزة من صنعة الكتاب
ماكورة من ثمر الألباب وتحفة من تحف الآداب
هدية الأتراب للأتراب فل ما ترى فيها ولا تعابى
هل خلصت من هجنة وعاب وسلمت من عيبه العياب
أم خلتها أشبه بالصواب فهات ماعندك من جواب

وقال فى الخطاطيف [من الطويل] :

وهندية الأوطان زنجية الخلق مسودة الأثواب محمرة الحدق
كأن بها حزناً وقد لبست له حداداً وأذرت من مدامعها العلق
إذا صرصرت صرت بآخر صوتها كما صرمنوى العود بالوتر الحرق
نصيف لدينا ثم تشتو بأرضها ففى كل عام تلتقى ثم تفترق

وقال فى البق والبراغيث والبيت الأخير أملح ما سمعت فى معناه [من البسيط]

وليله لم أذق من حرها وسناً كأن من جوها النيران تشتعل
أحاط فى عسكر البق ذو جنب ما فيه إلا تجمع فانك تطل

من كل سائلة الخرطوم طاعنة لاتحجب السجف مسراها ولا الكلل
طافوا علينا وحر الصيف يطبخنا حتى إذا طبخت أجسامنا أكلوا

* * *

ما أخرج مما قاله فى البصرة

وكان خرج إليها فى صباه ليستوفى مالا على ضامنها ، من ذلك قوله [من الخفيف] :

ليس يغنيك فى الطهارة بالبصـ ـرة إن حانت الصلاة اجتهاد
إن تطهرت فالميـــاه سلاح أو تيممت فالصعيـــد سماد

وقال فيها [من الخفيف] :

لهف نفسى على المقام ببغدا د وشربى من ماء كوز بثلج
نحن بالبصرة الدميمة نسقى شر سقيا من مائها الأترجى
أصفر منكر ثقيل غليظ خاثر مثـــل حقنة الفولنج
كيف نرضى بشربه وبخير منه فى كف أرضنا نستنجى

وقال فى قصر روح بها [من الكامل] :

أحبب إلى بقصر روح منزلا شهد بنقصه فضل الباقى
سور علا وتمنعت شرفاته وكأن إحداهن هضب أباق
وكأنما يشكو إلى زواره بين الخليط ورقة الجيران
وكأنما يبدو لهم من نفسه إشراق محزون الحشى حران

وقال عند رحيله عنها [من الطويل] :

توسمت عن أرض البصيرة راحلا وأقسمت الفتيان حشو حفائف
منازل تقرى ضيفها كل ليلة بأمثال غزلان الصريم الربائب
أقمت بها سوق الصبا وتندى بها لعاشقة حرى وحيران لاعب
فما ينهر الأشواق إلا صبابتى ولا تستر الجيران إلا جوانحى

ما أخرج من شعره فى والدته وأولاده

قال [من الخفيف] :

أسرة المرء والداه وفيما ... بين حضنيهما الحياة تطيب
فإذا ماطواهما الموت عنه ... فهو فى الناس أجنبى غريب

وقال ، وقد عتب على بعض ولده [من البسيط] :

أرضى على ابنى إذا ماعقنى حذرا ... عليه أن يغضب الرحمن من غضبى
ولست أدرى بم استحققت من ولدى ... إقذاء عينى وقد أقررت عين أبى ؟

وله من رقعة يلتمس فيها من بعض الرؤساء إجراء الرزق لبعض ولده [من الطويل] :

وما أنا إلا دوحة قد غرستها ... وسقيتها حتى تراخى بها المدى
فلما أقشعر الجلد منها وصوحت ... أتتك بأغصان لها تطلب الندى(١)

وكتب إلى بعض الرؤساء قصيدة فى إنفاذه ابنه إليه ليستخدمه ، فيها [من الطويل] :

بعثت إليك ابنى وبالله إنه ... لأحلى من النفس المقيمة فى جنبى
وهل أنا إلا نسخة هى أصله ... وهل هو إلا كالمحرر فى الكتب
وفى النسخة السوداء ما أنت عارف ... من المحو والإصلاح والحك والضرب

أخذ المعنى من قول ابن الرومى [من البسيط] :

فقال لانلحبنا فى تفاوتنا ... فإننا كتب آباؤنا نسخ

رجع :

وهذا الذى يرضيك مرأى ومخبرا ... ويمضى مضاء السهم والصارم العضب
وشتان بين العود أيبس وانحنى ... وبين النبات العض والغصن الرطب
فدونك فافعله وثق منه بالذى ... يراد من العبد الناصح الأرب
وحرده من عهد القبض باسطاً ... وحربه فالتحريم عن رشده ينبى

(١) صوح الزرع : جف ويبس .

وقال وقد رأى ولدا لولده مترعرعا ناشئا [من المنسرح] :

أبو علي محسن ســـكبدى وقد نشا من فتاه لى خلب
كأن هذا وذاك إذ نسبا منى سواد يضمه قلب
لازلت ألقى الخطوب دونهما حتى كأنى عليهما حجب

وقال يرثى أبا سعيد سناناً ابنه [من الخفيف] :

أسعدانى بالدمعـــة الحمراء جل ماحل بى عن البيضاء
يؤلم القلب كل فقـد ولا متـــل افتقاد الآباء للأبناء
هد ركنى مثوى سنان وقد كا ن يهد الأركان من أعدائى
عكست فيك دعوتى إذ أقدبـــك برغمى فصرت أنت فدائى
إنما ســـكنت فلذة من فؤادى خطفتها المنون من أحشائى
كنت منى وكنت منك اتفاقا والتئاما مثل العصا والنحاء
كنت فى اليتم فى أجل منى فلك الشكل فى أوان فنائى
ولئن كان فى أخيك وأولا دكما ما يغض من برحائى
فلعمرى لرعما محوا الشو ق وزادوا فى لوعتى وبكائى

ألم فيه بقول ابن الرومى . ولم يحس بعض إحسانه [من الطويل]

وإنى — وإن متعت بابنى بعده — لذاكره ماحنت النيب فى نجد
وأولادنا مثل الجوارح أيما فقدناه كان الفاجع البين الفقد
لكل مكان لايسد اختلاله مكان أخيه من حزوع ومن حلد
كما العين بعد السمع تكفى مكانه ويسمع بعد العين يهدى كما تهدى

وكتب إليه ولده أبو على يحس نسبه فى بعض كتبه [من البسيط] :

لا آنس الله قلبا ســـاءه عاله فى حياتك من فقد الهوى غوص
يا ســـيدى وأبا عمى ومن جعلت يداك من بعد أو طارت به قص

فأجابه بهذه الأبيات [من البسيط] :

يادرة أنا من دون الردى صدف ... لها أقيها المنايا حين تعترض
قد قلت للدهر قولا كان مصدره ... عن نية لم يشب إخلاصها مرض
دع المحسن يحيا فهو جوهرة ... جواهر الأرض طرا عندها عرض
فالنفس لى عوض عما أصبت به ... وإن أصبت بنفسى فهو لى عوض
اتركه لى وأخاه ثم خذ سلبى ... ومهجتى فهما مغزاى والغرض

* * *

ما أخرج من شعره فى الفخر

قال [من السريع] :

أبسر جودى أننى كلما ... أسرفت فى السكر ولا أدرى
ندمت فى صحوى على كل ما ... أنفيت من مالى فى سكرى

وقال فى صباه [من المتقارب] :

لقد علمت خيل هذى الخيام ... وفرسانها القاصرات الغوانى
بأنى سقاء صدور الجميع ... وأكرم من صمه الخافقان
أسر الفريقه ابـــل العناق ... وأفتك بالقرن يوم الطعان
فبيض الخصان وطير الخصان ... على بما فلقه تشهدان

وقال من قصيدة [من الطويل] :

وقد علم السلطان أنى نسبته ... وكتبه لكنى السيف المرقق
أوردره فى عرق وأصدره ... برأى يريه الشمس والليل أغسق
تحدث بمح الهدى وهو ريس ... وعيسى فى مسراى وهو معلق
فيمناى عند والعطى عطاء ... وعيشى بعز الدهر رغد
وفى فقر ضحى لنوالك مصـــ ... ـــ ـــ أننى أحسن حين فقر

أرد بها رأس الجموح فينثنى وأجعلها سوط الحرون فيعنق
فإن حاولت لطفاً فماء مروق وإن حاولت عنفاً فنار تألق
يسلم لى فس وسحبان وائل ويرضى جرير مذهبى والفرزدق
فيغضى لنثرى خاطب وهو مصقع ويعنو لنظمى شاعر وهو معلق
معال لو الأعشى رآهن لم يقل « وبات على النار الندى والمحلق »

وله من قصيدة قالها فى الحبس [من الطويل] :

يعيرنى بالحبس من لو يحـــله حلولى لطالت واشمخرت مراكبه
ورب طليق أطلق الدل رقه ومعتقـل عان وفد عز جانبه
وإنى لقرن الدهر يوماً تنوبنى سطاه ويوماً تنجلى بى نوائبه
ومن مد نحو النجم كيما يناله يداً كيدى لاقته أيد تجاذبه
ولا بد للساعى إلى نيل غاية من الجد من ساع تدب عقاربه
وإنى وإن أودت بمالى نكبة نظيرى فيها كل فرم أناسبه
فما كنت كالقسطار يثرى بكيسه ويملق إن أنحى على الكيس سالبه
ولكن كلبت العاب إن رام ثروة حوتها له أنيابه ومخالبه
بدت حيصاً طاويا ثم بغتدى مباحا له من كل طعم أطايبه
كذلك مثلى نفسه رأس ماله بها يدرك الربح الذى هو طالبه
ولليال آفات بها ربه بها إن تخطته إليه مصائبه
ومن يك ذا لطان فيه خصيمه فلا عار فى الغصب الذى هو غاصبه
ومصرى إن نغص مما مسكت يدى وفى فضل جاهى أن تفيض مذاهبه
إذا كان مالى من صروف زمانه نثيل ندى نضلى فمنبه جالبه
ولى من قلامى ولى وصفى عن ذى سكون لخصاصة صاحبه

ما أخرج من شعره فى المدح

قال فى المهلبى الوزير [من الكامل] :

قل للوزير أبى محمد الذى ... قد أعجزت كل الورى أوصافه
لك فى المحافل منطق يشفى الجوى ... ويسوغ فى أذن الأديب سلافه
فكأن لفظك لؤلؤ متنخل ... وكأنما آذاننا أصدافه

وقال فيه من قصيدة [من الطويل] :

وكم من يد بيضاء حازت جمالها ... يد لك لا تسود إلا من النقس
إذا رفعت بيض الصحائف خلتها ... تطرز بالظلماء أردية الشمس

وله من قصيدة فيه [من الخفيف] :

وتعلقت بالرئيس الذى صر ... ت رئيساً مد عدتى فى العبيد
والوزير الذى غدا ورراء الـ ... ـملك ركنا لعزه الموطود
أريحى مهبى سعيد الـ ... ـجد صافى الحدوى كريم الجدود
وإذا استنطق الأنامل حادت ... بيان كالجوهر المنضود
فى سطور كأنما نسرت يم ... ـناه منها عصائبا من برود
فقر لم يزل قصيرا إليها ... كل مدى بلاغه ومعيد
يقتدى البارع المصيب لديه ... لاحقاً بالمقصد المستفيد
بيان شاف ولفظ مصيب ... وختصر كاف ومعنى سديد

وكتب إليه وهو بدجلة البصرة متوجه إلى عمان [من الطويل]

لقد كسبت منك السعود موقفا ... مصادره محموده ومواردُ
كأنى بالبحر لدى جيف هوله ... وقد خاف حتى ساوذ فيه حامد
يرى منك بحراً زاخراً فوق متنه ... فصيح جارى موجه وهو راكد
كأن عصا موسى بكفك فوقه ... وقد حر إعظاماً لها وهو ساجد

ستمنو لما تبغى ظهور صفاته وتبلغ ما تهوى وجدك صاعد
فلا تخش من صرف النوائب نبوة فنصرك محتوم عليه شواهد
إذا عادة الله التى أنت عارف تذكرتها هانت عليك الشدائد

وقال فى فاصد من غير علة [من الطويل] :

تتبع جود لا دم من يمينه فأضحى نكى يعطى الأطباء فاصدا
وليس به أن يفصد العرق حاجة ولكنه ينحو المحامد قاصدا
بسبب أسباب الندى لعفاته ويرفبها مستفرصاً ومراصدا

وقوله فى معناه [من الكامل] :

لهجت يمينك بالندى فبنانها أبدا يفيض على العفاة عطاء
حتى فصدت وما بجسمك حاجة كيما تسبب للطبيب حباء
ولقد أرقت دماً زكياً من يد حقنت بتدبير الأمور دماء
تجرى العلا فى عرقه جرى الندى فى عوده فهو اللعاب صفاء
لو يقدر الأحرار حين أرقته جعلوا له حب القلوب وعاء
فاسلم وعش فى صحة وسلامه نجبى الولى وتكبت الأعداء

وكتب إلى عضد الدولة عند مقدمه من الزيارة بالكوفه قصيدة منها [من الكامل] :

أهلا بأشرف أوبة وأجلها لأجل ذى قدم يلاذ بنعلها
فرشت لك الترب التى باشرتها تشفاهها من كهلها أو طفلها
لم تخط فيها خطوة إلا وقد وضعت لرجلك قبلة من قبلها
إذا تذللت الرقاب تقربا منها إليك عزها فى ذلها

وله من قصيده من الكامل

لا تحسب الملك الذى أوتيته بمضى وإن طال الزمان إلى مدى
كالروح فى أفق السماء فروعه وعروقه منوطات فى الندى

فى كل عام تستجد شبيبة فيعود ماء العود فيه كما بدا
حتى كأنك دائر فى حلقة فلكية فى منتهاها المبتدا

وكتب إلى الوزير أبى عبد الله بن سعدان [من الطويل] :

تنائى لو طولته لك قاصر وطولك لو قصرته لى قاهر
فكيف نهوضى حين لا أبلغ المدى بجهدى وعفو الجود لى منك غامر
وما زلت من قبل الوزارة جابرى فكن رائثى إذ أنت ناء وآمر
أمنت بك المحذور إذ كنت شافعاً فلغنى المأمول إذ أنت قادر
لعمرى لقد نلت المنى بك كلها وطرفى إلى نيل المنى لك ناظر(١)

كأنه عكس قول محمد بن أبى يزيد المهلبى [من الطويل] :

بلغت الذى قد كنت أمله بكم وإن كنت لم أبلغ لكم ما أؤمل

وكتب إلى الصاحب [من مجزوء الكامل] :

لما وضعت صحيفتى فى بطن كف رسولها
قبلتها لتمسها بمناك عند وصولها
وتود عينى أنها قرنت ببعض فصولها
حتى ترى من وجهك الـ ميمون غاية سولها

وله من قصيدة من الخفيف :

نعم الله كالوحوش وماتأ لف إلا الأحاير النساكا
عفرتها آثار قوم وصير ت لها البر والتقى أشراكا

وله فى عبد العزيز بن يوسف [من الطويل] :

أبو قاسم عبد العزيز بن يوسف عليه من العلياء عين تراقبه
روى ورعى لما روى قول قائل وشبع الفتى لؤم إذا جاع صاحبه

(١) أحسنه : وطرفى إلى نيل المنى لك ناظر .

وقال لبعض الوزراء [من البسيط] :

أنت الوزير الذى الدنيا تناط به وأهلها نيع من دونه خول
تظل بالعز ملء الأرض أجمعها كأنك النصل والدنيا لك الحلل

* * *

ما أخرج من شعره فى التهانى والتهادى

كتب إلى عضد الدولة قصيدة يهنيه بالفطر . منها [من الخفيف] :

لم أطول فى دعوتى لمليك طول الله فى السلامة عمره
بل تلطفت باختصار محيط بالمعانى لمن تأمل أمره
فهى مثل الحروف من عدد الهنـــد قليل قد انطوت فيه كثره
جمع الله كل دعوة داع مستجاب دعاؤه فيك صيره
وأعاد العيد الذى زاره العا م بأمر يحوزه ومسره
وأراه الآمال فيه ولقا ه سعاداته ووفاه أجره

وله من قصيدة يهنيه بالفطر منها [من البسيط] :

يا ماجدا يده الجود مفطره وجوه من كل بحر صائم أبدا
اسعد بصومك إذ فضلت واجبه نسكا ووفيته من شهره العددا
واسحب بذا العيد أذيالا مجددة واستقبل العيش فى إفطاره رغدا
وانعم بيومك من ماض فررت به عينا ومنتظر يفضى إليك غدا
وعمر بعمرك معمودا وملكك مو طودا ونل منهما الحد الذى بعدا
حتى ترى كرة الأرض البسيطة فى يمناك علوه أرجاؤها رشدا
وحولك الفلك الدوار منصب أوطار نفسك لا يألوك مجتهدا

وله فى الوزير المهلبى قصيدة عيدية من الطويل

أعيدنا هنئت عما لك بالفطر وقيت ما تخشاه من نوب الدهر

مضى الصوم قد وفيته حق نسكه ووفاك مكتوب المثوبة والأجر
كلفت بذكر الله فيه فلا تزل من الله فيما ترتجيه على ذكر
هجرت هجود الليل فيه تهجداً وصبرا على طول القراءة للفجر
فلو نطقت أيامنا باعتقادها لناجتك لفظاً بالدعاء وبالشكر
وللفطر رسم للسرور وسنة ومثلك من أحيا لنا سنه الفطر
ولابد فيه من سماع وقهوة تقضى بها الأوطار من لذة السكر
تواصل فصفاً بين يوم وليلة دراكا فتستوفى الذى فات فى الشهر
فر بالذى نبغى وكن عند ظننا فلا زلت فينا ناهد الهبى والأمر
وعاد إليك العيد حتى تمله بأقصر يوم طاب فى أطيب العمر

أخذه من قول ابن الرومى [من مجزوء الرمل] :

وليطل عمرك مسرو راً بأيام قصار

وله فى بعض الوزراء [من الطويل] :

يصوم الوزير الدهر عن كل منكر وليس لهذا الصوم عيد ولا فطر
ويفطر بالمعروف والجود والندى وليس لهذا الفطر صوم ولا حظر
فأكرم به من صائم مفطر معاً توافى لديه الأجر والحمد والشكر

وله من البسيط [.

إذا دعا الناس فى ذا العيد بعضهم لبعضهم وتمادى القول واتسع
فصير الله ما من فضله سألوا فيه لسدتنا الأسناد مجتمعا
حتى يكون دعائى قد أحاط له كل ذلك مرفوعاً ومستمعا

وله فى المطهر بن عبد الله [من الكامل]

عيد إليك تعم يعود طوالع أوقاتها سعود
مباركات كل صانع ساعه يوفى على ما قدمه ويزيد

يأتيك من ثمر المنى بغرائب معدومها لك حاصل موجود
قضيت شهر الصوم بالنسك الذى هو منك معروف له معهود
أكثرت فيه من تهجد خاشع ما يطعنّ بمقلتيه هجود
فاشرب وسق عصابة قد مسها عطش وجهد فى الصيام جهيد
أرويتها جوداً فروّ مشاشها راحا فنك الجود والناجود
وتمل عيشك فى سرور دائم سرباله أبداً عليك جديد

وقوله | من مجزوء الكامل :

ياسيداً أضحى الزما ن بأسره منه ربيعاً
أيام دهرك لم تزل للناس أعياداً جميعاً
حتى لأوشك بينها عند الحقيقة أن يضيعا
فاسلم لنا ما أشرقت شمس على أفق طلوعا
واسعد بعمد ما نزا ل إليك معتقداً رجوعا

وله من قصيدة فى عضد الدولة | من الكامل

اسلم ودم للربعة العلياء وتمل ملكك فى أمد بقاء
واستقبل العيد الجديد بعطفة ومسرة وزيادة ونماء
وكفاك من نحر الأضاحى فيهما حر يمينك من ظلا الأعداء
بهم تعمر كالبهائم جمجمت أشلاؤها فى حومة الهيجاء
حرمت مآكلها علينا واغتدت حلا لوحش القفر والبداء
هذى مناسكك التى قضيتها بالسيف أو بالصعدة السمراء
ووراء ذلك للعفاة مناتح عطلت هطول الديمة الوطفاء
ومواهب ومناقب ومفاخر ومآثر أوقت على الإحصاء

وقوله من أخرى [من الخفيف] :

صل ياذا العلا لربك واشكر كل ضد وشاق لك أبتر
أنت أعلى من [أن] تكون أضاحيـــك قروماً من الجمال معفر
بل قروما من الملوك ذوى السؤ دد تيجانها أمامك تنثر
كلما خر ساجداً لك رأس منهم قال سيفك الله أكبر

وكتب إلى الشريف الموسوى فى الأضحى [من الهزج] :

مرجيك وصايك بذا الأضحى يهنيكا
ويدعو لك والله مجيب مادعا فيكا
وقد أوجز إذ قال مقالا وهو يكفيكا
أرانى الله أعداء ك فى حال أضاحيكا

وكتب إلى صمصام الدولة يهنئه بالأضحى من مخلع البسيط] :

ياسنة البدر فى الدياجى وغره الشمس فى الصباح
صمصام حرب وغيث سلم ناهيك فى البأس والسماح
اسعد بفطر مضى وأضحى واقاك باليمن والنجاح
وانحر أعادى نبى بويه بالسبب فى جملة الأضاحى
فالكل منهم دوو فرود يصلح للذبح والنطاح

وكتب فى يوم مهرجان مع اصطرلاب أهداه إلى عضدالدولة [من البسيط]

أهدى إليك بنو الآمال واحتفلوا فى مهرجان جديد أنت مبلبه
لكن عبدك إبراهيم حين رأى علو قدرك عن شىء بدانيه
لم يرض بالأرض مهداة إليك فقد أهدى لك الفلك الأعلى بما فيه

وكتب إليه مع زيج أهداه [من البسيط .

أهديت محملا زيجاً جداوله مثل المكاييل يستوفى بها العدد

فقس به الفلك الدوار واجركا يجرى بلا أجل يخشى وينتظر

وكتب إليه فى يوم نيروز مع رسالة هندسية من استخراجه [من الطويل] :

أيا ملك الأرض الذى ليس بينه وبين مليك العرش مثل يقارنه
رأيت ذوى الآمال أهدوا لك الذى تروق العيون الناظرات محاسنه
وحولك خزان يحوزونه وما له منك إلا لحظ طرف يعاينه
ولكننى أهديت علماً مهذباً يروق العقول الباحثات بواطنه
وخير هدايانا الذى إن قبلته فليس سوى تامور قلبك خازنه

وكتب إليه من الحبس ، وقد أهدى إليه درهمين خسروانيين وكتاب المسالك والممالك فى دفترين [من مجزوء الكامل] :

أهدى إليك بحسب حا لى فى الخصاصة درهمين
وبحسب قدرك دفترين هما جميع الخافقين
فإذا فتحتهما رأيت بباب ذاك ملحظ عين

وكتب إليه من الحبس مهرجانية مع درهم خسروانى وجزء من كتاب [من الطويل] :

نصبح بعز واعتلاء حدود وأيسر بخير واطراد سعود
وقل مرحباً بالمهرجان وحيه بطلعة بسام أغر مجيد
له زورة فى العام ما زال يومها كفيلا بحظى سيد ومسود
يحظى بفخر من علاك مجدد وتحظى بعمر فى مداه حديد
تراه إذا ساجاه طالع مقلة اليك وإن ولى فتانى حيد
أتتك الهدايا فيه بين موفر على قدر لمدى وبين زهيد
فبان على يمناك حين مددتها تكلف فيض البذل منى بعيد
تقاعس عن بسط القبول ولم تكن لها عادة إلا ببسطة جود
ولكن إذا أهدى لك الله نعمة مددت لها كفيك مد رشيد

وقد نزلت منه إليك هدية بجرجان ما عصوها سعيد
وما بيننا إلا المسافة فانتظر ورود بشير فوق ظهر بريد
ولما رأيت الله يهدى وخلقه تجاسرت واستفرغت جهد جهيد
فكان احتفالى فى الهدية درهما يطير من الأنفاس يوم ركود
وجزءا لطيفاً ذرعه ذرع محبس وتقييده بالشكل مثل قيودى
ألاطف مولانا وكالماء طبعه تسلسل من عذب النطاف برود(١)
ولالا على المستعطفين وجلدأ على كل عريض ألد مرد(٢)

وكتب إليه فى يوم نيروز [من الطويل] :

تهن بهذا اليوم واحظ بخيره وكن أبداً بالعود منه على وتد
أرى الناس يهدون الهدايا نفيسه إليك ولم يترك لى الدهر ما أهدى
سوى سكر يحلو لك العيش مثله وآس أحى عمر كعمرك ممتد
وبينهما من ضرب قومك درهم وأبيات شعر من ثنائى ومن حمدى
فإن كنت ترضى ما به انبسطت يدى وتقبله منى فهذا الذى عندى

وكتب إليه [من الطويل] .

تعذر دبارى عـــلى ودرهمى ـ فلاطمت مولانا بيتين من شعرى
وكم بيت شعر راد بالشكر قدره على بيت مال من جُبن ومن تبر

وكتب إلى صمصام الدولة [من السريع] :

دامت لمولانا سعاداته موصوله دائمه تترى
ونال ما أمل من ربه فى هذه الدار وفى الأخرى
وزاده النيروز فى ملكه عزاً وفى دولته نصرا

---

(١) النطاف : جمع نطفة ، وهى الماء الصافى ، والبرود ـ بفتح الباء ـ البارد
(٢) العريض : الذى يتعرض للناس بالشر ، والألد : الخصم الشديد ، والمرد : العاتى

لما رأيت الناس لم يتركوا فيما ادعوا نظما ولا نثرا
أعملت فكرى فى دعاء له يجمع ما جاءوا به طرا
فقلت بيتاً واحداً كافيا لم يعد فى مقداره سطرا
لا زالت الدنيا له منزلا يأويه والدهر له عمرا

وكتب إليه مع اصطرلاب أهداه [من الوافر] :

يعز على أن أهدى نحاساً إلى من فيض راحته نضار
ولكن الزمان اجتاح مالى وأنت عليه لى إذ جار حار

وكتب إلى بعضهم مع فنجان صفر [من البسيط] :

تهدى النحاس إلى مولى أامله تهدى النضار إلى العافين منهلاً
وكان يلزمنا لولا التعذر أن يكون إهداؤنا من غير ما وهبا
لكن بعدى عن جدواه أصفرنى من كل خير فصار الصفر لى نشبا [١]
وسوف أظفر من أخلاط ما له بالكيمياء فيضحى صفرنا ذهبا
فليسقط الآن عذراً لست أسأله فى قاس إن أنل من خدمه سببا
فقد جرى الماء فى عودى بدولته وكان من قبله مستنقعاً حضبا
وأقبلت نحوى الآمال آتية من بعدما أزمعت من ساحتى هربا

وكتب فى يوم سرور وقد أهدى بطيخة كافور من الكامل

سعد وزير الملك بالميرورما سجعت مطوقه على أعوادها
واق فأنجز وعد عام أول بمباهج سكر من معادها
تهدى إليك به هدايا كلها من راحتيك حقيقة استمدادها
فتمد كفاً نحوها شدآت على إرفاد أيدى الناس لا استرفادها
عاداتها إعطاء ما قد أعطيت أكرم بعادتها وبالمعتادها

---

١) أصفر لى: أخلانى، والصفر: النحاس، والنشب هنا: كل ما يملك الانسان

ولقد طلبت فلم أجد شيئا سوى كافوره لم آل فى إعدادها
وبديع أبيات إذا هى أنشدت شفقت بضاعتها على نقادها
فالصبح من تلك البياض أديمها والليل من هذى اعتكار مدادها
ولو انى مكنت من عينى التى هى بعض حقك يا معيد رقادها
لسكبت كافورى بشحم بياضها وكتبت أبياتى بدوب سوادها

وكتب إلى المطهر بن عبد الله يهنئه باليوم الأحود من السريع]

ظل المنى فى يومك الأجود مستنجحا بالطالع الأسعد
وارق كرفق رحل صاعداً إلى المعالى أشرف المصعد
وفض كمبض المشترى بالندى إذا اعتلى فى برجه الأسعد
ورد على المريخ سطواً بمن عاداك من ذى نخوة أصيد
واطلع كما يطلع شمس الضحى كاسفه للحندس الأسود
وحد من الزهره أفعالها فى عينك المفتل الأرغد
وصاه بالأقلام فى حربها عطارد الكاتب ذا السؤدد
واه بالمنظر بدر الدجى وأفضله فى مهجته وارد
واسف على الدهر ولا تحش من مكروهه الرائع والمغتدى
دا مهجه آمنه للردى ما أمسه مهجته الفرقد

وكتب إلى بعض الرؤساء يهنئه بخلعه سلطانه من الكامل]

هرم علته ملابس العلياء فعلا على النظراء والأكفاء
أهدت إلى سروارها مثل الذى أهدى مساءته إلى الأعداء
ومن العجائب أنى هأنه وأنا المهنأ فيه بالنعماء
لا زال يصرع المراتب صاعدا حتى يحور محله الجوزاء

وكتب إلى الوزير أبي نصر سابور بن أردشير يهنئه بالخروج من الاستتار [من الخفيف] :

صح أن الوزير بدر منير إذ توارى كما توارى البدور
غاب لا غاب ثم عاد كما كا ن على الأفق طالعاً يستنير
لا تسلني عن الوزير فقد سـ ـشت بالوصف أنه سابور
لاخلا منه صدر دست إذا ما قرنه نفر منه الصدور

وكتب إليه وقد أعيد إلى الوزارة بعد أن صرف عنها من الكامل :

قد كنت طلقت الوزارة بعدما رلت بها قدم وساء صنيعها
فغدت لقربك تستحيل ضروره كما يحل إلى دراك رجوعها
فالآن آلت ثم آلت حلفة أن لا تبيت سواك وهو ضجيعها

* * *

ما أخرج من شعره في الهجاء

قال من المحدث

يا حامد خلال قبيحه يسر تحصى
نقصت من كل فضل فقد تكاملت نقصاً
لو أن للجهل شخصاً لكنت للجهل شخصا

وقال [من الخفيف]

أيها الناطح الذي ينصب سمع يقوله الجواد
لا تؤمل أني أقول لك اخسأ ست أعلو بها على الكلاب

وقال من السريع

هذا الذي صام عن الطعم ليمك قد صمت عن الظلم
هيهات مع الصوم مرة طاه تحتاؤه ملآى من الإثم

وقال [من الهزج] :

أبو الفضل إذا يحصـــل فيما بيننا فضـل
وما نؤثر أن يدخـــل فى شطرنجنا بغل

وقال فى إنسان ساقط لبس عمامه سرية [من الكامل] :

يامن تعمم فوق رأس فارغ بعمامة مروية بيضاء
حسنت وقبح كل شىء تحتها فكأنهـــا نور على ظلماء
لما بدا فيها أطلت تعجبى من شر شىء فى أجل إناء
لو أننى مكنت مما أشتهى وأرى من الشهوات والآراء
لجعلت موضعها الثرى وجعلتها فى رأس حر من ذوى العلياء

وقال [من الطويل] :

ألا قل لأهل الدولة النذلة التى ثوى داؤها فينا وأعيا دواؤها
لقد كبت الدنيا على أم وجهها فنحن لها أرض وأنتم سماؤها
فلا تفرحوا بالحظ منها فإنه قليل على هذا المحال بقاؤها

وقال [من المجتث] :

وراكب فوق طرف كأنه فوق طرف
له فـــذال عريض يجل عن كل وصف
يذوب شوقاً إليـه نعلى وخفى وكفى

وقال [من مخلع البسيط] :

قرن ابن هارون قد تمادى عسوده والغيور عبده
فكاشفته النظراء جهراً فسقها حين قل حبه
خلت به للنكاح يوماً فقده حره وناك أيره

وقال [من الكامل] :

يبدى اللواط مغالطاً وعجانه أبداً لأعراد الورى مستهدف
فكأنه ثعبان موسى إذ غدا لحبالهم وعصيهم يتلقف

وقال [من الرجز المشطور] :

يا رب علج أعلج منل البعير أهوج
ذى فيشة عظيمة إن دخلت لم تخرج
رأيته مطلعاً من خلف باب مرتج
وتحته دنية تذهب طوراً وتجى
فقلت : قاضى أيدج ؟ فقال · قاضى أيدج

وقال فى رئيس أمرد [من الطويل] :

وأرعن من سكر الحداثة ماصحا دعونا إلى تعظيمه وهو ما التحى
له همة لكنها فى حتاره فما يطلب العلياء إلا لينكحا
فلو أن ما فاسى من الأير دبره يقاسه من سير المعلم أفلحا

وقال فى إنسان تريب الأصل وضيع النفس [من مجزوء الكامل] ·

قل للشريف المنتمى للعز من سرواته
آباته وجدوده والزهر من أماته
وهو الوضيع بنفسه وعيوبه وهناته
والطاهر السوءات فى أخلاقه وصفاته
لاتجرير من الفخا ر إلى مدى لم تاته
ناد الألى لك منصباً فوصت من شرفاته
وأبوك منصل به معقتهم بنشاته
إن الشريف النفس لي ست تلك من فعلاته

والعود ليس بأصله لكنه بنباته
والماء يفسد إن خلط ت أجاجه بفراته
وأحق من نكسته بالصفع من درجاته
من مجده من غيره وسفاله من ذاته

وقال فى هجاء أبخر [من البسيط] :

إنى بليت بقرمان بسارقنى سيان عندى مجتاه ومفساه
القبر نكهته ، والسم ريقته والموت عشرته، والبخر مجواه

وفى المعنى [من مجزوء الرمل] :

فى أبى الفضل من النقـــص ضروب وصنوف
رجل فى وعده خلـــف ، وفى فيه خلوف
فإذا فاوضك القو ل فقد فاض كنيف

وقال من مجزوء الخفيف

لم ير العين أبخرا كابن نصر ولا ترى
مدخل الخبز منه أخـــبث من مخرج الحرى

وقال من الكامل]

قد أبصرت عينى العجائب كلها ما أبصرت مثل ابن نصر أبخر
ما تم نكهته أمرؤ منعطر إلا استحال مخاطه منها خرى

وقال [من الكامل]

طلق ابن نصر فاستطارت جيفة فى الخافقين نتن فيه الفاسد
فكأن أهل الأرض كلهم غسوا متواطئين على انفاق واحد

وقوله من الخفيف :

يا ابن نصر به كيف ما شئت البحـــره إذ لعنتك حالا بريحه

لك فى الناس مثل معجزة الخضـــر ، وإن كنت منه بئس الخليفه
لا يشمون حين تمتاز طيباً ويشمون حين تمتاز جيفه

وقال [من مجزوء الرجز] :

ما مر بى فى عمرى مثل سرار القنطرى
مكتسه من أذنى فبال فيها وخرى

وقال من قصيدة لأبى الفضل الشيرازى يوصيه بغلمانه ويعلمه بحالهم ويحذره من شخص عرض به [من مجزوء الرمل] :

نب هذا التيس نبا وعلى الغلمان هبا
كلما نادى غزالا منهم للنيك لبى
ما رأينا قبل هذا رشأ طاوع كلبا
ليس فيهم من صغير وكبير يتأبى
وغدت دار أبى الفض ل لهذا التيس زربا
وهو يزداد على ذا ك به ضناً وعجبا
يا أبا الفضل استمع نصـ ـح امرىء يصفيك حبا
سرح غلمانك للسر حان قد أصبح نهبا

* * *

ما أخرج من شعره فى الشعر

قال من الوافر :

أحب الشعر يبتدع ابتداعاً وأكره منه مبتذلا مشاعا
ولى رأى غيور فى المعانى فما آتى بها إلا افتراعا
وقدماً كانت الأبكار أحظى من العون التى انتهبت شعاعا

وقال [من الخفيف] :

رب شعر أطاله طول معنا ه وإن قل لفظه حين يروى

وطويل فيه الكلام كثير فاذا ما استمدته كان لغوا
عرض البحر وهو ماء أجاج وقليل المياه تلقاه حلوا

وقال [من الطويل] :

لقد شان شأن الشعر قوم كلامهم إذا نظموا شعراً من الثلج أبرد
فيارب إن لم تهدهم لصوابه فأضللهم عن وزن ما لم يجودوا

وقال من قصيدة فى الصاحب [من الخفيف] :

لو تراخيت عن مديحك لاستجـــررت من كل نعمة لك هجوا
فتـــأمل وانظر إليه إذا ما طبق الخافقين حضراً وبدوا
كيف تحدو به عفاتك حدوا ثم تشدو به قيانك شدوا

* * *

ما أخرج من شعره فى العتاب

قال من قصيدة [من الوافر] :

وأيام نعد على عدا وحظى من رغائبها يفوت
يظن الناس لى فيها ثراء وحسى من ظنون الناس فوت
كأنى من تخاصمهم مكين وحالى من خصاصتها تموت
ولم آل اجتهاداً واحتفالا ولكن أعيت الحيل البخوت
إذا رام الكريم شكاة بت فغايته التحمل والسكوت

وقال من قصيدة فى عبد العزيز بن يوسف من الطويل :

كفانى علاء حين أفخر أننى أضاف إلى عبد العزيز وأنسب
حننه على الحانيات قصرت فى كفالته كالأب وهو له أب
فما أن كالأولاد والفرع أشمط وما هو كالآباء والفرع عيهب

ومنها :

عممتم جميع الناس حسناً لمحسن ... وعفواً لذى جرم فغيثوا وأخصبوا
فما بال إبراهيم إذ ليس قبله ... ولى عراق غـــدا وهو مجدب
مجليهم فى حلبة حين أرسلوا ... وسكينهم فى رتبة حين رتبوا
ومالك ياعينى البصيرة غمضت ... حفونك عنى حين أبكى وأندب
وكيف استطبت العيش فى ظل نعمة ... غلامك عنها بالعراء يعذب
أتضرب صفحاً وادع الجأش ساكناً ... وجنبى على رمضائه يتضرب
متى لم يكن ترياق جاهك ضامناً ... نحاقى إذا دبت إلى الحال عقرب
ومالى إذا لم أسق رياً من الحيا ... ولم ترو منى غلة الروح أخصب
ولكنه التقويم إن كان طعمه ... أمر فعقباه الخيـــدة تعذب
ومن ذا الذى أهلتموه لنكبة ... نقومه إلا العذيق المرجب
إذا منصل بالغتم فى صقاله ... فما هو إلا المشرفى المجرب
ولم تشحذوا حديه حيفاً وإنما ... تريدون أن نسطوا به وهو مقضب
تجرعت هذا الشرى كالأرى عالما ... بأن سوف يحلو لى جنى فيه طيب
ويا سوء حالى لو حربت لديكم ... تجرى الذى لايصطفى فيهذب
تصبراً على بؤسى قليل بقاؤها ... لنعمى لنا فيها مراد ومرحب
بثن غنى التأنيب فيكم وساءنى ... نفد سرى أن كنت ممن يؤنب
وعلى باستحكام حق لديكم ... يحقق ظنى أن جرى سيوهب
وإنك للحر الذى لى عنـــده ... وديعة ود خيرها مترقب

وقال [من الطويل] :

صديق لكم يشكو إليكم جفاكم ... وفى قلبه داء من الشوق قاتل
تناسيتموه وهو للعهد ذاكر ... وللغيب مأمون وللحبل واصل

يقول لكم والوجد بين ضلوعه مقيم وقد حمت عليه البلابل
أكابرنا عطفاً علينا فإننا بنا ظمأ برح وأنتم متاهل

وقال [من الخفيف] :

ومن الظلم أن يكون الرضا سرا ويبدو الإنكار وسط النادى
ومن العدل أن يشاع بهذا مثل ماشاع ذاك فى الأشهاد
كى يسر الصديق بالعفو عنى مثل ما سر بالنكير الأعادى

ما أخرج من شعره فى الشكوى والحبس

قال [من البسيط] :

قد كنت أعجب من مالى وكثرته وكيف تغفل عنه حرفة الأدب
حتى انثنت وهى كالغضبى تلاحظنى شزراً فلم تبق لى شبثاً من النشب
فاستيقنت أنها كانت على غلط فاستدركته وأفضت فى إلى الحرب
الضب والنون قد يرجى التقاؤهما وليس يرجى التقاء اللب والذهب

وقال أيضا [من الوافر] :

كأن الدهر من صبرى معيظ نفس تعبى منه لخطوب
يحاول أن نلين له قناتى ويأبى ذلك العود الصليب
ألاقى كل معضلة تآد بوجه لا بغيره القطوب
وأعتنق العظيمه إن عرتنى كأن قد زارنى منها حبيب
وبين جوارحى قلب كريم تعجب من عاسكه القلوب
تلوح نواحذى والكأس سرى وأشربه كأنى مستطيب
فقوق السر منى جهر صحوك وتحت الجهر منى سر كئيب
سأنت إن يصادمنى زمانى ركبته كما سن النجيب

وأرقب ما تجيء به الليالى ففى أثنائه الفرج القريب

وقال [من مجزوء الكامل] :

قاسيت من دهرى سفيهاً ما إن رأيت له شبيها
ثبت نصال سهامه فى نغرة لى نتحيها
فكأننى استقبلته بعقاتلى إذ أتقيها

وقال [من الطويل] :

إذا لم يكن بد من الموت للفتى فأروحه الأوحى الذى هو أسرع
وما طال عمر قط إلا تطاولت بصاحبه روعات ما يتوقع
فكن عرضاً بالعيش لا تغتبط به فحصوله خوف وعقباه مصرع

وقال [من الطويل] :

إذا جمعت بين امرأين صناعة وأحببت أن ترى الذى هو أحذق
فلا تفقد منهما غير ماجرت به لهما الأرزاق حين تفرق
فحيث يكون النقص فالرزق واسع وحيث يكون الفضل فالرزق ضيق

وقال [من المنسرح] :

عهدى بشعرى وكله غزل يضحك عنه السرور والجذل
أيام همى بحبة بهم القلب عن الثابات مشتغل
فالآن شعرى فى كل داهية بيرانها فى الضلوع تشتعل
أخرج من نكتة وأدخل فى أخرى فنحسى بهن متصل
كأنها سنة مؤكدة لابد من أن تقيمها الدول
فالعيش مر كأنه صبر والموت حلو كأنه عسل

وقال فى الاستتار من قصيده [من الخفيف] .

ليس لى منجد على ما أقاسى من كروبى سوى العليم السميع

دفترى مؤنسى وفكرى سميرى وبدى عادى وحلى ضجيعى
ولسانى سيفى وبطشى قريضى ودواتى غيثى ودرجى ربيعى
أتعاطى شجاعة أدعيها فى القوافى لقلبى المصدوع
بمقال أعز من ليث غاب وفعال أذل من يربوع
كلما هر فى جوارى هر كاد يفضى إلى فؤادى المروع
وإذا اجتاز فى السطوح فمن قبـــل قبوع الجرذان منه قبوعى

وكتب من الحبس قصيدة منها [من الطويل] :

كتبت أفيك السوء من محبس ضنك وعين عدوى رحمة منه لى تبكى
وقد ملكتنى كف قط مسلط قليل النقى ضار على الفتك والإفك
صليت بنار الهم فاردت صفوه كذا الذهب الإبريز يصفو على السبك

وكتب إلى صديق له وهو محبوس [من الكامل] :

نفسى فداؤك غير معتد بها إذ قد مللت حياتها وبقاءها
ولو ان لى مالا سواها لم أكن أرضى لنفسك أن تكون إزاءها
لكن صفرت فلم أجد إلا الى قد آن لى أن أستطيل ذماءها
فإذا شكرت لمن فداك فإننى لك شاكر أن قد قبلت فداءها
وكأننى المفدى حين أرحتنى من هيبات ما أضيق لقاءها

وكتب وهو فى الحبس إلى أبى العلاء صاعد بن توبت من مجزوء الرمل :

أيها السيد قد كا ن إلى الوصل تسارع
وتراعينا بر موال متتابع
فلساد قد تسربلـــت لنا سربال قاطع
نحن كالسرب فى الصحـــ ـــة نكنى واقع
وعى الطائر فى بعـــ ـــتى أحد وسباع

وكتب إلى قاضى القضاة أبى محمد بن معروف ، وقد كان زاره فى معتقله رقعة هذه نسختها :

لقد قوى دخول سيدنا قاضى القضاة إلى نفسى ، وجدد أنسى . وأعزب نحسى ، ووسع حبسى . فدعوت الله تعالى بما قد ارتفع إليه ، وسمعه له . فإن لم أكن أهلا لأن يستجاب منى ، فهو أيده الله أهل لأن يستجاب فيه ، وأقول مع ذلك [من البسيط] :

دخلت حاكم حكام الزمان على ... صنيعة لك رهن الحبس ممتحن
أخنت عليه خطوب جار جائرها ... حتى توفاه طول الهم والحزن
فعاش من كلمات منك كن له ... كالروح عائدة منه إلى البدن

وقال فى مستخرج مال كان يرفق به حال مصادرته ويتشكر منه فى تلك الحال [من الكامل] :

لله در أبى محمد الذى ... ضمنت إساءته بنا إحسانا
طويت جوانحه على خيرية ... مكتومة تبدو لنا أحيانا
حر تكلف غير ما فى طبعه ... من قسوة تكسو العزيز هوانا
عكس النفاق لنا فأخفى باطنا ... حسنا وأظهر ضده إعلانا
وله خلال العسف رفق ربما ... يغشى الضعيف الرازح الحيرانا
مستخرج للمال مضطر إلى اس ... تعمال ما يرضى به السلطانا
متلطف فى فقرنا ولو أنه ... وجد السبيل إلى الغنى أغنانا
يتطرق الأستار لا عن نية ... ولو استطاع فعا الصيانة صانا
متوعر الجنبات فى استخراجه ... وإذا تعطف لفتوة لانا
فتراه فى ديوانه مستأسداً ... بتا وفى خلواته إنسانا
رجل يؤدبنا ونحن مشايخ ... مثل المعلم يضرب الصبيانا

عدنا وقد شبنا إلى حال الصبا ... فى مكتب يستشهد الولدانا
نهواه علماً أنه خير لنا ... من غيره أن قلد الديوانا
عجباً له إذ هذه آثاره ... فينا وهذا شكرنا وثنانا
فالله يحفظه علينا راضيا ... ويعيذنا من بأسه غضبانا

وقال أيضا فى الحبس [من الطويل] :

إذا لم يكن للمرء بد من الردى ... فأسهله ما جاء والعيش أنكد
وأصعبه ما جاءه وهو راتع ... تطيف به اللذات والحظ مسعد
فإن أك سر العيشتين أعيشها ... فإنى إلى خير المماتين أقصد
وسيان يوما شقوة وسعادة ... إذا كان غباً واحدا لهما الغد

وكتب إلى عضد الدولة وقد خرج إلى الزيارة بالكوفة [من الطويل] :

توجهت نحو المشهد العلم الفرد ... على اليمن والتوفيق والطائر السعد
تزور أمير المؤمنين فباله ... وبالك من مجد مسيخ على مجد
فلم ير فوق الأرض مثلك زائرا ... ولا تحتها مثل المزور إلى اللحد
مددت إلى كوفان عارض نعمة ... بصوب بلا برق يروع بلا رعد
وتابعت أهليها ندى بمتوبة ... فرحت إلى فوز وراحوا إلى رفد
أمولاى . مولاك الذى أنت ربه ... إليك على جور النوائب نستعدى
وهذى يدى مدت إليك بقصه ... أعيذك فيها من إباء ومن رد
أتاك شتاء ليس عندى دثاره ... سوى لوعة فى الصدر متبوبة الوقد
فلو أن برد الجلد عاد إلى الحشا ... وفار الحشا الحران منى على الجلد
أزيحت لنفسى علتاها فأعرضت ... عن البث والشكوى إلى الشكر والحمد
وداوت داءى النقص فى دائد ... أعدل إبراء من عضد الدولة

ولكننى أستبطن الحر كربه وأستظهر الضر الشديد من البرد
وكم تثبت الحوباء فى شبح به بجروح دوام من مناحسة النكد
أليات وقع لو تكون بيذبل تضعضع ركناه تضعضع منهد
فلولا رجاء ملء أرجاء أضلعى وعلم يقين بالرعاية والعهد
وأن نسيم الانعطاف تهب لى هبوب نسيم النرجس الغض والورد
قضيت بإحداهن نحبى حسره ولو كان لى قلب من الحجر الصلد
وهبى قد حملتها فأطقتها إطاقة صلب العود مصطبر جلد
فمن لى بصبر عن جنيناك لامعا إذا شيم ما بين السماطين من بعد
برانى برى القدح شوق مبرح إليه ووجد جل عن صفة الوجد
إذا أبصرت عيناى خدا معفرا لديك نقلت الترب منه إلى خدى
وإن سمعت أذ ناى عنك محدثا لهجت بتكرير الحديث الذى يبدى
فذكراك جهرى حين يطرق زائرى ونجواك سرى حين أخلو بها وحدى
فلا تبعدنى عنك من أجل عثره فإن جياد الخيل مقر إذ تخدى
ولو كنت تنفى كل من جاء مخطئا إذا لعممت الناس بالنفى والطرد
ومن زل يوما زلة فاستقالها فذاك حقيق بالهداية والرشد
ولى عند مولانا وديعة حرمه وشكر أياديه وديعته عندى
فإن عشت كانت عدتى وذخيرتى وإن لم أعش فهى التراث لمن بعدى
والت سنى أربع ومدامعى لها أربع كالسلك سل من العقد
أحوم إلى رؤياك كيما أنالها حمام العطاش الناظرات إلى الورد
فيا أيها المولى الذى اشتاق عبده إليه أما تشتاق يوما إلى العبد ؟
فإن كان لم يبلغ إلى ربه الرضا فبلغه فيما قلها ربه الوعد
ومر أمرك العالى بتعمير حاله وتخصيص مايليق من البؤس والجهد

لعلك ترضى عوده بعد بدأه فيغدو بوجه أبيض بعد مسود
فقد يجبر العظم الكسير وربما تزايد بعد الجبر شدة مشتد

وقال [من الطويل] :

هجرت دواتى بعد تصريف حلبها وواصلت كالوراق قارورة الحبر
وعاشرت من دون الأخلاء دفترا يحدث عما مر فى سالف الدهر
فطوراً يسلى التعلل بالمنى وطوراً يكون الموت منى على ذكر

* * *

ما أخرج من شعره فى الحكمة

قال من مجزوء الرمل] :

حملة الإنسان جيمه وهيولاه سخيفه
فلماذا ليت شعرى قيل للنفس شريفه ؟
إنما ذلك فيه صنعة الله اللطيفه

وقال أيضا [من مجزوء الكامل] :

أتهاب فى العرصات ما ربحت وقبت عنه
وأمامك الموت الذى أيقنت أن لا بد منه
هذى سبيل الخائف الكافى الزاد ولا بكفه
الدهر حوان ولكن كم سعد لم يخنه !
وشقى جد قد تحر ر بالنصوص لم يصنه
فاحذر مراراً أن يغر ك ومره لك فاتمنه
واصبر لحظك بالتقلب فى المطالب وامتحنه
واسبط رجاء قد قضيت ونى ربك واسمه

وقال أيضاً [من الطويل] :

ألا أيها الإنسان لا بك آنس من الدهر أن صفو عالمك متكدر

فإن له حتما من الشر واجبا وحتما من الخير اهنى عواقبه
وإن تلق من حتميه ما كنت تبتغي فأولى بك الحتم الذى أنت طالبه
ستكسب ما ترجو ولو كنت كارها ككسبك ما تخشى وأنت مجانبه

وقال [من الخفيف] .

قد تحامى الجواد نائبه الدهـــر وميا على البخيل وقاحه
كم رأينا من نعمة قادها الخـــل وأخرى تذود عنها السماحه
ربما ضرهة التشدد والضـــغط فأضحت من أصلها مجتاحه
هى نحية إذا نيل منها وإذا عز نيلها مستباحه
وخصوم الشحيح يسعون فيما غض من طرفه وهاض جناحه
وبنات القلوب تصغى إلى من كان أسخى نفسا وأطلق راحه

* * *

ما أخرج من شعره فى الشيب والكبر وذكر آخر أمره

قال [من الوافر

يقول الناس لى فى الشيب عـر يريد به جلال المرء صعصا
ولولا أنه ذل وهـــون لما احتكم المزين فيه نفسا

أخذه من قول الأول [من البسيط

كفاك من ذلتى للشيب حين بدا أنى وأنت بنى لحـــتى بـــدى

وقال [من المتقارب]

لقد أخفقت حدثى الحادثات ومن عاش فى ريبها يخلق
وبدلنى صـــلعة شاملا من تشعر لفاحم الأغسق
وقد كنت أصلع من عارضى فقد عرب أصلع من مفرق

وقال [من المنسرح]:

لما دهتنى السنون بالصلع وقل مالى وضاق منسعى
حاسبت عن لمى مزينها حساب شيخ للحرم متبع
قلت له اقتنع عن فسط نابتها بالربع مما به عملت معى
واعمل على أنهـا مزارعة شكوت فيها شكاة متضع
فاحطط خراج الذى أصبت به واستوف منى خراج مزدرع

وقال [من مجزوء الكامل]:

وجع المفاصل وهو أيـسر ما لقيت من الأذى
حمل الذى استحسنته واليأس من حظى كذا
والعمر مثل الكأس يز سب فى أواخره القذى

وكتب إلى أبى الحسن النقيب الموسوى [من الخفيف]:

أقعـدتنا زمانه وزمان عاق عن مضاء حق الشريف
فاقتصرنا فيما نؤدى من الفر ض على الكتب والرسول الحصيف
والفتى ذو الشباب يبسط فى التقـصير عذر الشيخ العليل الضعيف

وكتب إليه يمدحه ويشكو إليه زمانته، وسوء أثر السن عليه، وحاجته إلى الجلوس فى المحفة إذا أراد التصرف فى حوائجه. وذلك فى رجب سنة أربع وثمانين وثلاثمائة من الطويل.

إذا ماتعدت بى وسارت محفه هما أرجل سعى بهما رجلان
وماكنت من ورساتها غير أنها وهت لى لما خانت القدمان
برئت إليها عن سراة حصان بحكم متنى أو فراش حصان
لقد حملت سى ابن تسعين سالكا سبيلا عليها سلك ثقلان
كما حمل المهد الصبى وقاسما دعرب ثبوت الحمل بالزوجان

ولى بعدها أخرى تسمى جنازة ... جنيبة يوم للمنية دانى
تسير على أقدام أربعة إلى ... ديار البلى معدودهن ثمانى
وإنى على غيث الردى فى جوانبى ... وما كف من خطوى وبطش بنانى
وإن لم يدع إلا فؤاداً مروعا ... به غير باق من أذى الخفقان
يلوم تحت الحجب بنفث حكمة ... إلى أذن تصغى لنطق لسان
لأعلم أى ميت عاق دفنه ... ذماء قليل فى غد هو فانى(١)
وإن فأ للأرض غرثان جائعاً ... يراصد من أكلى حضور أوان(٢)
به شره عم الورى بفجائع ... تركن فلاناً تاكلا لفلان
غداة غرا يشكو الطوى وهو راتع ... فما تلتقى يوماً له الشفتان(٣)
فكيف وحد القوت منه فاؤنا ... وما دون ذاك الحد رد عنان
إذا عاضنا بالسل عن يعوله ... بلا أولا منه بمهلك ثانى
إلى ذات يوم لا ترى الأرض وارثا ... سوى الله من إنس يراه وجان
ألا أبلغا عرعاً نمته عروقه ... إلى كل سام للمفاخر بانى
محمداً المحمود من آل أحمد ... أبا كل بكر فى العلا وعوان
أبا حسن قطعت أحشاء حاسد ... طواها على البغضاء والشنآن
يراك بحيث النجم تصدع قلبه ... بحد لسان أو بحد سنان
جرى جاهداً والعفو منك يفوته ... فكان هجينا طالما لهجان(٤)
وأنت سماء فى الذؤابة صاعدا ... وذاك حضيض فى القرارة عانى

---

(١) الذماء : بقية الروح .
(٢) الغرثان : الجائع
(٣) فاغرا : فاتحا فاه ، والطوى : الجوع
(٤) الهجين : المتولد بين عربى وأمة .

أقيك الردى إنى تنبهت من كرى ... وسهو على طول المدى اعتورانى
فأثبت شخصاً دانياً كان خافيا ... على البعد حتى صار نصب عيانى
هو الأجل المحتوم لى جد جده ... وكان يرينى غفلة المتوانى
له نذر قد آذننى بهجمة ... له لست منها آخذاً بأمان
ولا بد منه عجلا أو معاجلا ... سيأتى فلا تنبه عى ثانى
هنالك فاحفظ فى بنى أذمتى ... وذد عنهم روعات كل زمان
فإنى أعتد المودة منك لى ... حساماً به يفضون فى الحدثان
ذخرت لهم منك السجايا وإنها ... لأنفع مما يذخر الآباء
وفاء ومدا للجناح عليهم ... وضناً بهم عن مس كل هوان
وحرمة أسلاف كرام حقوقها ... ديون على الخلير يصطحبان
وحطك منها حسب شأنك إنه ... عاظم قدرا أن يقاس بشان
وقد ضمن الله الجزاء لمحسن ... وحسبك من واف وفى بضمان
وهذا فريضى وهو هم بعثته ... إلى همه عذراء دان مكان
فكنت كمن حارى جواداً بمفرق ... فوائمه مشكوله بحران[1]
فإن تثنى بالعبار سوابقاً ... عوافيه من لغط وحمس معان
فلا عار إن قصرت دون مبرز ... شأى الناس قبلى سعيه وشأنى
وعذرى إليه خاطر كل بعدما ... توى وهو ماضى الشفرتين يمانى
كذا الدهر إما عاد ينقض ما بنى ... وإما بنى ما ينقض الملوان
وإن أخرنى اليوم عن تقدمت ... فقد أسلمتنى حور كل رهان
ليالى طارت بى عقاب بلاغتى ... وقد هالنا ما استطاع يراني
أنابيل حالت دون إدراك غايتى ... على أنها قد نال فى الطيران

---

(١) المشكولة : المشدودة بالشكال ، وهو الحبل الذى تربط به الدابة

فأجابه أبو الحسن بقصيدة منها [من الطويل] :

ظمائى إلى من لو أراد سقانى ... ودينى على من لو يشاء قضانى
ولو كان عدى معسراً لعذرته ... ولكنه وهو الملى لوانى
رمى مقلتى واسترجع السهم دامياً ... غزال بنجلاوين نتضلان
أأرجو شفائى منه وهو الذى جنى ... على بدنى داء الضنى وشجانى
أبيت فلم أسنسق من كان غلنى ... ولم أسترش من كان قبل برانى
فإن أسر فالعلياء همى وإن أمم ... فإنى على بكر المكارم بانى
وإن أمض أترك كل حى من العدى ... يقول ألا لله نفس فلان
أكر فى الإخوان عينا صحيحة ... على أعين مرضى من الشنآن
فلولا أبو إسحاق قل تشبثى ... بخل وضربى عنده بجران
هو اللاقى عن دا الزمان وأهله ... نشيمه لا وان ولا متوانى
إخاء تساوى فيه ودا وألفه ... رضيع صفاء لا رضيع لبان
تمازج قلبانا تمازج إخوة ... وكل طلوبى غاية أحوان
ورب قرب بالعداوه ساخط ... ورب بعيد بالموده دانى
وغيرك يسو عه طرق مجاداً ... وإن كان منى الأقرب المتدانى
لئن راء فيضاً من بنانك حادث ... لقد عاضنا منك انبساط حنان
وإن بز من ذاك الجناح مطار ... فرب مقال منك دى طيران
وإن أقعدتك النائبات مطالما ... سرى موقراً من مجدك الملوان
وإن هدمت منك الخطوب بمرها ... فتم لسان للمناقب بانى
مآثر تبقى ما رأى الشمس ناظر ... وما سمعت من سامع أذنان
وموسومه مقطوعة العقل لم تزل ... شوارد قد بالغن فى الجولان
ومازل منك الرأى والحزم والحجى ... فتأسى إذا ما زلت القدمان

ولو أن لى يوما على الدهر إمرة وكانت لى العدوى على الحدثان
خلعت على عطفيك برد شبيبتى جواداً بعمرى واقتبال زمانى
وحملت ثقل الشيب عنك مفارق وإن قل من غربى وغض عنانى
وتاب طويلا عنك فى كل عارض وخط يخطو أخمصى وبنانى
على أنه ما انقل من كان دونه حميم يرامى عن يد ولسان
وما كل من لم يبسط نهضاً بعاجز ولا كل ليث خادر بجبان
وإنك ما استرعيت منى سوى قنى صبور على رعى المودة حانى
حفى إذا ما ضيع المرء هوله وفى إذا ما خون العضدان
من الله أستهدى بقاك وأن ترى محلا لأيام العلا بمكان
وأسأله أن لا تزال مخلداً بمنتى سماع بيننا وعيان
إذا ما رعاك الله يوماً فقد قضى مآرب قلبى كلها ورعانى

وكتب إليه أبو إسحاق أيضا ، وكان بين إنفاذه إليه هذه القصيدة وبين مورده اثنا عشر يوما ولعلها آخر شعره ، من الطويل :

أما كل شىء قيل فى وصفه حسن إلى ذاك ينحو من كناك أنا الحسن
فوحدها للاختصار إشارة إلى جملة تفصيلها لك مرتهن
تخولتها فى خلقه وخليقه وإن لم تكن أنت الخليق بها فمن
وما هى إلا كنيه لك إرتهب وإن مسها من غير أربابها الدرن
ولو أن فى تحريمها لى قدره لما أصبحت فى غير بيتك تمتهن
ألست لها بعد الوصى وآله وأنتم أناس فيكم المجد قد قطن
ولكن هذا الدهر جار عليكم وبالغ حتى فى تكنى بكم محن
يحاذيكم عليهم كل حاسد به مرض من الخيرات قد كمن
فيجرى إلى غاياتكم ضالعاً لها على غير منساح وأنتم على الشنن

مناقبكم حق بدت بيناته ودعواه أضغاث يراهن فى الوسن
لكم فى الثريا خطة وهو فى الثرى فيا بعدها من أن يلزمها قرن
وقد تستوى الأشخاص فى عين من رأى وتفترق الأعيان فى فهم من فطن
وبين وسيمات الوجوه تشابه فكن فاصلا بين التهيج والسمن
وإن جلدة الوجه الوسيم نفضنت فلا تحسبن تلك الغضون بها عكن
توقلتم فى كل هضبة سؤدد فأوفيت واستعليت منها على القنن
نقسم هذا الفضل بين طوائف وأقسامه مجموعة فيك تختزن
عدوا لك كالأبعاض إذ أنت كلهم كمالا عجيبا مثله قط لم يكن
تراهم إذا غابوا عن المنزل الذى تحل به كانوا حضوراً له إذن
وإن غبت عنهم ظاعناً بان فقرهم إلى الواحد الفذ الذى عنهم ظعن
وإما يباريك المبارى . بهيئة وزى وملبوس على جسمه حسن
ففى درعك الإنسان تمت صفاته وجمت معاليه وفى درعه الوثن
كتبت إلى ابن الموسوى رسالة بلا دخل يدنو إليها ولا دخن
بأنى مذ بايعتنى الود جاعل سوادى من قلب وعين له ثمن
فإن رمته من صادق غير ماذق فدونك صدرى مسكناً تحته بجن
إذا اغتربت منك الموالاة عند من ينافق فيها فهى عندى فى الوطن
صفت مثل ماتصفو المدام من القذى وطابت كما طابت من العنبر الدخن
ولم لا وأنت الماجد السيد الذى له منن لم تستطع حملها المنن
أفيك الردى ليس القلا عنك مقعدى ولكن دهانى بالزمانه دا الزمن
وغادرنى حلف المضاجع راهناً على خلة فى الحال والنفس والبدن
فإن تأمنك الدار فالذكر ما نأى وإن بان منى الشخص فالفكر لم يبن
وإن طال عهد الإلتقاء فدونه عهود عليها من رعايتنا حتن

وأيسر حد يلزم المازح الفتى من الحق بسط العذر للدالف اليفن

وقال الشريف يجيبه عن هذه القصيدة . وجعل الجواب على رويها دون وزنها لأن ذلك الوزن المقيد لايجىء الكلام فيه إلا متقلقلا ، ولا النظم يزعمه إلا مختلا [من البسيط] :

دع من دموعك بعد البين للدمن غدا لدارهم واليوم للظعن
هل وقفة بلوى خبت مؤلفة بين الخليطين من شام ومن يمن
عجنا على الربع أنضاء محرمة أثقالها الشوق من باد ومكتمن
موسومة بالهوى تدرى برؤيتها أن المطايا مطايا مضمرى تجن
ثم انثنينا على يأس وقد شرقت نواظر بمجارى دمعها الهتن
من مبلغ لى أبا إسحاق مألكة عن حنو قلب سليم السر والعلن
جرى الوداد له منى ، وإن بعدت منا العلائق ، مجرى الماء فى الغصن
لقد توامق قلبانا كأنهما تراصعا بدم الأحشاء لا اللبن
مسود قضب الأقلام نال بها نيل المحمر أطراف القنا اللدن
إن لم تكن تورد الأرماح موردها ما عدلت إلى الأقلام عن جبن
والطاعن الطعنة النجلاء عن جلد كالقائل القولة الغراء عن لسن
ما قدر فضلك ما أصبحت ترزقه ليس الحظوظ على الأقدار والمهن
فد كنت قبلك من دهرى على حنق فزاد ملك فى غيظى على الزمن
أنت الكرى مؤنسا أعينى ، وبعضهم مس القذى مانعٌ عينى من الوسن
قد جاءت النفثة الغراء صامنة ما يوثق النفس فى سر وفى علن
أنبطت من حسها ماء بلا نضب وحزت من نظمها درا بلا ثمن
فاقتد إليك أبا إسحاق قافيه فود الجواد بلا حبل ولا رسن
أنشدتها فغدا سمعى عرانته إلى الصهيل حنين الركب بالبدن

كانت تقاعس لو ما كنت قائدها تقاعس البازل المجنوب فى شطن(١)
تستوقف الركب إن مرت معارضة يهدى عقيلتها العذراء من لمن

* * *

ذكر وفاة أبى إسحاق وما رثاه به الموسوى

توفى يوم الخميس لاثنتى عشرة ليلة من شوال سنة أربع وثمانين وثلاثمائة وكانت سنوه إحدى وتسعين سنة قمرية ، فرثاه أبو الحسن بهذه القصيدة الفريدة التى أفصح بها عن بعد شأوه فى الشعر ، وعلو محله فى كرم العهد ، وقد كتبتها كلها لحسن دياجيها وكثرة رونقها ، وجودة ألفاظها ومعانيها ، واستهلالها [من الكامل] :

أعلمت من حملوا على الأعواد أرأيت كيف خبا ضياء النادى ؟
جل هوى لوخر فى البحر اغتدى من وقعه متتابع الإزباد
ما كنت أعلم قبل دفنك فى الثرى أن الثرى يعلو على الاطواد
سهداً ليومك فى الزمان فإنه أهدى العيون وفت فى الأعضاد(٢)
لا ينفد الدمع الذى يبكى به إن القلوب له من الامداد
كيف انمحى ذاك الجناب وعطلت تلك الحجاج وضل ذاك الهادى
طاحت بتلك المكرمات طوائح وعدت على ذاك الجلال عوادى
قالوا أطاع وفيد فى شطن الردى أيدى المنون ملكت أى قياد ! (٣)
من مصعب لو لم يقده إلهه لقضاه ما كان بالمقاد
هذا أبو إسحاق يعلق رهنه هل دائد أو مانع أو فادى(٤)

---

(١) الشطن : الحبل الطويل ، أو هو الحبل مطلقا .
(٢) الفت : الاضعاف والتوهين
(٣) القياد : حبل تقاد به .
(٤) غلق الرهن : استحق ، يريد أنه مات

لو كنت تفدى لافتدتك فوارس ... مطروا بعارض كل يوم طراد
وإذا تألق بارق لوقيعة ... والخيل تنحص بالرجال بداد(١)
سلوا الدروع من العباب وأقبلوا ... يتحدثون على القنا المياد
لكن رماك بحين الشجعان عن ... إقدامهم ومضعضع الآنجاد
كالليث يهوى بالبراب ويعتلى ... غيطاً على الأضغان والأحقاد
والدهر تدخل نافذات سهامه ... مأوى الصلال ومربض الآساد
ألقى الجران على عنطنط حمير ... فمضى ومد يداً لأحمر عاد
أعزز على بأن أراك وقد حلت ... من جانبيك مجالس العواد
أعزز على بأن أراك بمنزل ... مدشاه الآجاد والأوغاد
أعزز على بأن يفارق ناظرى ... لمعان ذاك الكوكب الوقاد
فى عصبة جنبوا إلى آجالهم ... والدهر يعجلهم عن الإرواد
صربوا بمدرجة العناء قنابهم ... من غير أطناب ولا أعماد
ركب أناخوا لايرجى منهم ... قصد لإتهام ولا إبعاد
كرهوا النزول فأزلتهم وقعه ... للدهر نازله بكل مقاد
فتهافتوا عن رحل كل مذلل ... وتطارحوا عن سرج كل جواد
نادون فى صور الجميع وإنهم ... مفردون تفرد الآحاد
ما يطل الهم أن أماما ... طول الطريق وقله الأزواد
عمرى لقد أعمدت منك مهنداً ... فى ضرب كان عرق الأغماد
قد كنت أهوى أن أشاطرك الردى ... لكن أراد الله غير مرادى
ولقد كنا طرف لرقاد ناظرى ... بعد افتقدت فلالة لرقادى
كانتك أرض لا لذلك نابياً ... أنى وملكك معور الملاد

---

(١) بداد كقطام : دعوة الهزيمة .

من للبلاغة والفصاحة إن همى ذاك الغمام وعب ذاك الوادى
من للملوك يعز فى أعناقها بغباً من القول البليغ حداد
من للممالك لا تزال تلمها بسداد ثغر ضائع وسداد
من للمحافل يستزل رماحها ويرد رعلتها بغير جلاد
من للمارق تسترق قلوبها بزلازل الإبراق والإرعاد
وصحائف فيها الأراقم كمن مرهوبة الإصدار والإيراد
تدمى طوابعها إذا استعرضتها من شدة التحذير والإيعاد
حمر على نظر العدو كأنها بدم تخط بهن لا بمداد
يقدمن إقدام الجيوش . وباطل أن يهزمن هزائم الآجناد
فقر بها تمسى الملوك فقيرة أبدا إلى مبدا لها ومعاد
وتكون سوطاً للحرون إذا وفى وعنان عنق الجامح المتمادى
ترق وتلدغ فى القلوب ، وإن تشا حط النجوم بها من الإبعاد
أما الدموع عليك غير بخيلة والقلب بالسلوان غير جواد
سودت ما بين الفضاء وناظرى وعسلت من عيى كل سواد
ـى الخدود من المدامع شاهد أن القلوب من الغليل صوادى
ما كنت أحتى أن تضن بنفظة لتقوم بعدك لى مقام الزاد
ماذا الذى مع الفنيق هديره من بعد صولته على الآذواد
ماذاالذى حبس الجواد عن المدى من بعد سبقته إلى الآماد
ماذا الذى مع الهمام بوثبة وعدا على دمه وكان العادى
قل للنوائب عددى أيامه لغنى عن التعديد بالتعداد
حمال ألوية العلاء بنجدة كالسيف يعنى عن مناط نجاد
ملصت أظلة كل فضل بعده وأمر منبرها على الوراد

فقضى لسانك إذ ذوت ثمراته أن لا دوام لنضرة الأعواد
وقضى جنانك مذ خبت وقداته أن لا بقاء لقدح كل زناد
بقيت أعيجان يضل تبيعها ومضت هواد للرجال هوادى
يا ليت أنى ما اقتنيتك صاحبا كم قنية جلبت أسى لفؤادى
من لم يسف إلى التناسل نفسه كفى الأسى بتفاقد الأولاد
برد القلوب بمن تحب بقاءه مما يحر حراره الأكباد
ليس الفجائع بالذخائر مثلها يا ماجد الآباء والأفراد
ويقول من لم يدر كنهك إنهم نقصوا به عدداً من الأعداد
هيهات أدرج بين برديك الردى رجل الرجال وأوحد الآحاد
لا تطلبى يا نفس خلا بعده فلمثله أعيا على المقتاد
فقدت ملاءمة الشكول لفقده وبقيت بين تباين الأضداد
ما مطعم الدنيا بحلو بعده أبداً ولا ماء الحيا ببراد
الفضل ناسب بيننا إذ لم يكن ترقى مناسبه ولا ميلادى
إن لا تكن من أسرتى وعشيرتى فلأنت أعلقهم يداً بودادى
أولا تكن عالى الأصول فقد وفى عظم الجدود بسؤدد الأجداد
لا در درى إن مطلتك ذمة فى باطل متعسف أو نادى
إن الوفاء كما اقترحت فلو تكن حياً إذاً ما كنت بالمزداد
ليس التأسف بيننا بمعاود أبداً وليس زماننا بمعاد
ضاقت على الأرض بعدك كلما وتركت أضيق على الأدى
لك فى الحشا قبر وإن لم تأوه ومن الدموع روائح وغوادى
سلوا من الأبراد جسمك عاطلا جسمى لبس عليك فى الآباد
كم من طويل العمر بعد وفاته بالذكر يصحب حاضراً وبادى

ما مات من جعل الزمان لسانه يتلو مناقب عوده وبوادى
فاذهب كما ذهب الربيع وأثره ماق بكل مهابط ونجاد
لا تبعدن وأين قربك بعدها إن المنايا غاية الإبعاد
صفح الثرى عن حر وجهك إنه مغرى بطى محاسن الأمجاد
وتماسكت تلك البنان فطالما عبث الردى بأنامل الأجواد
وسقاك فضلك إنه أروى حيا من رائح متعرض أو غادى
جدث على أن لا نبات بأرضه وقفت عليه مطالب الرواد

ومر يوما بقبره وهو بالجنبنة من أرض كرعايا فقال [من الطويل] :

أيعلم قبر بالجنينة أننا أقنا به نبغى الندى والمعاليا ؟
عطفنا فبينا مساعيه إنها عظام المساعى لا العظام البواليا
مررنا به فاستوقفتنا رسومه كما استوقف الروض الظباء الجوازيا
وما لاح ذاك الترب حتى تخيلت من الدمع أوشال ملأن المآقيا
نزلنا إليه عن ظهور جيادنا نكفكف بالأيدى الدموع الجواريا
ولما تحاهتنا البكاء ولم نطق عن الوجد إقلاعا عذرنا البواكيا
أقول اركب رائحين معرجوا أريكم به فرعا من المجد ذاويا
ألموا عليه عاقرين فإننا إذا لم نجد عقرا عقرنا القوافيا
وحطوا به رحل المكارم والعلا وكنوا الحمان عنده والمقاريا
ولو أنصفوا شقوا عليه ضمائرا وجزوا رقابا بالظبا لا نواصيا
وقفنا فأرخصنا الدموع وربما نكون على سوم الغرام غواليا
ألا أيها القبر الذى ضم لحده قضيبا على هام النوائب ماضيا
هل ابن هلال منذ أودى كمهدنا هلالا على صوب المطامع باقيا
وتلك السنان المورقات من الندى رواضب ماء أم نواى كما هيا ؟

فإن نيل من ذاك اللسان مضاؤه ... فإن به عضواً من المجد باليا
يجيب الدواعى حاثداً أو مدافعاً ... هناك مرم لا يجيب الداعيا(١)
وما كنت آبى طول لبث بقبره ... لو انى إذا استعديته كان عاديا
صفائح تستسقى الدموع روائحا ... على جانبيها والغمام غواديا
ترى الكلم الغران من بعد مونه ... نوافر عن رامين نواثيا
هو الخاضب الأقلام نال بها علا ... تقاصر عنها الخاضبون العواليا
معيد ضراب باللسان لوانه ... يوم وغى فل الجراز اليمانيا
مرير القوى نال المعالى واثباً ... إذا غيره نال المعالى حاييا
مضى لم يمانع عنه قلب مشيع ... إذا هم لم يرجع عن الهم ناثيا
ولا المسندوه بالأكف إلى الحشى ... على جزع والمعرشوه الترافيا
ولارد فى صدر المنون براحة ... يرد بها سمر القنا والمواضيا
خلا بعدك الوادى الذى كنت أنسه ... وأصبح عروه النوائب واديا
أرحت علينا ثلة الوجد ترتمى ... ضمائرنا أيامها والليـاليا
ولولاك كان الصبر منا سجيه ... تراثاً ورثناه الجدود الأواليا
رصيت بحكم الدهر فيك ضرورة ... ومن ذا الذى يعدو بماساء راضيا
وطاوعت من رام انتزاعك من يدى ... ولو أجد الأعوان أصحت عاصيا
تطامنت كيما يعبر الخصم حانبى ... وألقى على ظهرى وجر رماميا
ملأت بمحياك البلاد مساعياً ... وملأ مواك بلاد ماعيا
كما عم عالى ذكرك الخلق كله ... كذاك أقمت العالمين نواعيا
رثيتك كى أسلوك فارددت لوعه ... لأن المراقى لاتسد لمراريا
وأعلم أن ليس البكاء نافع ... عليك ولكنى أسى لأمانيا

(١) أرم بالمكان : أقام ومكث

الباب الرابع

فى ذكر ثلاثة من كتاب آل بويه يجرون مجرى الوزراء

أولهم أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف

أحد صدور المشرق ، وفرسان المنطق،وأفراد الكرم الكبار، الحسان الآثار والأخبار ، وأعيان الممدحين المقدمين فى الآداب والكتابة،والبراعة والكفاية ، وجميع أدوات الرياسة . وكان مع تقلده ديوان الرسائل لعضد الدولة طول أيامه معدوداً فى وزرائه ، وخواص ندمائه . وتقلد الوزارة بعده دفعات لأولاده

وأنا أورد من غرر نثره التى تعرب عن أدب فضفاض،وغاطر بالإجادة والإحسان فياض . ومن لمع شعره التى هى أحسن من زهر الرياض ، وأسلس من الماء على الرضراض ، ما هو من شرط هذا الكتاب ، المشتمل على ملح الآداب .

* * *

ما أخرج من سلطانياته

فصل من كتاب عن الطائع لله ، إلى ركن الدولة ، لما ورد عضد الدولة العراق :

فأنت وعضدالدولة كلاً كما الله يدا أمير المؤمنين فيما يأخذ ويذر ، وناظراه فيما يقرب ويبعد . بكما افترش مهاد الملك بعد إنتضاضه ، ورفع منار الدين بعد انخفاضه . فأبشرا من الله تعالى بالحسنى . إن الله لا يضيع أجر المحسنين

ومن كتاب عنه إلى عضد الدولة

وراع الشرف الذى أفرعك أمير المؤمنين ذروته ، وعضد بك ذؤابته

وتوقل (١) في فلك الفخر كيف أردت ، ومس في حلل المجد أي شئت . واستتم النعمة عليك بالتقوى لله تعالى ، وبحسن الطاعة لأمير المؤمنين ، فإنهما جنتاك وعدتاك وذريعتاك المشفعتان عند الله تعالى في أولاك وأخراك . وأحسن كما أحسن الله إليك .

ومن كتاب عنه إلى أهل الشام

قد علم بشهادة الآثار ، وتظاهر الأخبار ما أعد الله لأمير المؤمنين بطاعة وليه المنصور ، وصفيه المبرور . وعضد الدولة أيده الله تعالى من حام حقيقته ، ساد خلته ، راع سدنه ورعيته . لا يثنيه عن غاياته عارض الشام، ولا يلويه عن مرامه راحة الحمام [من الطويل] :

مضامير أعيت على من يرومها وكل مدى عن غايتيه قصير

هو عين أمير المؤمنين إذا نظر ، ولسانه إذا نطق ، ويده إذا لمس . ألانت أم أمضت . ووطأت أم أقضت

ومن كتاب إلى عضد الدولة في فتح كرمان

وتآمروا على الوقوع إلى ناحية الجروم ، وأجنهم الليل فادرعوه مقنادين بخزائم أنوفهم ، إلى مصارع حتوفهم

ومن كتاب عنه في عود الطائع إلى بغداد والتقائه معه

ولما ورد أمير المؤمنين النهروان . أنعم بالإذن لنا في تلقيه على الماء فامتثلناه وتقبلناه . وتلقانا من عوائد كرمه . ونفحات شيمه . والمخائل الواعدة بجميل آرائه ، وعواطف إنحائه . ورعاية ما كفتانيمنه . وشابها عزه ، إلى أن وصلنا إلى حضرته البهيه ، ترفها الله تعالى في الجدثية الى استقلت منه بسليل النبوة وعميد الخلافة ، وسند الأنام . والمستنزل بوحيه در العصم

(١) توقل : صعد وعلا

فتكفأت علينا ظلال نوره وبشره ، وغمرتنا نجهات تفضله وفضله . وقرب علينا سنن خدمته ، وأنالنا شرف القعود بين يديه ، على كرسى أمر ينصبه لنا عن يمينه ، وأمام دسته ، وأوسعنا من جميل لقياه ، وكريم نجواه ، ما يسم بالعز أغفال النمم ، ويضمن الشرف فى النفس والعقب ، ويكفل من الفوز فى الدين والدنيا بغايات الأمل . وكانت لنا فى الوصول إليه ، والقعود بين يديه ، فى مواقع ألحاظه ، وموارد ألفاظه ، مراتب لم يعطها أحد فيما سلف ولم تجد الأيام بمثلها لمن تقدم . وسرنا فى خدمته على الهيئة التى ألقى شرفها علينا ، وحصل جمالها مدى الدهر لدينا ، إلى أن سار إلى سدة دار الخلافة والسعود تشايعه . والميامن تواكبه . وطلائع الآمال تشرف عليه . وثغر الإسلام ينسم إليه . فعزم علينا بالانقلاب معه على ضروب من النشريف ، لا مورد بعدها فى جلال ، ولا موقف وراءها لمذهب فى جمال . واجتلت الأعين من محاسن ذلك المنظر ، وتهادت الألسن من مناقب ذلك المشهد ، ما بهر بصر الناظر ، وعاد شمل الإسلام مجموعا ، ورواق العز ممدوداً ، وصلاح الدهماء مأمولا ، ونور الدين والدنيا مرقوبا

ومن كتاب عنه إلى أخيه مؤيد الدولة لما فتح جرجان :

وصل كتاب مولاى بذكر الفتح الذى ألبسه الله جماله ، والنجح الذى هرب الله عليه منال . والنعمة التى نبت عن متعاطيها فانتقلت إليه ، والمملكة التى اضطربت بمالكيها فقرت لديه

ومن كتاب عنه إلى أخيه مؤيد الدولة أيضا فى ذكر علة نالته من الحمى

ورد على الخبر بعارض من الحرارة ، وعك له سيدى مؤيد الدولة أيده الله تعالى . بعقب دواء ساوله ، واتصال ذلك بمليلة أزعجته ، وحمى نابته . فتصرفت فى الأفكار ، وملكنى الإشفاق ، وخلص إلى قلبى من ألم ماعراه

وإلى نفسى من وجل ماشكام — ماكاد يوحش جناب الأنس ، ويخل بشيمة الصبر ، لولا أن المعهود فى مثل هذا العارض يعقب الاستفراغ فى أكثر الأمر ، ثم تفضى عقباه إلى استقبال الصحة والإبلال والقوة ، حرس الله ساحته ، وحمى مهجته ، وأحسن الدفاع عنه !

ومن كتاب عنه فى ذكر وفاة ركن الدولة :

وقدكانت المصيبة نفرت سرب النعم ، ورنقت شرب الأمل . وأوحشت رباع المجد والكرم ، لولا ما عصم الله به ، وهدى له من تذكر النعمة فى ثروة العدد ، والبقية الحسنى فى الأخوة والولد ، ثم فى العزة والقدرة والسلطان والبسطة ، وفيما شد به الأعضاد ، فى إخوان الصفاء الذين سدى أيده الله تعالى ناظم شمل محاسنهم ، وفائت سبق أفاضلهم

ومن كتاب فى ذكر أبى تغلب :

وقد كان الفضنفر بن حمدان ، حين نفضته المذاهب ، ولفظته المهارب وأقلقته عن مجاثم المكايد والكتائب ، تطوح إلى بلاد الشام ، تنقل بين مصارع ، يحسبها مراتع . ومجاهل يعدها معالم . يروم انتعاشاً والجد خاذله ، ويبغى انتعاشاً والبغى طالبه

ومن كتاب إلى الأمير خلف بن حمدان :

وأما ما صحب فلاناً من ألطاف وأتحاف . فقد وصل وكان البعض منه كافياً فى البر ، وافياً بالحق . إلا أن سيدى يأبى إلا الإغراق فى اللطف فاعلا وفاعلا . لاأعدمه الله شيمة الفضل ، ولا أخلانى فيه من كرم العهد ، وبمن أقف فيه موقف العذر فى مخاطبة سيدى أن فلاناً ورد على . وقد ضاق ذرعه عن توفيته واجب حقه لاستمرار العزائم فى مصدر نواحى العراق . لإعادة ما ضيعت بها من ما السياسة ، وعمارة ما خربت من رواق الكفر والهوى . ضعف

المنن ، وانتكاث المرر ، وكتبت كتابي هذا وقد استقل في المسير ، مقدما بعون الله كتائب الرعب ، مستصحباً مفاتح النصر .

ومن كتاب في فتح ميا فارقين :

فأمرنا أبا الوفاء أن يلين مسه لأهل البلد ، إبقاء على ذلك الثغر من أن يصاب له ثغرة ، واتقاء لاراقة دم فيه شبهة

ومن كتاب آخر :

ولما ضاق عن هذا المخذول حلمنا باتساع غوايته ، ووعر الطريق إلى استبقائه ، استخرنا الله تعالى في استرجاع ما ألبسناه من النعم

ومن كتاب عن نفسه إلى مؤيد الدولة :

وصل كتاب مولانا جواباً عما خدمت به حضرته المحروسة ، مهنئاً ، فحسبتي — وقد تأملت عنوانه — مغلوطاً بي ، أو معنياً به غيري ، إعظاما لتلك الأيادي الغر ، والنعم الزهر ، التي أعددتها في الشرف مناسب ، وإلى الأيام والليالي ذرائع .

ومن كتاب عن عضد الدولة :

وزيد الآن عادة الألطاف بدوام تستكرم مناسبتها ، وتحمد مجابتها ، ويعرف عتقها في المنظر . وسرها في المخبر نرضاها لركابنا ، ونعتمدها باختيارنا عائدة بإحمادنا واعتدادنا

ما أخرج من إخوانياته

كتب إلى الصاحب : كتابي أدام الله عز مولانا وحالي — فيما أعاينه من تمثيل حضرته وتذكر خدمته ، والمواقف التي سعدت فيها برؤيته ، وأفدت من مشاهدته حظها ومقابلة نعم الله عليه وعلى الأدب وحزبه ، والكرم وأهله فيه — حال امرئ هب وقد أوردته الأحلام مناهل أمله ، فهو يتلهف تذكرا

ويتلذذ تحيرا . ويناجى النفس تمثلا ، ويـــــــلا . وأحمد الله تعالى على الأحوال كلها ، وأسأله قرب الإدالة ، والعقبى السارة ، وأقول [من الطويل]:

أقول وقلبى فى ذراك مخيم ... وجسمى جنيب للصبا والجنائب
يجاذب نحو الصاحب الشوق مقودى ... وقد جاذبتنى عنه أيدى الشواذب(١)
سق الله ذاك العهد عهدا من الحيا ... وتلك السجايا الغر غر السحائب
تذكرت أيامى بقربك والمنى ... يقابلنى بالعز من كل جانب
وفى ربعك الدنيا تزف عاسناً ... وتفتر منك عن ثنايا مناقب
وقد لحظت عيناى من شخصك العلا ... ومن فرعك الفينان أعلى المناسب
ومن لفظك الدر المصون ، ومن حيا ... محياك ما لم تجره كف خاطب
وأخلاقك الغر التى لو تجسمت ... لكانت نجوماً للنجوم الثواقب
فماضت على خدى سوابق عبره ... كما أسلمت عقدا أنامل كاعب
سلام على تلك المكارم والعلا ... تحية خل عن جنابك غائب
يكابد مالو كان بالسيف ما مضى ... وبالمزن لم تبلل لهساة لشارب
وإنى وإن روعت بالبين شائم ... طوالع عتبى من طلاع العواقب
وما أنا بالناسى صنائعك التى ... كتبن على الرق ضربة لازب

ابتدأت أطال الله بقاء مولاى الصاحب بكتابى هذا . وفى نفسى إتمامه نثرا ، فمال طبعى إلى النظم ، وأملى خاطرى على يدى منه ما كتبت ونعم المعرب عن الضمير مضمار القريض . وقد اقتصرت عليه من الكتاب ناطقاً عنى . واثقاً بما عنده لى . وأنا أسترعيه غيبه . وأستغطه عيبه . وكنت كنت

(١) الشاذب : المنحنى عن وجهه

المنن ، وانتكاث المـ[illegible]

إلى حضرته من أول [illegible] كر ما أودعه حر الفراق قلبي، وأزالته أيدى الأشواق من عزائم صـ[illegible]ـحى ، وتوقعت الجواب عنه فأبطأ ، وورد هذا الركابي خالياً من كتابه وكانت عادة كرمه جارية عندى بخلافه ، ولولا الثقة به وبما استفدته من اللقاء والخدمة، وحرمة الوفادة والهجرة من أذمة عهده لأبديت ما أخفيت من قلق وانزعاج ، لاختلاف العادة على ، ومولاى ولى صونى عن موقف الظن والرجم بالغيب ، فإنى مهتم فى خدمته على حسب الضن بها . ومنافسة كل أحد عليها ، إن شاء الله تعالى

ومن كتاب له إليه :

قد كان ورد لمولانا الصاحب أدام الله عزه [من الطويل] :

كتاب لو أن الليل يرمى بمثله ... لألقت يدا فى حجرتيه ذكاء
تهادى بأبكار المعانى وعونها ... وأعيان لفظ ما لهن كفاء
شوارد لولا أنهن أوالف ... ضرائر إلا أنهن سـواء
لبسنا بها نعمى وألبست الربا ... خمائل روض جادهن سماء
بنان ابن عباد تعلين نوره ... وما صوبه إلا حيا وحياء

وثلاث كتب تناظرت فى الحسن والإحسان ، وتقابلت فى البر والإنعام لازالت أياديه قلائد الأعناق . ومرامه مضامير السباق ولا انفكت عين الله حاميه له ، وكافلة به !

ومن كتاب له إليه :

وصف مولانا على ما كتبت به معرضا بخدمته . وبجلياً عن نيته ، فصدقه وحققه . وقال أدام الله سلطانه . إن لسان أنزه فى الفصاحة كلسان فلسه .

يتجاريان كفرسى رهان . وناهيك بالأول اشتهارا ووضوحا . وبالثانى غررا وحجولا . وكنا لمثل هذه الحال نعده ونعتمده ، ونتحجز عدات الفضل عنه . وحسبنا ما أفادتناه التجارب فيه كافلا بالسعادة ، ودرك الإرادة ، وما زالت مخائله وليدا وناشئا . وشمائله صغيرا ويافعا ، نواطق بالحسنى عنه وضوامن النجح فيه ، فقد أصبح الظن إيقانا ، والضمان عيانا . والتقدير بيانا ، والاستدلال برهانا . ونرجو أن الله يحسن الإمتاع به . والدفاع عنه ، كما أحسن الظن به وحقق الأمانى فيه

ومن كتاب

وقفت على الأبيات التى أتحفنى بها سيدى ، وتكلفت لجوابها . على ظلع فى خاطرى لطول السفار ، واتصال حالى بالحل والترحال ، ومولاى يأخذ العفو ويرضى بالميسور . ويعذر مسأتما على القصور فى جواب ما يأتينى من أمثاله ما دمنا فى ملكة الهواجر وتعب البكر والأصائل

ومن كتاب له إلى الصاحب فى فتح عمان وإفادة الزوج بها وما وصل إلى عضد الدولة من الغنائم :

وكانت لأولئك الكفرة عادة شهرت منهم فى استباحة الناس وأكل لحومهم . ويلمع من كلهم على ذلك أنهم كانوا يتعمدون بهم إذا شربوا كف الناس . وسأل مولاى عن هذا النقل العجيب فحكى له عنهم أنه لا شىء فى الإنسان أذل من كفه وبنانه . وكان فى ذلك اليوم الذى شارف فيه طلائع العسكر المنصور بعمان قتر من مصر لمكان صوام من أولئك الكلاب فكان بعض الجيش يقطع رءوسهم ويسمونها ويأكلونها فى الوقت ويتعجب الناس من صبرهم وقسوتهم وقد أظهر الله تعالى جده وظهر الرو لبحر

من عيثهم ومعرتهم ، فانقاد أهل جبال عمان باخعين بالطاعة، معتصمين بذمة الجماعة . وتمت نعمة الله على مولانا فى هـذا الفتح وكملت له مغانم الأجر ، ووصل أمس غنائم تلك الناحية وفيها فيل صغير بقدر الفرس ، ماعهد ألطف ولا أظرف منه ، وفى الغنائم كل ما تشتهى الأنفس وتلذ الأعين ،والله تعالى يجعل مولانا ثمار الأرض برا وبحرا ، سهلا ووعرا ، بمنه وكرمه آمين

ومن كتاب له إلى ذى الكفايتين أبى الفتح :

فأما استبطاؤه لعبده فى تراخى ما كان مستشرفا من جهته ، لعلمه من أخبار حضرة مولانا الملك وما عليه حاله فى مساورة الإشفاق ، ومسامرة الأفكار . إلى أن يعرف خبر الخيل المنصورة المصاحبة ركاب مولانا فى سلامتها من وقدة تلك الهواجر، ووعورة تلك المسالك . وما تولى الله تعالى مولانا به من كفايته . وأفاء عليه من ظل حفظه وحراسته . فقد وقفت عليه وكنت طالعت حضرته بكتب جمة تقربها العيون ، ويفاد بمثلها السكون . وانتظرت بالشرخ حال الاستقرار . واستجماع الدار . ليكون ما أطالع به ناهضاً بما أنحوه ، ومغنيا عما يتلوه ، من غير فكر فى عوادى الأسفار . وعواقب الحل والترحال . إلى ما اعتمدته من التخفيف لتكافؤ الأحوال بنا وبه فى المسير . ومناصبة الهجير . وأنا الآن أعود لعادتى فى خدمته ، واستعمار عهدى من رأيه بمواصلة حضرته

ومن كتاب له إلى أبى إسحاق الصابى :

علمت كيف تنتظم فرق البلاغة . وتلتئق طرق الخطابة . وتتراءى أشخاص البيان، وتتمايل أعطاف الحسن والإحسان. وقرأت لفظا جليا . حوى معنى خفيا. وكلاما وريا، رمى غرضا بعيدا. وفصولا متباينة . كساها الائتلاف صور

المشاكلة ، ومنحها الامتزاج صبغة المضارعة ، ولحمة الموافقة ، فصارت لدلالة الأول منها على الثانى ، وتعلق العجز بالهادى ، فيها أولاد أرحام مبرورة ، وذوات قربى موصولة ، تتعاطف عيونها ، وتتناصف أبكارها وعونها .

ومن كتاب له إليه :

وصل كتاب سيدى بكلام تشرف فى نفسه ، وكرم فى جنسه ، فهو جوهر الفضل والألفاظ أعراض ، وعنصر الأدب والمعانى أغراض . وفهمته فهم من فعدت به الاستطالة عن موقف الشكر فاستسلم ، واكتنفه العجز فسلم وسلم ، وأعيته العبارة عن موجب البر فلاذ بأكناف العجز ، واعترف بالقصور عن مفترض الحق

ومن كتاب له إليه :

وصل كتاب مولاى بما قرب إلى جناه ، وبعد على مداه . من محاسن لفظه ونظمه ، ومساره التى ما زال يؤثرنى فيهـــا بالرغائب ، ويصفينى منها بالعقائل . فوقفت منه بين اعتبار واقتباس ، واعتذار واغتباط ، واستبصار فى موضع الفضيلة . وشكر لما جمع الله لى فى وده من المنح الجزيلة . ووجدت خطابه مفتتحا بشكوى الأيام فى انحرافها ومكاره أحداثها ، فاستوحشت منها لاستيحاشه ، واستعديت عليها لاستعدائه . وشايعت المهجنين لآثارها ، والزارين على أحكامها ، لإعراضها دون آماله . وقدحها فى أحواله ولم يسبق الجمال لنفسه والفضل لأهله دهر أناخ على مولاى بصرفه ، واختزله دون واجب حقه ، وقد أجبت عن القصيدة وإن كنت أعمات فيها خاطراً قدمته السفر ، وكده الخمل والرحل ، وعلى مولاى المعول فى ضم نشره ، وتسديد مختله ، وحفظ غيبى فيه من تطويل :

وفيت أبا إسحاق من حافظ عهد ... وراع لمن يتبى فرقته ودا

(١) ٢١ ــ ٢ بتيمة ،

ومنفرد بالمكرمات تألفت عليه المعالى فاستقل بها مجدا
بلوت أخلاء الزمان وكلهم سواء فلا ذما منحت ولا حمدا
ومن يبغ صفو الود من كل صاحب يكن صبحه ليلا ومسعاته كدا
سواك أبا إسحاق إنك والندى لأوفاهم عهدا وأصفاهم عقدا
وأبعدهم فى كل مكرمة مدى وأنظمهم فى جيد مأثرة عقدا
تلاقت بنا الآداب فى خير منسب عليه تساقينا على ظمإ بردا
وألفن أرواح الصناعة بيننا فنحن معاً والدار نازحة جدا
ضلالا لدهر أنت من حسناته ولما تكن فى نيل إحسانه الفردا
لعاً إنه الدهر العثور وإنه لسيان من أجدى عليه ومن أكدى
يميل على ذى الفضل للجهل ضلة يجرعه سما ويبدى له شهدا
على أنه سلم لمن حل بالحمى حمى الملك المدعو للدولة العضدا

* * *

ما أخرج من شعره فى عضد الدولة

قال من قصيدة أولها من البسيط :

ما للنوى وقفت دمعى على الطلل واسودعتنى مطايا الحل والرحل
نرمى بطرفك فى أطرافها فترى ما فى الضمائر من غش ومن دغل[1]
أريتنا النقص فى رأى الأولى وصعو كرمان من حول عنها ومن فشل
بماثها الوشل مع تمرها الدقل ونصبها النطل وأهلها الهمل[2]
وكم تركت بها لناس من مثل وكم صدت على الأنصاب من مثل
يفدى مقامك عبد الخلق قاطبة ونحن نفديك بالأرواح والمقل

---

(١) الدغل : الافساد

(٢) الوشل : القليل ، والدقل : أردأ أنواع التمر ، والبيت ليس بتمام

وليس يثبت فى فرع العلا قدم ... إلا إذا ثبتت فى موضع الزلل
خلائق هذبتهن العلا فغدت ... بين الخلائق كالإسلام فى الملل
اسعد بوافد نيروز تقابله ... باليمن والعز والتأييد والجذل
واستأنف العيش مسرورا بجدته ... فى ظل عز مدى الأيام متصل

ومن قصيدة قال فى آخرها [من الوافر] :

وهاك تهز عطفيها اختيالا ... وتعجب كل مستمع ثناكا
تسير بها الرواة بكل أرض ... وتطرب من أحبك أو فلاكا
نظيرة تربها لفظاً ومعنى ... فدى لك من يقصر عن مداكا
وكل الشعر زور ما خلاه ... وكل الناس زور ما خلاكا

ومن أخرى فيه [من البسيط] :

الله أكبر والإسلام قد سلما ... وعاد شمل العلا والمجد ملتئما
وظل ملك بنى العباس معتلياً ... لما عدا ببغاة الحق مدعما
آل بويه أعلى الله رايته ... وشد من عضده ما كان منفصما
سادوا الملوك وشادوا المجد وابتدروا ... إلى ذرى أمد نال السهى تمما
هم قلادة عز أنت واسطة ... فيها . وكل بما قد قلته علما

ومنها فى وصف السيوف [من البسيط] :

بيض تصافح بالأيدى مقابضها ... وحدها صافح للعدو والتمم
تحكمن من خلل الأعماد مصلتة ... حتى إذا خضعت ضربا بكين دما
حمت خراسان شوقا إذ حمت بها ... حتى كأنك أرعتها رحم
واهتز منبرها يهمو إليك . ولو ... أطاق لاحترق تقبيلا والتزما
رفعت رايتك الآتى تحققها ... أمن يقين على كشف أجم
لا تنتحى بك لما أنصت بـ ... عدا وأحمت عنه الطير والسبعا

سامتك أبناء سامان فما بلغوا مدى من العز لم ترفع له علما
وناضلوك عن العليا فكنت بها أولى وأثبت منهم فى العلا قدما
وصاولوك فكانوا فى الوغى نقدا يأبى الصيال وكنت البازل القطما(١)

ومن عضدية فى وصف مجلس [من الطويل] :

فيا مجلسا عز الخلافة محدق بأقطاره والند والنور والخمر
وقد أرجت أرجاؤه وتعطرت بساطع نشر ما يقاس به نشر
وفتح فيه النرجس الغض أعيناً محاجرها بيض وأحداقها صفر
كأن الشموع المشعلات خلاله تواكل عبرى ما ينهنهها الزجر
إذا قطعت منها الرءوس تضاحكت وكان على قطع الرءوس لها بشر
ألا يا أمير المشرقين ومن به تفاخرت الدنيا وكان له الفخر
ولم تخلق الدنيا لغيرك فانتظر فهذا هو الفأل المحقق لا الزجر

وقال من سدقية [من المنسرح] :

مالى لمابى من الهوى رمق كأنما سد دونى الطرق
كأن نار الأمير ساطعة من نار قلبى استعارها السدق(٢)
فى ليلة باتت النجوم بها حائرة تمحى وتمحق
واحرط الليل فى النهار فما يؤنس إلا الصباح والشفق
بكل منشورة ذوائبها محمرة من نواظها الأفق(٣)

وقال فى السكر المسمى شيرار ، ويروى لغيره من الهزج :

سربا ذهباً يجرى تشاطى فضة تجرى

(١) الصيال : المواثبة والقتال ، والبازل : الجمل فى سنته التاسعة . والقطم : المتشهى للضراب
(٢) السدق : ليلة الوقود .
(٣) الشواظ : لهب لا دخان معه .

وما زلنا على السكر نداوى السكر بالسكر(١)
درينا كيف أصبحنا وأمسينا وما ندرى
وفاض الماء فيض البحر منصباً إلى بحر
كجدوى عضد الدو لة فى نائله الغمر

* * *

أبو أحمد عبد الرحمن بن الفضل الشيرازى

روضة مجد وشرف ، وحديقة فضل وأدب ، وكان أحد أركان الدولة الديلمية ، يكتب لمعز الدولة أبى الحسين برسم المطيع لله ، وينصرف بالعراق فى جلائل الأعمال ، ويلاحظ بعين الإعظام والإجلال . وكان آخذا بطرفى النظم والنثر . فمن مشهور شعره وجيده ما كتبه إلى القاضى التنوخى من الكامل] :

شوقى إلى القاضى المنيف بمجده شوق يفوت الوصف أين حده
وبحسب فرط الأنس كان بقربه فلق لما قد ساءنى من بعده
ولو أنى مما أحب بمكن لم أعد إغذاذا أسير لقصده
ووصلت آصال السرى بغدوها وفرت إرقال المطى بوخده(٢)
ولئن عدمت سعادتى بلقائه فلقد أقمت على رعاية عهده
وشكرت سالف بره وأشعت مح كم وده وقصدت راحب حمده
وعلمت أنى إن طلبت مشاكلا لعلاه لم تظفر يداى بنده
قصرت إخلاصى عليه تمسكا بإخائه محمى بمطلع سعده
من ذ يقاس إليه فى آدابه أو علمه أو هزله أو جده
وتذكرت أسرها فى حربه والصالحات جمعها من عنده

---

(١) السكر ـ بالكسر ـ ما يسد به فم النهر وجحاره .

(٢) الإرقال والوخد ضربان من سير الإبل . والمطى جمع مطية ، وهى هنا

بجميل شاهده وسالم غيبه وكريم صحبته وخالص وده
أفديه من حر حليف مناقب لولا تكامل فضله لم أفده
لم تجر أجواد الرجال إلى مدى للسبق إلا حاز نيل أمده
وكأن أضواء المحاسن كلها مقدوحة نيرانها من زنده
فالله يبقيه ويرغد عيشه ويعزه ويعيذنا من فقده

فأجابه القاضي بقصيدته وهي قوله [من الكامل] :

روحي فداؤك والورى من بعده جردت سيف صبابتي من غمده
عين الإمام وكفه اليمنى وحد حسامه المضاضي ووسطى عقده
كلف ببذل المال يحسب غنمه في عزمه ونموه في حصده
كالغيث في إحسانه والصبح في أضوائه والبدر لمة سعده
وجه يحول البشر فيه برونق ماء السماح يفيض من إفرنده(١)
منتقب بحيائه فكأنما شق الربيع شقيقه في خده
ومقابل من فارس في دوحه أوفت على محطانه ومعده
هو شد من أزر المكارم والعلا حدثاً ولم يبلغ أوان أشده
يعديه من نوب الزمان معاتر أحرارهم لا يلحقون بعبده
أبدت مقابحهم محاسن فعله والضد يظهر حسنه في ضده
ما كنت أعرف قدر ما خولته حتى بليت بفقره من بعده
جاءت ألوكته إلى كأنها وصل الحبيب اعتضته من صده(٢)
ففتحت حين فتحتها عن روضه متفتح حوذانها في ورده(٣)

---

(١) الافرند والفرند سواء ، وهما ماء السيف ورونقه
(٢) الألوكة : الرسالة
(٣) الحوذان : نبات

فقرأتها عوداً على بدء كما عاد المولى فى قراءة عهده
يا جنة الخلد التى أنا نازل ما بين كوثرها وطوبى خلده
لو أستطيع ركبت متن الريح أو أسريت نحو ذراك مسرى وفده
وهو الزمان فإن يساعد صرفه فنجده يسعى الفتى لا حكده

ولأبى أحمد المذكور فى وصف سحابة أدركته فاكتسى بكساء حتى أقلعت من المسرح] :

خرجت من عندكم فأدركنى سحابة جادات منظر صلف
عمامة كالعمامة ائتلفت فوق رؤوس المشاة فى السدف
تلقاها كف من يتاولها تقول للمرء ويك لا تقف
يخطف الأرض وقع صوبها مثل اختطاف المخالب العقف
فوقعه والكساء يدفعه وقع سهام الأراك فى الهدف
كأنما كل قطرة وقعت عليه در ندا من الصدف
لو أن ما دار منه يحمد لم يصلح لغير العقود والشنف
فيها من الرعد كالدماد والصبح إذا ما ضرن فى سرف
واشتعل البرق فى جوانبها مثل السيوف انتضين من غلف
قد جمعت حالتين فى طلق صوت عدو ودمع ذى لهف
لو كان كل لسان ذى عصر وصفه واجتهدت لم أصف

وكتب إلى الصاحب تشكو إليه علة القرس وعسر النفس . فقال من المتقارب

إلى الله أشكو ضنى مقعدى وكاهلة من ضنى مقعدى
وسقما ألح فما لى تب أحاصر حتى به يدان
ترانى وقد كنت ذات جلد أنفس حتى سئمت حياتى

أقطع آناءه بالأنين وأرقب للصبح وقت الأذان
أتقلى فى موضع موضع فحيث حللت نبا بى مكانى
أؤمل روحاً فيأتى النهار بأضعاف ما بت فيه أعانى
أقول أفيل فلا أستطيـ ـع من ألم ملحف غير وانى
فمن ليلة أرونانية ويوم بما ساءنى أرونانى
أرجى تقضى ما أشتكيـ ـه من مرض بتقضى الزمان
وإنى قد جزت حد الكهول وناهزت ما عمر الوالدان
وجرمت ستين تجسية فسدت على طريق الأمانى
وأوهت عراى وهدت قواى، وليس لما يهدم الدهر بانى
وإن كان لا يهتدى صرفه إلى أجل منسإ غير دانى
وكنت على تقسة أنه إذا شاء أبرأنى من برانى
فيامن له الخلق والأمر من بعافية منك تشفى ضمانى
وجد لى بأى أجل أو دنا بعفو وسعت به كل جانى
وهبنى لأحمد والمصطفى من آله أهل بيت الجنان
هم عدتى وبهم أتقى الـ معاد وأرجو خلود الجنان

فكتب إليه الصاحب مجيبا من المتقارب :

عنانى من الهم ما قد عنانى فأعطيت صرف البالى عنانى
ألفت الدموع وعفت الهجوع فعيناى عينان تضاختان
لسقم ألح على سيد به قد غفرت ذنوب الزمان
أحاط برجليه جورا عليه وأنى ونعلاهما الفرقدان
وكيف سطا بهما واستطال وأرض بساطهما النيران
وهلا تجاوزه قاصدا إلى عصبة عصبت بالهوان

إذا ما سعى لطلاب العلا فكل أوان هم فى توان
وسوّف توافيه كف الشفاء بما أنشأت باسمه من أمان
وتفقأ فيه عيون الزمان عزيز المحل رفيع المكان
ويبقى جمالا لأفرانه وقد قصروا عنه ألفى قران
أتتنى بالأمس أبياته تعلل روحى بروح الجنان
كبرد الشباب وبرد الشراب وظل الأمان وتيل الأمانى
وعهد الصبى ونسيم الصبا وصفو الدنان ورجع القيان
فلو أن ألفاظها جسمت لكانت عقود نحور الغوانى
فياليت عمرى فى عمره يزاد ولو أنه حقبتان
فيامهجة قدمت دونه بغانيه عند ذكر الغوانى
أجيب عن الشعر مسترسلا بطبع شجاع وقلب جبان
فلولا سكونى إلى فضله قبضت بنانى بقبضى لسانى

* * *

أبو القاسم على بن القاسم القاشانى

بقية مشيخة الكتاب المتقدمين فى البراعة ، المالكين لأزمه البلاغه المتوقلين فى هضاب المجد ، المترقلين فى درجات الفضل . وقد أخرجت من نظمه ونثره ما هو ثمرة العقل ، وعين القول الفصل

فصل — كتابى أطال الله بقاء مولاى وأنا متردد بين جدل تتجدد بره فى خطابه . وبين خجل من قوارع زجره وعتابه . فإذا خليت عنان أنسى فى رياض مساره ، مرتعت جاذبيته لاعج الإشفاق . فلو كان سوء ظنه بى صادقا لا اعترفت ، ولعدت منه بحقوى كريم لايهظه اغتفار الجرائم . ولا ينعاظمه الصفح عن الجرائر .

فصل ـ عاقت هذه المخاطبة والأشغال تسكنفني ، وكد الخاطر بأسباب شتى تقتسمني . ووراء ذلك كلال الذهن ، بارتقاء السن ، ونقصان الخواطر ، بزيادة الشواغل . واستمرار البلادة ، لمفارقة العادة . وهو والله يعيذه من السوء مقتبل الشباب ، زائد الأسباب ، مؤتنف المخايل ، متجدد الفضائل ، إلى علم لا يدرك مضماره ، ولا يشق غباره . فإذا حملني على مساجلته ، فقد عرضني للتكشف ، وإن عرضني على محنة التتبع ، فقد سلبني ثوب التجمل

فصل ـ أظلني من مولاى عارض غيث أخلف ودقه ، وشامني منه لائح غوث كذب برقه ، فقل في حران بمحل أخطأه النوء ، وحيران مظلم خذله الضوء .

فصل ـ وصل كتاب مولاى [من الطويل] :

فكم فرحة أدى وكم غلة جلا وكم بهجة أولى وكم غمـــة سلى

وسألت الله واهب خصال الفضل له . وجامع خلال النبل فيه ، وحائز جمال المروءة للزمان ببقائه ، ومانح كمال المزية للإخوان بمكانه ، أن يتولى حفظ النعم النفيسة ، ويديم حياطة المهج الخطيرة ، بصيانة تلك الشيم العلية ، حتى تستوفي المكارم أعلى حظها في أيامه ، وتحوز الفضائل أقصى غايتها في مضماره من الطويل] :

فينجح ذو فضل ويكمد ناقص ويبهج ذو ود ويكمد حاسد

فصل ـ وما أرتضي نفسي لمخاطبه مولاى إذا كنت منق الشواغل ، فارغ الخواطر ، مخلى الجوارح ، مطلق الإسار ، سليم الأفكار . فكيف بي مع كلال الجد ، وانغلاق الفهم ، وانسداد القريحة ، واستحجام الطبيعة . والمعول على النية ، وهي لمولاى بظهر الغيب مكشوفة . والمرجع إلى العقيدة ، وهي بالولاء المحض معروفة . فلا مجال للعتب بين هذه الأحوال ، كما لا مجال للعذر وراء هذا الخلال

فصل — مراتع أهل الفضل موبئة ، ووجوه مطالب النزاع مظلمة غير مضيئة ، إلا فى محل الشيخ الخصيب ، وفنائه المألف الرحيب ، لا جرم أن الآمال عليه موقوفة ، وأعنة الوراد إليه معطوفة ، وداره مقصودة ، وحاله مكدودة ، والمنهل العذب كثير الزحام .

فصل — إن كان أوداؤه فى فضله مستهمين ، وأولياؤه فى إحسانه فوضى مشتركين . فلى بحمد الله عفو صنائعه ، وصفو شرائعه . لا أسبق إلى جمامها ، ولا أنازع ثنى زمامها . فعلى حسب ذلك تصرفى وتجملى من أقسام مايحدث عنده ويعرض له ، هذا . وقد بلغنى من تشريف الأمير المؤيد إياه بالعبادة ، وإطالته عنده الإقامة ومعه المفاوضة ، ماأمكن فى نفسى ، وقوى ثقتى وأنسى ، فإنه لم يكن إلا سبباً لتجدد هذه النعمة ، وذريعة إلى لبس هذه الربة فالله الذى قرن لمولاى تيسير ماقد قاسى عظيم المجد الذى لايوازى ، وعميم الفخر الذى لايسامى ، ودل بقليل مامسه على كثير ماوعدت بباشير السعاده من مزيد الكرامة .

فصل — قد كان منزله مألف الأضياف ، ومأنس الأشراف ، ومنتجع الركب ، ومقصد الوفد ، فاستبدل بالأنس وحشة ، وبالنضارة غبرة ، وبالضياء ظلمة ، واعتاض من زاحم المواكب تلازم المآتم ، ومن ضجيج النداء والصهيل ، عجيج البكاء والعويل .

وله من كتاب إلى الصاحب أولها هذه الأبيات [من المسرح] :

إذا الغيوم أرجفن باسقها ... وحف أرجاءها بوارقها

وعيت نازى كتائبها ... وانتضت وسط عقائقها

وحلحل الرعد بنها فحكى ... حقق صوت أخ حققها

وابتسمت فرحة لوامعها واختلفت عبرة حمالقها(١)
وقيل طوبى لبلدة نتجت بحق أكنافها فوارقها(٢)
أية نعماء لاتحل بها وأى بأساء لاتفارقها
فليسق غيث الندى أبا القاسم ال قرم وزير الأيام وادقها
تحكى سجاياه هزة وندى وأين من خلقه خلائقها
ولتهد ريح الصبا محملة أنفاس طيب أمست تعانقها
فى روضة لا النعيم سابقها ولا نسيم الرياض لاحقها
جاور حوذانها بنفسجها وزان ريحانها شقائقها
هبت رخاء مريضة فشفت مرضى وشاق النفوس شائقها
لم تبق منه النوى سوى كبد تدمى وعين تجرى سوابقها
إنى وإن غالب الهوى جلدى صبراً لصادى الأحشاء خافقها
ذكرى لأيامنا التى غفلت عنها العوادى ونام رامقها
إذ النوى لاتروعنا وإذ ال أيام مأمونة بوائقها
والله لو أن ما أكابده بهضب رضوى خرت شواهقها

هذه أطال الله بقاء مولاى نتائج أريحية . أثارها مخاطبات مولاى التى هى أنقع لغلتى من برد الشراب ، وأعذب إلى من برد الشباب . فجاش الصدر بما أبرأ إليه من عهدته . وأسكنه ظل أمانه وذمته . ليسبل عليه ستر مودته ويتأمل بعين محبته . نعم وقد محا الزمان آثار إساءته إلى ، بما أسعفنى به من إقبال مولاى على . وتتابع بره فى مخاطباته لدى . فكل ذنب لهذه النعمة مغفور . وكل جناية بهذا الإحسان معمور .

(١) الحمالق : العيون .
(٢) الفوارق : جمع فارقة ، وهى الناقة يأخذها المخاض .

فأجاب الصاحب بكتاب صدره هذه الأبيات [من البسيط] :

بدت عذارى مدت سرادقها ... وأقسم الحسن لا يفارقها
كواعب أخرست دمالجها ... عنا وقد أنطقت مناطقها
خراعب حفها وصائفها ... تشى بأبدانهـــا قراطقها(١)
صينت عن العطر أن يطيبها ... إلا الذى حملت مخانقهـا
أم روضـة أبرزت محاسنها ... ومايى قطرهـا يعانقهـا
فأورد الورد غضنهـا بدعا ... وشق عن أرضها شـقائقها
وأعشت النـاظرين حليتها ... وشاق أحدافهم حدائقها
أم أشرقت فقرة بدائعها ... حديقـة زانهـا طرائقهـا(٢)
أتى بها بالكمال ناسجها ... وزانها بالجمال ناســقها
لله حلف العـلا أبو حسن ... وقد جرت للعلا سـوابقها
فحاز خصل الرهان عن كثب ... وفرجت عنـــده مضايقها
لله تلك الألفاظ حاملة ... غر معـان تعى دقائقهـا
يكاد إعجازها يشككها ... فى ســـور أنهـا توافقهـا
أهدى سلاماً حكى السلامة من ... أسقام سوء يخاف طارقها
كأنه دارنا ولم يرهـا ... ناعبها للنـــوى وناعقها
كأنها غفـلة الرقيب وقد ... مكنت من نظرة أسـارقها
أهديت منه مالو تحمله الـ ... أيام لم يستقل عاتقها
تحدو به صبوة ركائبها ... راتكة لا يميل سائقها(٣)

---

(١) الخرعبة : الحسناء فى بياض ونحن وضراوة . والقراطق : ضرب من الثياب (٢) الفقرة : نبات
(٣) راتك البعير : قارب بين الخطو

خذها وقد أحصدت وثائقها وألحقت بالسهى شواهقها
ناشدتك الله حين تنشدها وخسلة لا يخيل صادقها
إلا تعمدت رفع رايتها ليملأ الخافقين خافقها
نعم وعش فى النعيم ما طلعت شمس نهار وذر شارقها

هذه أطال الله بقاء مولاى أبيات علقتها والروية لم تعتلقها ، واعتنقت فيها والفكرة لم تعتنقها ، لا ثقة بالنفس ووفائها ، وسكونا إلى القريحة وصفائها . بل علماً بأنى وإن أعطيت الجهد عنانه ، وفسحت للكد ميدانه . لم أدان ما ورد من ألفاظ أيسر ما أصفها به الامتناع عن الوصف أن يتقصاها . والبعد عن الإطناب أن يبلغ مداها . ولقد قرع سمعى منها ما أرانى العجز يخطر بين أفكارى ، والقصور ينبختر بين أقبالى وإدبارى . إلى أن فكرت أن فضيلة المولى يشتمل عبده ويخيم ، وإن تصرفت عنده . فثاب إلى خاطر نظمت به ما إن طالعه صفحاً وجودا رجوت أن يحظى بطائل القبول ، وأن ينبعه نقداً تراجع على أعقاب الخمول . هذا ولا عار على من سبقه سباق الزمان . المستولى على قصب الرهان

* * *

ومن مشهور شعر على بن القاسم وجيده قوله [من الطويل] :

وإنى وإن قصرت عن غير بغضة لراع لأسباب المودة حافظ
وما زال يدعونى إلى الصد ما أرى وأبى فتنينى إليك الحفائظ
وأنتظر العقبى وأغضى على القذى ألاين طوراً فى الهوى وأغالظ
وأستمطر الإقبال بالود منكم وأصبر حتى أوجعتنى المغايظ
وجربت ما يسلى المحب عن الهوى وأقصرت والتجريب نسر، واعظ

الباب الخامس

فى ذكر شعراء البصرة ومحاسن كلامهم

القاضى التنوخى أبو القاسم على بن محمد بن داود بن فهم

من أعيان أهل العلم والأدب وأفراد الكرم . وحسن الشيم ، وكان كما قرأته فى فصل للصاحب : إن أردت فإنى سبحة ناسك ، أو أحببت فإنى تفاحة فاتك . أو افترحت فإنى مدرعة راهب . أو آثرت فإنى نخبة شارب . وكان يتقلد قضاء البصرة والأهواز بضع سنين ، وحين صرف عنه ورد حضرة سيف الدولة زائراً ومادحا ، فأكرم مثواه . وأحسن قراه ، وكتب فى معناه إلى الحضرة ببغداد . حتى أعيد إلى عمله ، وزيد فى رزقه ورتبته ، وكان المهلبى الوزير وغيره من وزراء العراق يميلون إليه جداً . ويتعصبون له ويعدونه ريحانة الندماء . وتاريخ الظرفاء ويعاشرون منه من تطيب عشرته . وتلين فترته . وتكرم أخلاقه . وتحسن أخباره . وتسير أشعاره . ناظمة حاشيتى البر والبحر . وناحيتى الشرق والغرب .

ويلعى أنه كان له غلام يسمى نسيم . فى نهاية الملاحة واللباقة . وكان يؤثره على سائر غلمانه . ويختصه بتقريبه واستخدامه فكتب إليه بعض من يأنس به يقول من الرمل] :

هل على من لامسه مدغم ... لاحظ لى الشعر فى ميم نسيم

موقع نحته . نعم . ولا ؟ !

ويحكى أنه كان فى جملة قضاة الدين يندمون وزير مهلبى ويجتمعون عنده فى الأسبوع يبتدئ على اطراح حشمته . ويباسطهم فى التصنع وخلاعته وفضل رحمة . وبسط معروفه وتقصى . وحسن رعايته . ولم يسمه إلا بعض

اللحية طويلها ، وكذلك كان الوزير المهلبي . فإذا تكامل الأنس وطاب المجلس ولذ السماع وأخذ الطرب منهم مأخذه ، وهبوا ثوب الوقار ، للعقار ، وتقلبوا في أعطاف العيش ، بين الخفة والطيش ، ووضع في يد كل واحد منهم كأس ذهب من ألف مثقال إلى ما دونها علوها تراباً قطربلياً أو عكبرياً فيغمس لحيته فيه بل ينقعها حتى تتشرب أكثره ، ويرش بها بعضهم على بعض ، ويرقصون أجمعهم . وعليهم المصبغات ومخانق البرم(١) والمنتور . ويقولون كلما يكثر تربهم هرهر . وإياهم عنى السري بقوله [من المنسرح] :

مجالس ترفص القضاة بها إذا انتشرا في مخانق البرم
وصاحب يخلط المجون لنا بشيمة حلوة من الشيم
تخضب بالراح شيبه عبثا أنامل مثل حمرة العنم
حتى تخال العيون شيبته شيبه فعلان ضرجت بدم

فإذا أصبحوا عادوا لعادتهم في الترمت والتوقر والتحفظ بأبهة القضاة وحشمة المشايخ الكبراء.

وقد أخرجت من غرر شعر النوحي ماهو من سرط الكتاب فمن ذلك وصف الليل والنجوم بقوله [من الخفيف] :

رب ليل قطعته بصدود وفراق ما كان فيه وداع
موحش كالتقيل تقذى به العيـ ـن وبالي حديثه الأسماع
وكأن النجوم بين دجاه سنن لاح بينهن ابتداع
متسرقات كأنهن حجاج تقطع الخصم والظلام انقطاع
وكأن السماء خيمه وشي وكأن الجوزاء فيها نراع
كان ليلا فصيرته نهاراً كتب نكبت العدى ورفاع

(١) البرم : نوع من الثياب .

وقوله [من السريع] :

كأنما المريخ والمشترى قدامه فى شائخ الرفعه
منصرف بالليل عن دعوة قد أسرجوا قدامه شمعه

وقوله (وعهدى بأبى بكر الخوارزمى يستظرفه) من الرجز] :

وجاء لاجاء الدجى كأنه من طلعة الواشى ووجه المرتقب
وفصل الظلام بالضياء ما يفعله الحرف بأبناء الأدب

وقوله من الطويل] :

كأن النجوم الزهر فى غلس الدجى سنا أوجه العافين فى سنة الرد
وقد أبطأت خيل الصباح كأنها بخيل نباطا حبس سيل عن الرفد

وقوله أيضا [من الطويل] :

وليلة مشتاق كأن نجومها قد اغتصبت عين الكرى وهى نوم
كأن عيون الساهرين لطولها إذا شخصت للأنجم الزهر أنجم
كأن سواد الليل والفجر صاحك يلوح ويخفى أسود يتبسم

وقال فى غور الكواكب عند الصباح من البسيط :

عهدى بها وضياء الصبح يطفئها كالسرج تطفأ أو كالأعين الغور
أعجب به حين واق وهى مبره قطل يطمس منها النور بالنور

وقال من سائر الأوصاف والتشبيهات من مجزوء الرمل :

بات يسقينى ويسرب دهبا نهبه مذهب
شادن يحمل ماء فيه نار تلهب
وردة ضاحكة عن أقحوان حين نفض
لو أدرناها على ميت لكان الميت هب
ليت شعرى أسرور أم عقار أم شرب

صب فى الكاسات منها كالسهاب المنصوب
فرأيت الراح شرقا ورأيت الهم معرب
عصن فوق كثيب ونهار تحت غيهب
لك منه مطرب يرضيك إن شئت ومضرب
حسنة عذبت فيها شجن وتجنب
هل رأيتم أحدا قسلى بالجنه عذب ؟
بأبى أنت وأمى من بعيد حين تقرب
لى قلب كيف ما قلبه الله يقلب
وجفون يغضب الغمض عليها حين يغضب
رب ليل كتجيبك مقيم ليس يذهب
قد قطعناه بعزم كالحريق المنلهب
وكأن البرق لما لاح فيه ينصب
كاتب من فوق فرع السعيم بالعقيار يكتب
وكأن الرعد حاد أو مساد أو متوب
ونجوم الليل وهى كلآل لم تنقب
وبدا الصبح كسيف فى يد الجوزاء مذهب

وقال ، وهو من قلائده [من المتقارب] :

وراح من الشمس مخلوقة بدت لك فى قدح من نهار
هواء ولكنه ساكن وماء ولكنه غير جارى
إذا ما تأملتها وهى فيه أملت نورا محيطا بسار
وما كان فى الحق أن يجمعا لبعد التدانى وفرط النفار
ولكن تعانس معناهما البسيطان فاتفقا فى الخوار

كأن المدير لها باليمين إذا مال للسق أو باليسار
تدرع ثوباً من الياسمين له فرد كم من الحلنار

وقال في وصف دجلة والقمر [من الكامل]

لم أنس دجلة والدجى معصوب والبدر في أفق السماء معرب
فكأنها فيه بساط أزرق وكأنه فيها طراز مذهب

وقال أيضاً في الروض [من الخفيف]

ورياض حاكت لهن الثريا حللا كان غزلها للرعود
نثر العيث در دمع عليها فتحلت بمثل در العقود
أقحوان معانق لشقيق كثغور بعص ورد الخدود
وعيون من نرجس تتراءى كعيون موصولة التسهيد
وكأن الشقيق حين بدى طلعة الصدع في حدود العيد
وكأن الندى عليها دموع في جفون معجوعة بفقيد

وقال في البرد [من البسيط

وليلة ترك البرد البلاد بها كثقب أشعر رأساً وهو متلوج
فإن بسطت يدا لم تبد حصر وإن تقل قل في فيه تلجلج
فحص منه ولم نحرس دوو حرس وحص منه ولم يفلح مفالح

وقال فيه أيضاً من البسيط]

أما ترى البرد قد وافت عساكره وعسكر حركيف صنع منطلق
والأرض تحت صريف الثلج تحسبها قد ألبست حبكاً أو عسلت ورق
فبعضها سار مجرى خمر كاسمها في لين ضوء وبعض قد جمد
جمد وبعض كثقب بعض حين بدا ورد فصير كثقب بعض ما عتق

وقال من قصيدة كثيرة العيون ، وكان الصاحب يفضلها على سائر شعره ، ويرى أنها من أمهات قلائده ! من الكامل ! :

أحبب إلى بهر محقل الذى ... فيه لقلبي من هموى معقل
عذب إذا ما عب فيه ناهل ... فكأنه فى ريق حب ينهل
منسلسل وكأنه لصفائه ... دمع بخدى كاعب يتسلسل
وإذا الرياح جرين فوق متونه ... فكأنه درع جلاها صيقل
وكأن دجلة إذ يغطمط موجها ... ملك يعظم خيفة ويبجل
وكأنها ياقوتة أو أعين ... زرق تلائم بينها وتوصل
عذبت فما تدرى أماء ماؤها ... عند المذاقة أم رحيق سلسل
ولها بمد بعد جزر ذاهب ... جيشان يدبر ذا وهذا يقبل
وإذا نظرت إلى الأبلة خلتها ... من جنه الفردوس حين تخيل
كم منزل فى نهرها آلى السرو ... ر بأنه فى غيره لا ينزل
وكأنما تلك القصور عرائس ... والروض فيه حلى خود ترفل
غنت قيان الطير فى أرجائها ... هزجا يقل له الثقيل الأول
وتعانقت تلك الغصون فأذكرت ... يوم الوداع وعيرهم تترحل
ربع الربيع به فاكت كفه ... حللا بها عقد الهموم تحلل
فدبيج وموشح ومدنر ... ومعمد ومحبر ومهلهل
فتخال ذا عيناً وذا ثغرا وذا ... خدا بعضض مرة ويقبل

وكتب إلى الوزير المهلبي ، وقد منعه المطر من خدمته [من الطويل] :

سحاب أتى كالأمن بعد مخوف ... له فى الثرى فعل الشفاء بمدنف
أكب على الآفاق إكباب مطرق ... بمفكر أو كالنادم المتلهف
ومد جناحيه على الأرض جانحاً ... فراح عليها كالغراب المرفرف

غدا البر بحراً زاخراً وانثنى الضحى بظلته فى ثوب ليل مسجف
يعبس عن برق به متبسم عبوس نحيل فى نبسم معنف
تحاول منه الشمس فى الجو مخرجا كما حاول المغلوب تجريد مرهف

أين هذا من قول ابن المعتز [من الوافر] :

تحاول فتق غيم وهو يأبى كعنين يريد نكاح بكر

رجع :

فأترع ماء قال وارد حوضه أسلسال ماء أم سلافة قرقف(١)
أنى رحمة للناس غيرى فإنه على عذاب ماله من تكشف
سحاب عدانى عن سحاب وعارض منعت به من عارض متكفكف

أخذه من قول الحسن بن وهب لمحمد بن عبد الملك وهو من الخفيف :

لست أدرى ماذا أذم وأشكو من سماء تعوقنى عن سماء
غير أنى أدعو على تيك بالثكـــل وأدعو لهـــذه بالبقاء

الجواب من الوزير المذكور [من الطويل] :

أنت رقعة القاضى الجليل فكشفت وساوس محزون الفؤاد ملهف
فأهدت نظاماً من قريض كأنه نظام لآل أو كونى مفوف
تكامل فيه الظرف والشكل مثلما تكامل فى مهديه كل النظرف
حوى منتهى الحسنى بأول خاطر يكلفه فى الشعر ترك التكلف

وقال فى وصف قصيدة [من مجزوء الكامل] :

وقصيدة ألفاظها فى النظم كالدر النثير
جاءت إلى كأنها التوفيق فى كل الأمور
بأرق من شكوى وأحـــــسن من حباه فى سرور
لو قابلت أعمى لأصـــــحى وهو ذو طرف بصير

---

١ القرقف : رنة حمراء — من سماء الخمر

فكأنهـــا أمل تحقـــق بعد يأس فى الصدور
أو كالفقيـد إذا أتت بقدومه بشرى البشير
أو كالمنـــام لساهر أو كالأمان لمستجير
أو كالشفاء لمدنف أو كالغنى عند الفقير
وكأنما هى من وصا ل أو شباب أو نشور
لفظ كأسر معاند أو مثل إطلاق الأسير
وكأنه إذ لاح من فوق المهارق والسطور[1]
ورد الخدود إذا انتقلـــت به على در الثغور
غرر غدت وكأنها من طلعة الظبى الغرير
من كل معنى كالسلا مة أو كتيسير العسير
كتبت بحبر كالنوى أو كفر نعمى من كفور
فى مثل أيام التوا صل أو كإعتاب الدهور
أهديتها باخير من يختار فى كرم وخير

وقال فى وصف كتاب من مجزوء الكامل] :

وافى كتابك مثلما وافى لمفقود بتسير
وكأنه الإقبال جا ء أو الشفاء أو النشور
وكأنه شرخ الشبا ب وعيشه الغض النضير
وافى وعير الليل وا قفة الركائب لا تسير
فأصاء لى من كل فـــج منه بدر مستنير
وارتد طرف الدهر عنى وهو مطروف حسير
ورأيت أفلاك السرو ر بكل ما أهوى تدور

---

(١) المهارق : جمع مهرق — بزنة اسم المفعول — وهى الصحيفة

وفضضته فكأنه أثواب وشى أو حرير
خط وقرطاس كأنهما السوالف والثغور
وكأنه ليل يلو ح خلاله صبح منير
ما بين خط كالحما ة إذا استتب لها السرور
وبدائع تدع القلو ب تكاد من طرب تطير
فى كل معنى للنهى بحويه محتاج فقير
أو كالفكاك نناله من بعد ما يأس أسير
أو كالسعادة أو كما يتيسر الأمر العسير
فاسلم ودم ما دام ذو سلم وما أرسى ثبير[1]

وكتب إلى أبى أحمد بن ورقاء قصيدة أولها مستحسن جداً وهو [من الطويل]

أسير وقلبى فى هواك أسير وحادى ركابى لوعة وزفير
ولى أدمع غزر بفيض كأنها حدائق فى العافين منك غزير
وطرف طريف بالسهاد كأنه هلال وجنتى الجود فيه نقير
رياضكم حضر يرف نباتها وبوءكم رطب السحاب مطير
وجوه كأن الحسن رقه وثكنها يوم الهياج صحور

وكتب إلى بعض أصدقائه قصيده منها [من الطويل]:

كتبت ولى بالسهاد نهار وصدرى لوراد الهموم صدار
ولى أدمع غزر بفيض كأنها سحائب فاضت من يديك غزار
ولم أر مثل الدمع ماء إذا جرى لنيب منه فى المدامع نار
رحلت ورادى لوعة ومصيبتى جوانح من حر الفراق حرار
يسير فؤادى الليل سراً وجهرة ويسعى إليه بالعقود إسار

---

[1] ثبير موضع بمكة وقيل جبل بمنى وقيل غير ذلك ياقوت

إذا رمت أن أنسى الأسى ذكرت به ديار لها بين الضلوع ديار
لك الخير عن غير اختيارى ترحلى وهل لى على صرف الزمان خيار
وهذا كتابى والجفون كأنما تحكم فى أشفارهن شفار

الغزل من شعره

قال [من الكامل] :

حور بعينيه أطال تحيرى ترك الدموع كخده المتحصر
غصن تأود فوق دعص من نقا ليل يبلج عن نهار مسفر
كالشمس إلا أنه متنفس عن مسكة متسم عن جوهر
وأطال من ليلى وقصر ليله أنى سهرت وأنه لم يسهر

وقال أيضاً [من مجزوء الرمل] :

بأبى وجهك لو أشـــبهه منك الصنيع
أنت بدر ماله فى فلك الوصل طلوع

وقال أيضاً [من الطويل] :

رصاك شاب لا يليه مشيب وسخطك داء ليس منه طبيب
كأنك من كل النفوس مركب فأنت إلى كل النفوس حبيب

وقال فى أمرد جسيم [من البسيط] :

قالوا عشقت عظيم الجسم قلت لهم الشمس أعظم خرم حازه الفلك
من أين أستر وجدى وهو منهتك ما للنسيم فى فتك الهوى درك

وقال فيه من الوافر] .

بدت تحاكه الغصن النجيب ودبت سوى ذماء فى صعيف
بحورى المحاسن والمعانى وإنسى المحايل والأليف
له فى كل عضو دعص رمل يقيل الحسم ذو روح خفيف

أعشق لاعشقت أخا نحول سوى أنى أخو الخلق الظريف
إذا لمسته كفى لم تلامس سوى جلد على عظم نحيف

ومما أنشدت له ، ولم أجده فى ديوانه من السريع :

ملت لأصحابى وقد مر بى منتقباً بعد الضيا بالظلم
بالله يا أهل ودادى قفوا كى نبصروا كيف تزول النعم

* * *

ابنه أبو على المحسن ابن القاضى [التنوخي]

هلال دلك القمر ، وغصن هايك الشجر . والشاهد العدل لمجد أبيه وفضله ، والفرع المنيل لأصله ، والنائب عنه فى حياته ، والقائم مقامه بعد وفاته ، وفيه يقول أبو عبدالله بن الحجاج [من الوافر :

إذا ذكر القضاه وهم شيوخ تخيرت الشباب على الشيوخ
ومن لم يرض لم أصفعه إلا بحضرة سيدى القاضى التنوخى

وله كتاب الفرج بعد الشدة ، وناهيك بحسنه ، وإمتاع فنه ، وماحوى من الفأل بيمنه ، لا جرم أنه أسير من الآمال ، وأسرى من الخيال

أخبرنى أبو نصر سهل بن المرزبان أنه رأى ديوان شعره بمقدار أكبر حجما من ديوان شعر أبيه ، وأن بعض العوائق حال بينه وبين تحصيله حتى فاته ، واشتد الأسف عليه ، ولو تقدر له استصحابه كسائر الدواوين البديعه لكنت أتفسح فى الانتخاب منه ، ولكنى الآن مقل من شعره ، وسيقع لى ما أتبكتر به وألحق المختار منه بمكانه من هذا الباب بمشيئة الله تعالى وعونه ومما علق بحفظ أبى نصر المذكور وأنشدنيه لنفسه أبى على قوله ، وهو معنى طريف ماأراه سبق إليه ، و[illegible]

[illegible] أن يجمع الأرض

فلما انتدا يدعو بقشعت الدنيا فما ثم إلا والعمائم قد انعصا

وأنشدني غيره له، وأنا مرتاب به لفرط جودته، وارتفاعه عن طبقته. [من الطويل]

أقول لها والحي قد قطنوا بنا ومالي على أيدي المنون براح
لما ساءني أن وحشني سيوفهم وأنك لي دون الوشاح وشاح

ومما أنشده لنفسه في كتاب الفرج بعد الشدة من الطويل

لئن أشمت الأعداء صرفي ورحلتي فما صرفوا فضلي ولا ارغم الحسد
مقام ورحال. وقصر وبسطة كذا عاده الدنيا وأخلاقها الكدر

كأنه نسج على منوال المتنبي حيث قال من الطويل

على ذا مضى الناس. اجتماع وفرقة وموت ومولود وقال ووامق

ومما نسب إليه قوله لبعض الوزراء في التهنئة بشهر رمضان من الخفيف

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

ابن لنكك البصرى ، أبو الحسن محمد بن محمد

فرد البصرة وصدر أدبائها وبدر ظرفائها فى زمانه ، والمرجوع إليه فى لطائف الأدب وظرائفه طول أيامه . وكانت حرفة الأدب تمسه وتجشمه ، ومحنة الفضل تدركه فتخدشه ، ونفسه ترفعه ، ودهره يضعه . واتفق فى أيامه هبوب الريح للمتنبي ، وعلو رتبته ، وبعد صيته ، وارتفاع مقدار أبى رياش اليمامى ، وسمو نجمه ، ونفاق سوقه ، وفوزهما بالمراتب والحظوظ دونه وسعادتهما من الأدب بما شق به ، وحصل أبو الحسن على ثلبهما ، والتشفى بذمهما ، والقعود تحت المثل السائر ، أوسعتهم ذما وأودوا بالإبل ، وأكثر شعره ملح وظرف ، خفيفة الأرواح ، تأخذ من القلوب بمجامعها . وتقع من النفوس أحسن مواقعها . وجلها فى شكوى الزمان وأهله ، وهجاء شعراء أهل عصره . وما أشبه شعره فى الملاحة وقلة مجاوزة البيتين والثلاثة ، إلا بشعر كتيبه أبى الحسن بن فارس . وأقدر أنه فى الجبال ، كهو فى العراق . وكان يقال فى منصور الفقيه : إذا رمى بزوجيه فتل ، وكذلك ابن لنكك إذا قال البيت والبيتين والثلاثة أغرب بما جلب وأبدع فيما صنع . فأما إذا قصد القصيد فقلما يفلح وينجح . وبلغنى أن الصاحب كتب على ظهر جزء من شعر ابن لنكك من المجتث [.

شعر الظريف ابن لنكك مسذب وحكك
مذهب وعسك بمثله ينمسك

* * *

ما أخرج من شعره فى الشكوى ، وذم الزمان وأهله

من المجتث [من مخلوع الرمل] :

يا زمانا أنس الأحـ ـرار دلا ومنه

لست عندى بزمان إنما أنت زمانه
كيف نرجو منك خيراً والعلا فيك مهانه
أجنون ما نراه منك يبدو أم بجنانه

وقال أيضا [من الطويل] :

زمان رأينا فيه كل العجائب وأصبحت الأذناب فوق الذوائب
لو أن على الأفلاك مافى نفوسنا تهافتت الأفلاك من كل جانب

وقال أيضا [من الوافر] :

عجائب فى زمانك شاهدات على خرف من الفلك المحيط
يرى متيقظاً ما لا يراه إذا ما نام آكل فنيط

لأنله خاصية فى توليد السوداء ، ويرى أحلاما ردية .

وقال [من المنسرح] :

عجبت للدهر فى تصرفه وكل أفعال دهرنا عجب
يعانق الدهر كل ذى أدب كأنما مالك أمه الأدب

وقال أيضا [من الطويل] :

يقولون لى أصحت فى العلم واحداً وفى الشعر والآداب مالك ثانى
فقلت صدقتم أيها الناس إننى كذاك ولكن فى حمار أم زمانى

وقال أيضا [من الوافر] :

مضى الأحرار وانقرضوا وبادوا وخلفنى الزمان على عجوج
وقالوا قد لزمت البيت حتى فقلت لعقد فائدة الخروج
لئن أبقى إذا أنصرف فيهم قروداً راكبين على السروج
لعمرك عز فيه الجود حتى تعالى الجود فى أعلى البروج

وقال فى المعنى [من البسيط] :

جار الزمان علينا فى تصرفه ... وأى دهر على الأحرار لم يجر
عندى من الدهر ما لو أن أيسره ... ملق على الفلك الدوار لم يدر

وقال أيضا [من الخفيف] :

نحن والله فى زمان غشوم ... لو رأيناه فى المنام فزعنا
يصبح الناس فيه من سوء حال ... حق من مات منهم أن يهنا

وقال أيضا من البسيط :

لا مكث الله دنيانا فقيمتها ... ليست تزن عند ذى عقل بقيراط
دنيا تأبت على الأحرار عاصية ... وطاوعت كل صفعان وضراط

وقال [من الوافر] :

زمان قد تفرع للفضول ... يسود كل ذى حمق خمول
فإن أحسنتم فيه ارتياحا ... فكونوا جاهلين بلا عقول

وقال أيضا [من البسيط] :

إن أصبحت همتى فى الأفق عالية ... فإن حظى بطن الأرض ملتصق
كم يفعل الدهر فى ملا أسر به ... وكم يسىء زمان جائر خرق
كم نصحه لى على الأيام من صعر ... كاد من حرصه لا يملأ الحدق

وقال أيضا [من المنسرح] :

نحن من الدهر فى أعاجيب ... فسأل الله صبر أيوب
أقعد الأرض من مجالسه ... فالك عليها كلاء يعقوب

وقال أيضا من الكامل :

ذهب الذين يعاش فى أكنافهم ... وبقيت فى خلف لا أكناف
بطالس وقلالس محشوة ... بتخاسروا قلة الإنصاف

ما شقت من حلل وفره مراكب أبواب دورهم بلا أجواف

وقال أيضا [من المنسرح]:

لا تخدعنك الضحى ولا الصور تسعة أعشاره من ترى بقر

تراهم كالسحاب منتشراً وليس فيه لطالب مطر

فى شجر السرو منهم مثل له رواء وماله ثمر

كأنه أخذه من قول ابن الرومى ، من الخفيف ، :

فغدا كالخلاف يورق للعين ويأبى الإثمار كل الإباء

وقال أيضا [من الكامل] :

يا طالباً بالعلم حظاً مسعدا فذا الزمان رأيت رأى مخرق

إنفاق علم فى زمان جهالة ترجو ودهر عمى وسخف مطبق

كن ساعياً ومصافعاً ومضارطاً تنل الرغائب فى الزمان وتنفق

أو ما رأيت ملوك عصرك أصبحوا ينجملون بكل فاض أحمق

لا تلق أشياء الخبير بحكمه موه عليهم ما قدرت وحرف

وقال أيضا [من المسرح] :

لم يبق حر إلـه يختلف بل كل ندل عليه محتلف

يا فلكا دار بالنذالة والجهـل إنك كم تدور يا حرف

فعاقل ما يبل أنملة وجاهل بالدين يعترف

وقال أيضا [من الطويل] :

لعنتم جميعاً من وجوه لمدة بكمهم جهل ولؤم فأفرطا

وإن رماه أنتم رؤساؤه لأهل لأن يجرى عليه ويضرطا

أراكم عيون النساء وإنى أراكم نطوف اللؤم أهدى من القطا

وقال أيضا

عدنا فى زماننا عن طريق المكارم
من كنى الناس شره فهو فى جود حاتم

* * *

ما أخرج من شعره فى الهجاء لأبى رياش

كان أبو رياش باقعة فى حفظ أيام العرب وأنسابها وأشعارها . غاية بل آيه فى هذا(١) دواوينها وسرد أخبارها ، مع فصاحة وبيان ، وإعراب وإتقان ، ولكنه كان عديم المروءة ، وسخ اللبسة ، كثير التقشف ، قليل التنظف . وفيه يقول أبو عثمان الخالدى [من الرجز] :

كأنما قل أبى رياش ما بين صئبان قفاد الفاشى
وذا وذا قد جخ فى انتفاش تهدايج بدد فى حشحاش

وكان مع ذلك شرها على الطعام ، رجيم شيطان المعدة ، حوق الالتقام ، وثعبان الالتهام ، سيء الأدب فى المواكلة . دعاه أبو يوسف اليزيدى والى البصرة إلى مائدته يوما ، فلما أخذ فى الأكل مديده إلى بضعة لحم فانتهشها ، ثم ردها إلى القصعة . فكان بعد ذلك إذا حضر مائدته أمر بأن يهيأ له طبق ليأكل عليه وحده .

ودعاه يوما الوزير المهلبى إلى طعامه ، فبينما هو يأكل معه إذ امتخط فى منديل الغمر ، وبزق فيه . ثم أخذ زيتونه من قصعة فغمزها بعنف حتى طفرت وثبا فأصابت وجه الوزير . فتعجب من سوء شرهه ، واحتمله لفرط أدبه .

وفى شره أبى رياش يقول من نسكك ما هو فى نهايه الملاحة وحسن التعريض [من الوافر] .

يطير إلى الطعام أبو رياش مبادرة ولو وراءه قبر

(١) هذا هند : سرعة القراءة .

أصابعه من الحلواء صفر ولكن الأخادع منه حمر

وأنشدني أبو عبد الله محمد بن حامد الخوارزمي ، قال : أنشدني الصاحب لابن لنكك في أبي رياش وكان يطعن على أبي نواس وأبي تمام [من الطويل] :

يقول : ابن هانئ أفسد الشعر صنعة وشعر أبي تمامكم هو أضيع
أما الريش . ياصفعان، صفعك واجب ولكن مضى من كان في الله يصفع

وقال أيضا [من البسيط] :

أبو رياش بغى والغي مهلكة فشددوا العين ترموه بآبدته
عبد دليل هجا للحين سيده تصحيف كنته في صدع والدته

وقال فيه أيضا [من الكامل] :

أأبا رياش يامسيح المنظر يا معشراً سعى إلى مسكر
تصحيف كنيتك التي كنيتها في است التي حملتك تسعة أشهر

وقال فيه أيضا [من الكامل] :

بلغت أن أبا رياش قد حوى عن اللعاب وفاق فيما يدعي
من يخبري عنه فإني سائل من كان حكم بابر الأصمعي

وقال فيه أيضا [من الوافر] :

على القبح المطيع أبو رياش يعاشرنا بأخلاق ملاح
يبيح أكلما أبداً فساد فصفعه على جهة المزاح

وقال فيه وقد ولي عملا بالبصرة [من الكامل] :

هل للوصيع أبي رياش لا بل ته كل يهك بالولاية والعمل
ما أردت حين ولت إلا حسنة كما كلب أبخس مايكون إذا اغتسل

ما أخرج من هجائه لجماعة من الأدباء والشعراء

أما هجاؤه للمتنبي فقد أوردته فى أخباره . ولا وجه لإعادته . وقد كان ورد البصرة من ديار ربيعة شاعر يكنى أبا الهيذام كلاب بن حمزة ، وكان ابن لنكك يتولع به ويبدع فى هجائه ، كقوله فيه [من البسيط] :

نفسى تفيك أبا الهيذام كل أذى ... إنى بكل الذى ترضاه لى راضى
ما بال جسمك مركوبا على ذكرى ... يا أكرم الناس من باق ومن ماضى[1]؟
ما كان أيرى فقيهاً إذ ظفرت به ... فكيف ألبسته دنية القاضى ؟

وقال فيه أيضاً من الوافر :

حوى يوماً أبو الهيذام أيرى ... وذاك بمثله أبدا حرى
فبرنس رأسه بالجعس حتى ... تنكر منه لى خلق وزى
فقلت هديت لم برنست أيرى ... فقال لأن أيرك قرمطى

وقال أيضاً من البسيط :

أنت ابن كل البرايا لكن اقتصروا ... على اسم حمزة وصفا غير تشميخ
كدار بطيخ تحوى كل فاكهة ... وما اسمها الدهر إلا دار بطيخ

وقال أيضاً [من الكامل] :

يا من تطيب وهو من حرق استه ... فلق يكابد كل داء معضل
فشل الصيال وما عهدنا دبره ... هذ كان يفشل عن صيال الفيشل
وأراه فى الكتب الجليلة زاهدا ... لا يستجيد سوى كتاب المدخل
فلثته ونثمت فاه مسبا ... لثم الصديق فم الصديق المجمل
فدنا إلى على المكان وقال لى ... أفديك من منشوق متغزل
إن كنت تلثمنى بحق فاسقنى ... لبن عطنت فى فى من أسفر

---

(١) الجعس : الرجيع

وقال فى الرملى الشاعر [من الوافر] :

لأم الشاعر الرملى صدغ صبور ما علمت على الدباغ
فرغت ولم تكن فرغت فرامت إدامة نيكها حتى الفراغ
فقلت لها فديتك لا تجوري فليس على الرسول سوى البلاغ

وقال فيه أيضا [من الرجز] :

إن الرميلى بليد خاطره يشعر ما دامت له دفاتره
فالشعراء كلهم خواطره

وقال فيه أيضاً [من مجزوء الرمل] :

حلف الرملى فيما اقـــتص عنى وحكاه
يدعى يوم اصطلحنا أننى قلت فاه
لم أقبل فاه لكـــن قلت بعـــلى فضاه

وقال فى المبرمان النحوى [من الوافر]

صداع من كلامك يعترينا وما فيه لمستمع بيان
مكابرة ومخرقة وبهت لقد أبرمتنا يا مبرمان

ما أخرج من شعره فى النزل والشراب

قال [من الوافر] :

حبيب جعونى فرص عليه مفرى فى الهوى منه إليه
إذا لحظاته قتلت بحـ شحط منه فى دم وحنيه

وقال أيضاً من الوافر]

أتطمع أن تحب ولا حمون مؤرقه ولا قلب جريح
فأين هوى يذوب به وتبلى أراك تظن أن الزمر ريح

وقال أيضاً [من الوافر] :

وروض عبقرى الوشى غض يشاكل حين زخرف بالشقيق(١)
سماء زبرجد خضراء فيها نجوم طالعات من عقيق
خليلى اسقيانى الراح صرفا إذاً وحريق قلبى بالرحيق
ذراني قبل أن ألقى حمامى أشوب بريق من أهواه ريق

وقال أيضاً [من الخفيف] :

قد شربنا على شقائق روض شربت عبرة السحاب السكوب
صبغت من دم القلوب فما تبصر إلا تعلقت بالقلوب

وقال أيضا [من المنسرح] :

أمر غد أنت منه فى لبس وأمس قد فات فاله عن أمس
وإنما العيش عيش وقتك ذا فبادر الشمس بابنة الشمس

وقال أيضا [من الوافر] :

أقول لصاحبى والراح روح لجسم الكأس فى كف النديم
وقد حبس الدجى عنا بوابك تسيل نفوسها فوق الجسوم
ونحن من المسرة فى سماء فمن سارى الضياء ومن مقيم
شموعك والكؤوس مع الندامى نجوم فى نجوم فى نجوم

وقال فى قلة شربه وسرعة سكره [من الوافر :

فديتك لو علمت ببعض ما بى لما جرعتنى إلا بمسعط
فحسبك أن كرما فى جوارى أمر بسابه فأكاد أسقط

وله فى مثل ذلك من المجتث :

لو أننى مسعطى شربت ما شئت حيناً

---

(١) الشقيق : زهر أحمر كشقيقة نعمان

لكننى عهدى فاعرف حديثى يقينا
قرأت عهدة كرم فكان سكرى سنينا

وقال أيضاً [من مجزوء الرمل] :

أيها الشيخ الذى بر ز قدما فى السياده
والذى أعطاه أهل الـ أرض فى السبق المقاده
وأقر الكل منهم أنه عين القلاده
أنا يكفيى من المد ح بروب ما يكفى جراده
وحديثى طال فيه مثل تفسير قتاده
وهو إبرام ونقض فاكفنى فيه الإعاده

* * *

ما أخرج من ملحه فى سائر الفنون

قال [من الطويل] :

تولى شباب كنت فيه منعماً تروح وتغدو دائم الفرحات
فلست تلاقيه ولو سرت خلفه كما سار ذو القرنين فى الظلمات

وقال [من الطويل] :

فراق أخلائى الذين عهدتهم يوكل قلبى بالهموم اللوازم
وما ذا أرجى من حياة تكدرت ولو قد صفت كانت كأضغاث حالم

وقال أيضاً [من الكامل] :

كرب يحولى وهو من فرط الأسى يمراق إخوان على كرام
وتعجبت للشيب . لا يمحى هذا غبار وقائع الأيام

وهو مأخوذ من قول ابن المعتز [من الكامل] :

قالت كبرت وشبت قلت لها هذا غبار وقائع الدهر

وقال أيضاً [من الوافر] :

إذا خفق اللواء على يوما ... وقد حمل امرؤ القيس اللواء
رجوت الله لا أرجو سواه ... لعل الله يرحم من أساء

وقال أيضاً [من البسيط] :

إذا أخو الحسن أضحى فعله سمجاً ... رأيت صورته من أقبح الصور
وهبك كالشمس فى حسن ألم ترنا ... نفر منها إذا مالت إلى الضرر

أخذه الصاحب فقال [من المتقارب] :

يقال تركت الذى حسنه ... يكاد يخجل شمس الضحى
فقلت وشمس الضحى تحتمى ... إذا بسطت فى المصيف الأذى

وقال أيضاً من مجزوء الرمل :

نحن بالبصرة فى لو ... ن من العيش ظريف
نحن ما هبت شمال ... بين جنات وريف
فإذا هبت جنوب ... فكأنا فى كنيف

وقال أيضاً [من مجزوء الرمل] :

ليس فى البصرة حر ... لا . ولا فيها جواد
إنما البصرة أثـ ... ـل ونخيل وسماد [1]

ابنه أبو إسحاق إبراهيم

شاعر مجيد . لم يتصل بى من شعره غير ما أنشدته له معارضاً قول أبيه من السريع :

وعصبة لـ ... ـم وسطهم ... صرت على الأرض كخاتم

---

[1] الأثل : جمع أثلة . وهو خشب وشجر قسى

كأنهم من سوء أفهامهم لم يخرجوا بعد إلى العالم
يضحك إبليس إذا زارهم لأنهم عار على آدم

بقوله [من السريع] :

لا تصلح الأرض ولا تستوى إلا بكم يا بقر العالم
من قال للحرث خلقتم فلم يكذب عليكم لا ولم يأثم
ما أنتم عار على آدم لأنكم غير بنى آدم

وقال أيضا [من السريع] :

وليلة أرقنى طولها فبتها فى حيرة الذاهل
كأنما اشتقت لإفراطها فى طولها من أمل الجاهل

وقال أيضا [من المنسرح] :

يا سفلا أوقظوا بختهم لكن عن الجود والندى ناموا
لا تكذبوا صح أنكم نعم عندكم للزمان أنعام

* * *

أبو عبد الله الحسين بن على النمرى

صاحب أبى رياش وابن لنكك ، وكان من صدور البصرة فى الأدب والشعر . وقد جمع الحفظ الكثير الغزير ، والعلم القوى القويم ، والنظم الظريف المليح .

فما سار من ذلك قوله من قصيدة فى ذى الكفايتين أبى الفتح ، وكان ورد عليه الرى فأحسن إليه ووصله بصلة حسنة فيها دراهم فى كل درهم منها خمسة دراهم وفيها أيضاً دنانير كل دينار منها بخمسة دنانير ، واستهلالها [من الكامل] :

واهاً لأيام الصبابة واها بل آه من تذكارهن وآها
فإلى الحرينة فالجنينة فالرقى معنى الأحبة حذا معناها[1]
روض كلفت بنوره ونوره ورقى ألفت هواءها وهواها

(١) الحرينة ، والجنينة : موضعان .

أصبو إلى أترابها وترابها ومهاة عيشى فى ظلال مهاها[1]
فيهن شمس لا تروم عيوننا حذر العيون سناءها وسناها
غمرية من دونها متنمر أخشى شباه تاره وشباها
ماذا على الغر الكرام عشيرتى لوضم بيد فتانها وفتاها
فتيان صدق كالشموس تعودت قنص النفوس ظباؤها وظباها
يامن لنفس شطرها فى بلدة بذرى العراق وشطرها بسواها
ظمئى إلى حو الشفاه، وإنما حو الشفاه سقامها وشفاها[2]
ظمأ الهمام إلى المكارم والعلا وقد ارتوى منها كما أرواها
وجلست فى النادى الذى حاز الندى من جنه دان إلى جناها
دار عرفت بها معانقة الكرى وأخذت حظى لهوها ولهاها
عاتبت مكرمة الزمان فأعتبت فيها وناجيت السرور شفاها
ملك أغر وبركة لجبينه فى روضة تعطى العيون رضاها
يحبوك ذا المال الجزيل وهذه ماء المعين وهذه رياها
روض إذا جرت الرياح مريضه فى زهره استشفت به مرضاها
وإذا تقابلت الندامى وسطه سكر الصحاة كما صحا سكراها
يتسلسل الماء الزلال حلاله فتحاله أخبت حقب سراها
تتسل أو تنساب غير لواذع فكأنت وهى الحب رقاها
وأخذت من أقماره وشموسه من برد وجنته شذاها
من أبيض يقق وأصفر فاقع نور معى كل سلاءة وسناها

---

(١) المهاة الأولى : البلورة الصافية .
(٢) الحو : جمع حوة ، وهو أوصف من حوراء ، وهى سوداء فى بياض العين مع مرض ، وقيل شدة سواد العين مع سعة .

قد ضوعفت زنة فزادت زينة يحلو القذى عنا جلاء قذاها
خيفت عليهن العيون فعوذت باسم الاله وباسم شاهنشاها
يا ابن العميد عميد دولته الذى بلسانه وسنانه سناها
ما أنت إلا صحة محكلوءة تتقاصر الأفهام دون مداها
فإذا مرضت ولا مرضت فإنه مرض الرياح يطيب فيه ثناها
لم ننسك الأمراض ذكر صنائع تولى وشكر صنائع تولاها
فاسلم لدولتك التى وطدتها ورعيت أولاها على أخراها

وله من قصيدة كتب بها إلى وبأختها التى تقدمتها أبو سعيد بن دوست كعادته المشكورة فى مهاداة بطرائف الآداب التى تصلح لهذا الكتاب من مجزوء الكامل :

سرت النجائب بالنجائب ترمى الكواكب بالكواكب
ترمى تجاهات المشا رق من تجاهات المغارب
رغباً إلى ملك تحكـ ـم فى رغائبه الرغائب
ملك نوأ من علا ه فى النواصى والذوائب
حيث السوابح والسوا بق والنجائب والجنائب
يهب المنعمة الحسكوا عب والمطهمه السلاهب[1]

ومنها :

زرناك من أرض البصيـ ـره شاحبين على شواحب[2]
رد المناهل كالحا هل . والسباسب كالسبائب
لا رى دون الرى والـ ـسحر الغطامط ذى العوارب[3]

(١) المطهمة : الخيول . والسلاهب : الطويلة
(٢) السواحب : النوق الهزيلة .
(٣) الغطامط : كثير الأمواج غزير الماء .

بحر جواهره طوا ف فى سواحله رواسب
لا دونها اللجج الكوا رب لاولا اللجج الكواذب(١)
كم من ظباء بالبصيـــرة فى المقاصر والسباسب
إنس ووحش يشتبهـــن سوى الذوائب والحقائب
أدم بقاسمن الأرا ك جباه والقضب الرطائب
فلإنسها أغصانه تجلو به برد السحائب
ولوحشها غض الجنى عبث المعازف والملاعب
تصطاد وحشياتها وتصيدنا الإنس الخزائب(٢)
يارب يوم لى كظلـــك أو كظنك أو يقارب
رقبت حواشيه وغضـــت عين واشيه المراقب
قصرت لنا أطرافه قصر القناع عن الذوائب
وتبرجت لذاته للخاطبين وللمواطب
نزلت به حاجاتنا بين المحاجر والحواجب
وكسونى حللا صقلـــن خواطرى صقل القواضب
حللا كديباج خدو د مطرزات بالشوارب
فلنشكرن رياضة جدوى سحائبك الصوائب
ولتنظمن لك لقصا ئد كالقلائد للكواعب

* * *

(١) الكواذب : التى تحدث بكذب
(٢) الخزائب : جمع خزعبة . وهى الشىء الحسن حتى يقصد الحسيمة وفيه بعض بيوه

المفجع البصرى

هو أبو عبدالله الكاتب . له مصنفات كثيرة ، وهو صاحب ابن دريد والقائم مقامه بالبصره فى التأليف والإملاء ، وفيه يقول [من مجزوء الكامل] :

إن المفجع ويله شر الأوائل والأواخر
ومن النوادر أنه يملى على الناس النوادر

كأنه من قول أبى تمام [من الوافر] :

ومالك بالغريب يد ولكن نعاطيك العرب من العرب

أو من قول الآخر [من مجزوء الكامل] :

ومن المظالم أن قمد ت على المطالم يا فزاره

وأما شعره فقليل كثير الحلاوة . يكاد يفطر منه ماء الظرف ، حكى أبو بكر الخوارزمى قال : قال لى اللحام : أنشدنى المفجع لنفسه [من الخفيف] :

لى أمير أراحنى الله منه صار همى به عريضاً طويلا
نام إذ زارنى الحبيب عناداً ولمهدى به يديك الرسولا
حسنت زورة على لحسى فافزقنا وما شفينا غليلا

فقلت فيه [من الكامل] :

إن المفجع فالعنوه مؤنث بعل يدين بعض أهل البيت
يهوى العلوق وإنما بلقاهم بمؤخر حى وقبل ميت

وأنشدنى أبو الحسين الشهرورى الحنظلى ، قال أنشدنى المفجع لنفسه فى غلام له يكنى أبا سعد من الخفيف] :

زفرات تعتادنى عند ذكرا ك وذكراك ما يريم فؤادى
وسرورى قد غاب عنى مذ غبـ ـت فهل كنتما على ميعاد
حربنى الأيام فيك أبا سعـ ـد بسيف الهوى وسهم البعاد

ليس لى مفزع سوى عبرات من جفون مكحولة بالسهاد
فى سهادى لطول أنسى بذكرا ك اعتياض عن الكرى والرقاد
وبحسبي من المصائب أنى فى بلاد وأنتم فى بلاد

وأنشدنى أبو نصر الروذباذى الطوسى للمفجع [من الهزج] :

ألا يا جامع البصر ة لاخربك الله
وسقى صحنك المزن من الغيث فرواه
فكم من عاشق فيك يرى ما يتمناه
وكم ظبي من الإنس مليح فيك مرعاه
نصبنا الفخ بالعلم له فيك فصدناه
بقرآن قرأناه وتفسير رويناه
وكم من طالب للشعـــر بالشعر طلبناه
فما زالت يد الأيا م حتى لان متناه
وحتى ثبت السرج عليه فركبناه
ألا يا طالب الأمر د كذب ما ذكرناه
فلا يغررك ما قلنا فما بالجد قلناه
ولو كان من البعض برياً حين نلقاه
فرح بالدرهم الضرب إليه تلاقاه
وبالدرهم يستنز ل منافى الجو مأواه

ومن مدحه المشهورة قوله لإنسان أهدى إليه طبقاً فيه فصب السكر وأترج وناريج وأراد أبا سعد غلامه فقال | من مجزوء الرمل

إن شيطانك فى الطر ف لشيطان مريد
فيـــ ت شيء يبتغى م ـــ

قد أتتنا تحفة مـــنك على الحسن تزيد
طبق فيـــه قدود وخـــدود ونهود

وقوله فى غلام مغن حدر فازداد حسناً [من السريع] :

يا قمرا جدر حين استوى مزاده حسناً وزادت همومى
كأنما غنى لشمس الضحى فنقطته طرباً بالنجوم

وقوله أيضاً من الخفيف :

سيدى أنت إن عبدك أمسى حافقاً فله خفوق الجناح
فاغتنم غفلة الرقيب وزره فى رداء من الدجى ووشاح

وقال ، ويروى لابن لنكك [من السريع] :

لنا سراج نوره ظله ليس له ظل على الأرض
كأنه شخص الإمام الذى يغنى الهدى منه أولو الرفض

ومن ظريف قوله فى الهجاء من السريع] :

قسا على قوم فقالوا له إن لم تصم من قسا قد
فقال لا عدت فقالوا له من بتن فيه دا كما كنا

ووجدت بخط أبى الحسين على بن أحمد بن عبدان فى مجموعه المسمى حاطب ليل للمجمع البصرى يقول [من الوافر] :

أداروها وللنل اعتكار خلت الليل فاجأه النهار
فقلت لصاحبى والنل داج ألاح الصبح أم بدت العقار
فقال هى العقار تداولوها متى تستنعه يطر لها سرار
فلولا أنى أباح بها حسبت أبا فى الكأس نار

* * *

نصر بن أحمد الخبز أرزى

كنت على طى شعره وذكره . إما لتقدم زمانه أو سفسفة كلامه . ثم تذكرت قرب عهده وتكلف ابن لنكك جمع ديوان شعره . فسنح لى أن أضمن هذا الكتاب . لما قد علقت بحفظى منه . والإعراض عن التصفح لباقى شعره وترك الفحص عما يصلح الإلحاق بها من ملحه . وعلى ذكره . فقد بلغنى من غير جهة أنه كان أمياً لا يكتب ولا يتهجى ، وكانت حرفته خبز خبز الأرز فى دكانه بمربد البصره . فكان يخبز وينشد أشعاره المقصورة على الغزل والناس يزدحمون عليه ، ويتطرفون باستماع شعره ، ويتعجبون من حاله وأمره . وأحداث البصرة يتنافسون فى ميله إليهم وذكره لهم . ويحفظون كلامه لقرب مأخذه وسهولته . وكان ابن لنكك — على ارتفاع مقداره — يتتاب دكانه ويسمع شعره . فحضره يوما وعليه ثياب بيض فاخرة فتأذى بالدخان وساء أزه على ثيابه . فانصرف وكتب إليه من الوافر :

نصر فى فؤادى فرط حب ... بنيف به على كل الصحاب
أتينـــاه فخرنا تخوراً ... من السعف المدخن بالتهاب
فقمت مبادراً وحسبت نصراً ... يريد بذاك طردى أو ذهابى
فقال متى أراك أبا حسين ... فقلت له إذا اتسحت ثيابى

فلما وقعت عليه الرقعة التى فيها هذه الأبيات . أملى على من كتب له فى ظهرها هذه الأبيات من الوافر [:

مسحت أبا الحسين صميم ودى ... فداعى بألفاظ عذاب
أتى وثيابه كالشيب لوناً ... فعدن له كريعان الشباب
وبعض للشيب أعد عندى ... سواداً لونه لون الخضاب
فلو لم يكن التعزز فيه فخراً ... فلم يكسى الوصى أبا تراب

ويحكى أنه ما كشف قناع الغربة قط لقصور همته على المذكر دون المؤنث وشعره شاهد بذلك : فمن النوادر أن شاعرا بزعمه يكنى أبا طاهر انتمى إليه وورد نيسابور بأشعار تناسب دعوته ، وانتحل كثيراً من محاسن السرى والخالديين وغيرهم من المحسنين ، الذين لم تقع أشعارهم بعد إلى خراسان ، حتى تقشر فلسه ، وظهر عواره وخزيه ، وجرى أمره على ما قاله أحمد بن طاهر [من البسيط] :

أظن دعوته فى الشعر جائزة ... له على كما جازت على النسب

وفيه يقول أبو بكر الخوارزمى [من المنسرح] :

يقول نصر أبى فقلت لهم ... عندى بهذا شهادة حسنه
نعم ولكن أمه حملت ... من بعد ما مات شيخه بسنه

فمن ملح نصر قوله [من الطويل] :

خليلى هل أبصرتما وسمعتما ... بأكرم من مولى تمشى إلى عبد
أتى زائراً من غير وعد وقال لى ... أصونك عن تعليق قلبك بالوعد
فما زال نجم الكأس بينى وبينه ... يدور بأفلاك السعادة والسعد
فطوراً على تقبيل نرجس ناظر ... وطوراً على تعضيض تفاحة الخد

وقوله [من مجزوء الرمل] :

من يكن يهواه للخلـــق فإنى عبد خلقه
إن حسن الخلق أبهى ... للفتى من حسن خلقه

وقوله [من البسيط] :

قالوا عشقت صغيرا قلت أرتع فى ... روض المحاسن حتى يدرك الثمر
ربيع حسن دعانى لافتتاح هوى ... لما تفتح منه النور والزهر

وقوله [من المنسرح] :

وددت أنى بكفه فط ... أو أننى مدة على قلمه
يأخذنى مرة ويلثمنى ... إن علقت منه شعرة بفمه

وقوله [من البسيط] :

قد قلت إذ خان صبرى من كلفت به ... ولم يكن عنه لى صبر ولا جلد
إن كان شاركنى فى حبه وضح ... فالنهر يشرب منه الكلب والأسد

وقوله [من الكامل] :

لا تعشقن ابن الربيع فإنه ... عند التجرد آية الآيات
وجه كعبادان ليس وراءه ... لمحبه شيء سوى الخشبات[1]

وقوله من الخفيف [2] :

تتجنى على ذنباً وتعتل ... بأن قد رأيت منى ذله
ومن الله قربة ليس فيها ... لفتى يطلب التعلة عله

وقوله من الطويل :

ألم يكفنى ما نالنى فى هواكم ... إلى أن طفقتم بين لاه وضاحك
تماديتكم فى فوق ما قد أصابنى ... وما فى دخول النار بل طنز مالك[2]

وأنشدنى أبو القاسم الحسين بن محمد بن حبيب المذكور . قال : أنشدنى عبد السميع بن محمد الهاشمى . قال : أنشدنى نصر بن أحمد الخبز أرزى لنفسه [من الخفيف] :

شاقنى الأهل لم تشقنى الديار ... والهوى صائر إلى حيث صاروا

---

(١) عبادان : جزيرة . والخشبات : موضع ورائه.
(٢) الطنز : السخرية والاستهزاء

جيرة فرقتهم غربة البيـــن وبين القلوب ذاك الجوار
كم أناس رعوا لنا حين غابوا وأناس جفوا وهم حضـار
عرضوا ثم أعرضوا، واستمالوا ثم مالوا، وأنصفوا ثم جاروا
لا تلمهم على التجنى فلو لم يتجنوا لم يحسن الاعتـذار

وأنشدنى أبو حفص عمر بن على الفقيه له من قصيدة [من البسيط] :

ورد الخـدود ورمان النهود وأغ صان القدود تصيد السادة الصيدا
شرطى إذا ما رأيت الخصر محتصرا والردف مرتدفا والقـد مقدودا

* * *

أبو عاصم البصرى

أنشدنى أبو سعيد نصر بن يعقوب لأبى عاصم فى اقتران الهلال والثريا والزهرة [من المتقارب] :

رأيت الهلال وقد أحدقته نجوم الثريا لكى تسبقه
فشبهته وهو فى إثرها وبينهما الزهرة المشرقة
بقوس نرام رمى طائراً فأتبع فى إثره بندقه

وله فى اقتران الهلال والزهرة [من الخفيف] :

قارن الزهرة الهلال ، وكانا فى افتراق ما بين صد وهجره
فإذا ما تقارنا قلت طوق من لجين قد علقت فيه درة

وله فى الغزل من الرمل] :

يا بنفسى من إذا جمشته نثر الورد عليه ورقه
وإذا مدت يدى طرته أقلقت منى وعادت حلقه

أبو الحسين الظاهر البصرى

أنشدنى أبو على محمد بن عمر الزاهر . قال : أنشدنى أبو الحسين الظاهر البصرى لنفسه قوله من البسيط] :

نفسى الفداء لمن جاءت تودعنى يوم الفراق بقلب خائف وجل
فدكنت فارقت روحى خوف فرقتها لكن حييت بطيب الضم والقبل

وله من قصيدة فى مقصود [من البسيط] :

كأنما دمه فى الطست حين جرى صرف من الراح فى قعب من الذهب
حتى إذا رجعت فى كفه بدد كالشمس غابت عن الأبصار فى الحجب
كانت كما قال فى القرآن عالقنا واضمم جناحك يا موسى من الرهب

وله فى وصف حيه قتلها فى بعض أسفاره [من الرجز

عرفت فى الأسفار ما لم أعرف من كل موصوف وما لم يوصف
آليت لا أنصف من لم ينصف ولا أفى دهرى لخل لا يو
سرت وصحبى وسط قاع صفصف إذ أشرفت من فوق طود مشرف
رقشاء رنو من قلب أجوف تومى برأس مثل رأس المجدف
وذنب مسدج معقف حتى إذا أبصرته لا تشكو
علوتها بحد سيف مرهف فظل يجرى دما كالمرقف
أتلفتها لما أردت بلى

الباب السادس

فى ذكر نفر من شعراء العراق ونواحيها ، سوى بغداد وسياق ملحهم ولطائفهم

ابن التمار الواســـطى

شعره يتغنى بأكثره ملاحة ورشاقة ، وإنما كان يقوله تطربا لا تكسبا ، وقد بلغنى له أبيات قلائل إلا أنها قلائد ، كقوله [من البسيط] :

أما ترى اليوم فى أثوابه الجدد ... يحكيك يا غرة الأيام والأبد
فاشرب وسق الندامى من مشعشعه ... كلون خدك لم تنقص ولم تزد
على غـــدير إذا هب النسيم به ... أبصرته من حيك الريح كالزرد

وله [من الكامل] :

الخمر شمس فى غلالة لاد ... تجرى ومطلعها من الخرداذى
فاشرب على طيب الزمان فيومنا ... يوم التـــداذ قد أتى برذاذ
وانظر إلى لمع البروق كأنها ... يوم الصراب صفائح الفولاذ

وقوله عفا الله عنه [من البسيط] :

قم فانتصف من صروف الدهر والنوب ... واجمع بكأسك شمل اللهو والطرب
أما ترى الليل قد ولت عساكره ... مهزومة وجيوش الصبح فى الطلب
والـــدر فى الحاجب العربى تحسبه ... قد مد جسرا على الشطين من ذهب

أبو طاهر الواسطى المعروف بسيدوك

شعره يروى حين يروى ، ويحفظ حين يلحظ ، وما لظرفه نهاية ، ولا للطفه غاية ، ولا عيب فيه غير أن الذى وقع إلى منه قليل يلتق طرفاه ، وتجتمع حاشيتاه، وديوان شعره ضالتى المنشودة ، ودرق المفقودة . ولا يأس من حصوله ، أنشدنى كل من أبى طاهر ميمون بن سهل الواسطى الفقيه وأبى الحسن المصيصى ومحمد بن عمر الزاهر قال : أنشدنى سيدوك لنفسه ، وهو أحسن وأبلغ ماسمعته فى طول الليل [من البسيط] :

عهدى بنا ورداء الشمل يجمعنا ... والليل أطوله كاللمح بالبصر
فالآن ليلى مذ غابوا فديتهم ... ليل الضرير فصبحى غير منتظر

وأنشدنى أبو نصر سهل بن المرزبان له [من الوافر] :

أراح الله نفسى من فؤاد ... أقام على اللجاجة والخلاف
ومن مملوكة ملكت رقاها ... ذوى الألباب بالخدع اللطاف
كأن جوانحى شوقاً إليها ... بنات الماء ترقص فى حقاف[1]

وأنشدنى ميمون الواسطى . قال : أنشدنى سيدوك لنفسه من الوافر] :

أظن بلبلة دهمت فؤادى ... وأحسبها غزال ى سليم
وإلا لم يعب فنعترينى ... مدله صيمه من غير ضير !
ولى عين إذا فقدته صارت ... كعين الشمس سدسة عمى

وأنشدنى له أيضا [من مخلع البسيط]

أنت من القلب فى السواد ... وموضع السر من فؤادى
يا ساكنى فى سواد عينى ... وزين حفنى وازرقاد
لم تنأ لما نأيت عنى ... ولا ناعنى بعادى

---

(١) الحقف : جمع حقف . وهو المعوج من الرمل

وأنشدني أيضا له [من الطويل] :

جنت صبحة الأضحى على فأذهبت ... فؤادي، فلا ضري ملكت ولا نفعي
فيا يوم عيد النحر مالك مهدياً ... لنحري سهم النحر نبت عن الشرع

وله من أبيات [من مجزوء الكامل] :

حـــذري عليك أشد من ... حـذري على بصري وسمعي
إن كنت تنكر ما أقو ... ل فهاك سل سهري ودمعي

ووجدت منسوبا إليه في بعض التعليقات [من المتقارب] :

جعلت فداك قد زارني ... أخلاء أعظم أقدارهم
وعزي أكون لهم سافيا ... فكن بأبي أنت خمارهم

* * *

أبو عبد الله الحامدي

حامدة : من أعمال واسط ، ولم يبلغني ذكر هذا الرجل إلا بما أنشدنيه ميمون الواسطي ، قال : أنشدني أبو عبد الله لنفسه بالحامدة [من البسيط] .

مشتاقة طرقت في النوم مشتاقا ... أهلا بمن لم يخن في العهد ميثاقا
أهلا بمن ساق لي طيف الأحبة من ... أرض الأحبة . بل أهلا بمن شاقا
يا زائرا زار مر قرب على بعد ... آنست مستوحشاً لا ذقت ما ذاقا
الله يعلم لو أني استطعت لقد ... أفرشت عمشاك أحداقا وآماقا
ما ليس عرج على إلفين قد جعلا ... عقد السواعد للأعناق أطواقا
صاق العناق وضم الشوق بينهما ... ضم القريبين أعناقا فأعناقا

وأنشدني له أيضا من الكامل

قل لمليحه في الخمار المتسمتي ... كذا الدلال عدمت كل تحرش
ما من عدا فلي كنز حسن طرفها ... في الحب لاصاح ولا هو منشي

هذا الربيع بصحن خدك قد بدا لقل ومعضض وبخش
فتى أبيت معانقاً لبهاره ولورده المستأنس المستوحش

وأنشدنى له أيضا [من الطويل] :

سقاك وحياك وبات معانق فيا عطف معشوق على ذل عاشق
ويا ليلة باتت سواعدنا بها تدور على الأعناق دور المخانق
نبت من الشكوى حديثاً كأنه قلائد در فى نحور العواتق

وأنشدنى له [من الكامل] :

يا راحلا ترك البكاء مباحا مارحت أنت ، بل اصطبارى راحا
إن أخلفتنى فيك أسباب المنى وغدوت لى سقما وكنت صلاحا
فلقد عهدتك مسعدا لى فى الهوى وعهدت وجهك فى الظلام صباحا

وأنشدنى له [من الكامل] :

ما الرأى عندك أيها البدر فى عاشق لك غاية الصبر
وضع برأيك فوق قصته يامن إليه النهى والأمر
لو أن حسنا زاد فى عمر لازددت عمراً بعده عمر

أبو بكر محمد بن أبى محمد القاسم المعروف بالأنبارى

بلغنى له قصيدة فريدة تدل على أن صاحبها من أفراد الشعراء ، وهى فى بابها بقية لما قيل وصنف ، وقد أثبتها كما هى [من الوافر] :

علو فى الحياة وفى الممات حقيق أنت إحدى المعجزات
كأن الناس حولك حين قاموا وفود نداك أيام الصلات

وأخذه من قول ابن المعتز [من الطويل]

وصوت عليه حشمتى كأنهم وفود وفوق السلام عليه

رجع :

كأنك قائم فيهم خطيباً وكلهم قيام للصلاة
مددت يديك نحوهم احتفالا كدهما إليهم بالهبات
ولما ضاق بطن الأرض عن أن يضم علاك من بعد الممات
أصاروا الجو قبرك واستنابوا عن الأكفان ثوب السافيات (١)
لعظمك فى النفوس تبيت ترعى بحراس وحفاظ ثقات
وتشعل عندك النيران ليلا كذلك كنت أيام الحياة
ركبت مطية من قبل زيد علاها فى السنين الماضيات
وتلك قضية فيها تأسّ تباعد عنك تعيير العداة
ولم أر قبل جذعك قط جذعا تمكن من عناق المكرمات
أسأت إلى النوائب فاستثارت فأنت قتيل ثأر النائبات
وكنت تجير من صرف الليالى فعاد مطالباً لك بالترات(٢)
وصير دهرك الإحسان فيه إلينا من عظيم السيئات
وكنت لعشر سعداً فلما مضيت تفرقوا بالمنحسات
غليل باطن لك فى فؤادى حقيق بالدموع الجاريات

أخذه من قول ابن الرومى [من مخلع البسيط] :

لم يظلم الدهر أن توالت فيكم مصيباته دراكا
كنتم نجيرون من يعادى منه معاداكم لذا كا

عاد :

ولو أنى قدرت على قيامى بفرضك والحقوق الواجبات

(١) السافيات : جمع سافية ، وهى الريح تحمل غبارا
(٢) الترات : جمع ترة وهي الثأر

ملأت الأرض من نظم القوافى ونحت بها خلاف الناحتات
ولكنى أصبر عنك نفسى مخافة أن أعد من الجناة
ومالك تربة فأقول تسقى لأنك نصب هطل الهاطلات
عليك تحية الرحمن تترى ورحمات غواد رائحات

أبو الحسين محمد بن عمر الثغرى الكاتب

أحد المقلين المحسنين . ولم أسمع له إلا ملحاً نادرة ، كقوله فى خط العذار وهو أحسن ما سمعت فيه على كثرته [من الخفيف] .

لى حبيب يزهى بحسن عجيب وبقد مثل القضيب الرطيب
أحرقت بالسواد فضة خديـــه فقد أحرقت سواد القلوب

وقوله فى وصف التمر [من المجتث] .

أما ترى التمر يحكى فى الحسن للنظار
مخازناً من عقيق قد قمعت بنضار
كأنمـــا زعفران فيه مع الشهد جارى
يشف متن كؤوس محلوه من عقار

وقوله فى الباقلاء الرطب [من الوافر]

فصوص زبرجد فى غلف در بأقماع حكت قلم صفر
وقد صاغ الإله لها إناء لها لونان من بيض وخضر
ربيع للقلوب بكل أرض وفعل ما من شرب خمر

وله فى الرمان من الوافر

ورمان رقيق القشر يحكى سنى العينين فى ثوب مداد
إذا قشرت ضحكت عنه فصوص من عقيق فى جماد

أبو محمد بن زريق الكوفي الكاتب رحمه الله تعالى !

أنشدني أبو نصر سهل بن المرزبان ، قال : أنشدني أبو سليمان المنطق ببغداد ، قال : أنشدني ابن زريق لنفسه [من البسيط] :

سافرت أبغي لبغداد وساكنها مثلا فحاولت شيئاً دونه الياس
هيهات بغداد الدنيا بأجمعها عندي ، وسكان بغداد هم الناس

وأنشدني له غيره في شعر الصولي [من السريع] :

داري بلا خيش ولكنني عففت من حيشي طاقين
دار إذا ما اشتد حر بها أنشدت للصولي بيتين

وله أيضاً في العيادة [من مجزوء الخفيف] :

يا مريضاً بسقمه مرض الحلم والوفا
لم يكن تركي العيا ده هجرا ولا جفا
ثم أطلق أن أراك — با أكرم الناس — مدنفا
طال حزني عليك فا لحمد لله إذ كفى

وقال في فتنة تسمى دنيه حسنة المخبر قبيحه المنظر [من المجتث] :

أيا سعيد أصح لي ياسيدي ونديمي
منيت أمس بأمر من الأمور عظيم
حصلت عند صديق حر ظريف كريم
أسعى على تندو دبسه فنق همومي
فكنت حتى عسى ندى حبال السقيم
وإن صحت إليها في نعمات الأليم
وإن نزلت صعوبة فانزاح بالنسيم

وإن تربت للحظ فالمهـــل بالرقوم
فكان سمى بخير ومقلتى فى الجحيم

وأنشدنى أبو نصر سهل بن المرزبان لأبى محمد بن زريق ، يخاطب به أبا عبد الله الكوفى لما قلد مكان أبى جعفر بن شير زاد ، وحصل فى الدار التى كان أبو جعفر يناظر الناس فيها وعلى دسته وفى مثل حاله . وقد كان حضره قبل ذلك فحجب [من البسيط]

إنا رأينا حجابا منك قد عرضا فلا يكن ذنبنا فيه لك الغرضا
اسمع لنصحى ولا تغضب على فما أبغى بقولى لا مالا ولا عرضا
الشكر يبقى ويفنى ماسواه ، وكم سوالك قد نال ملكا فانقضى ومضى
فى هذه الدار فى هذا الرواق على هذا السرير رأينا الملك فانقرضا

قال فاعتذر إليه الكوفى ، وقال له . حسنا ، وقضى حوائجه

أبو الورد

يلغى أنه كان من عجائب الدنيا فى المطايبة والمحاكاة ، وكان يخدم مجلس المهلبى الوزير ، ويحكى شمائل الناس وألسنتهم ، فيؤديها كما هى ، فيعجب الناظر والمسامع ويضحك الثكلان ، وكان أبو إسحاق الصابى قد ولع به حتى قال فيه [من الطويل] :

ومن عجب الأيام أن صروفها تسوء امرأ مثلى بمثل أبى الورد
فمالبثها حتارت بغيرة وأنه رمتنى بشنعاء الدواهى على عمد
فكم بين معقور الكلاب وبين من ذليلا ومقتول بضراغمة لبد

وفيه يقول السرى حيث يذكر صفعة المتنبى الشاعر من شونيز [:

وما خفت صفعات العراق سوى لطمة وجه سره ولا جحدا
لقد سر أبو الورد بعد كفه حسبت له فى وجهه سنة الورد

ولأبي الورد شعر كهو في الإضحاك مثل قوله [من مجزوء الرمل] :

أنا في كل سحير في مداراة لأ يرى
دائباً يطلب وجهاً حسناً من بيت غيري
قلت نك يا أير من ير تع في خيري وميري
قال : لا أستطيع بيكا لكسير وعوير

وقوله [من الوافر] :

طفيلي يؤم الخبز أني رآه ولو رآه على يفاع
ولا يروى من الأخبار إلا أجبت ولو دعيت إلى كراع[1]

وقوله [من مجزوء الرمل] :

وصديق جاءني يسـألني ماذا لديك
قلت : عندي بحر خمر حوله أجام نيك

وقوله من الطويل [:

ولي صاحب أفسى البرية كلها يشككني فيه إذا ما تنفسا
تحولت الأنفاس منه إلى استه فما أحد يدري تنفس أم فسا

وقوله من مجزوء الكامل :

ليس اشتقاق أبي المظفر من أن يرى ظفراً فيظفر
لكن تطاول ظفره فلذاك قيل أبو المظفر

---

(١) يشير إلى الحديث «ولو أني دعيت إلى كراع لأجبت» . والكراع - بضم الكاف - بزنة الغراب - مادون الكعب من قوادم الدواب ، ويقابله ماذون الركبة من الانسان .

الباب السابع

فى ذكر قوم من شعراء بغداد ومحاسن أشعارهم

ابن نباتة السعدى : أبو نصر عبد العزيز بن محمد بن نباتة

من فحول شعراء العصر وآحادهم ، وصدور مجيديهم ، وأفرادهم الذين أخذوا برقاب القوافى ، وملكوا رق المعانى ، وشعره مع قرب لفظه بعيد المرام ، مستمر النظام ، يشتمل على غرر من حر الكلام ، كقطع الروض غب القطر ، وفقر كالغنى بعد الفقر . وبدائع أحسن من مطالع الأنوار ، وعهد الشباب ، وأرق من نسيم الأسحار ، وشكوى الأحباب . وأول ماوقع شعره إلى خراسان إنما وقع على يد أبى نصر سهل بن المرزبان ، فإنه استصحبه من بغداد فى جملة ما حصله بها ، من ظرائف الدفاتر ولطائفها ، وذخائرها وأخايرها . وأتحفنى به وهو بغبار السفر . وجعلنى فيه أبا عذرة النظر . فحسبته والطرف معقود به ، شخص المحبوب بدا لعين محبه . وباكورة الأشعار ، أرفع من باكورة الثمار ، فكم مرتع أنس فيه رعيت ، وكم قصر مختص منه وعيت . وأنا كاتب من عيونه ما يمتع الخواطر ، ويحلو النواظر ويصدق قوله . وقد أحسن فيه كل الإحسان [من الوافر] :

وكم ليل عندى من نجوم ... جمعت النثر منها فى نظامى
عتاباً أو نسيباً أو مديحاً ... لخل أو حبيب أو همام
تفيد بها العقول نهى وصحواً ... وقد فعلت بها فعل المدام
لها فى حلبة الآداب ركض ... إلى حلبات قلوب الأنام

وقوله من [البسيط]

حدثهم إذا شئت فى قوم إن ضربت ... صدورهم عيت فيها ثم فهم

ينسى لها الراكب العجلان حاجته ويصبح الحاسد الغضبان يطربها

وقوله أيضاً [من الخفيف] :

فات عبد العزيز سابقة القو ل وإن لوصفه فى لحاق
طلعت فى القلوب ألفاظى الغـــر طلوع النجوم فى الآفاق

وقوله [من المنسرح] :

هذا الكلام الذى خصصت به أخص فى الخالدات من أحد
قول هو الماء لا يطعمه فكل قول سواه كالزبد

ما أخرج من غرره فى الغزل والنسيب

قال من قصيدة [من الطويل]

وبدر تمام بت أتم رجسه وأكبره عن أن أقبل حده
عشقت فيه كل شىء يوده من الجور حتى كدت أعشق صده

بيت الأول كأنه مأخوذ من قول ابن ضباطة من الرجز :

وشادن روحى فى يديه نيبت تهمى قبلى عليه
يؤثر رجليه على خديه

وبيت الثانى فيه نحو من قول منصور الفقيه من المتقارب]

سررت بهجرك لما علمت بأن قلبك فيه سرور
ولولا سرورك ما سرنى وما كنت يوماً عليه صبور
فإنى أرى كل ما ساءنى إذا كان يرضيك مما يسر

وقوله من أخرى من المنسرح]

عجبت له حين ساء وزرى تبسم لما رآنى عبسا

ولا بد لى من جهلة فى وصاله ... فمن لى بخل أودع الحلم عنده

ومن أخرى [من البسيط] :

يا من أضر بحسن الشمس والقمر ... لم يدع فيهما للناس من وطر
نفسى فداؤك من بدر على غصن ... يكاد تأكله عينـاى بالنظر
إذا تفكرت فيـه عند رؤيته ... صدقت قول الحاولين فى الصور

ومن أخرى [من الطويل] :

سقى الله أرضاً لا أبوح بذكرها ... فتعرف أشجانى بهـا حين تذكر
سوى أنها مسكنة الترب ريحها ... ترف وتندى والهواجر تزهر
تعمت بها يحلو على كؤوسـه ... أغر الثنايا واضح الثغر أحور
فوالله ما أدرى أكانت مدامة ... من الدر تحسى أم من الشمس تعصر ؟
إذا صاح صبح العلاء وعها ... رأيت رداء الليل يطوى ويبشر

ومن أخرى من الكامل

دعهم وقلى لا أريد رجوعه ... أبداً فقلبى كان أصل فسادى
لو يعلمون صلاح حالى بعدهم ... ما فرقوا بينى وبين فؤادى

ومن أخرى [من البسيط

إن كنت تسمع سعدى من مطالبها ... فلست تسمع سعدى من تسمعه
لها نغمـــة أوتار ومسمعـه ... بانت تدل على شوق أغانيه
وقهوة كشعاع الشمس صانعة ... أهدت بالمزج فيها ريق ساقيه
لله يمن الدهـــر أدهمه ... فى صدره وهو من أحشائى بديه
لما كان يعم أذى عنك أحدا ... من [illegible]

الشكوى وذم الزمان

قال [من البسيط] :

في كل يوم لنا في الدهر معركة هام الحوادث في أرجائها فلق
حظي من العيش أكل كله غصص مر المذاق وشرب كله شرق

وقال [من الطويل] :

وكم من خليل قد تمنيت قربه بقربته حتى تمنيت بعده
وما للفتى في حادث الدهر حيلة إذا نحسه في الأمر قابل سعده
أرى همم المرء اكتئاباً وحسرة عليه إذا لم يسعد الله جده

كأنه مأخوذ من قول المتنبي من الطويل] :

وأتعب خلق الله من زاد همه وقصر عما تشتهي النفس وجده

وقال من قصيدة من الكامل :

ما بال طعم العيش عند معاشر حلو ، وعند معاشر كالعلقم
من ذا يعيش الأغبياء فهم لا عيش إلا عيش من لم يعلم

هذا معنى متداول ، ومن أحسن ما قيل فيه قول ابن المعتز من الكامل] :

وحلاوة الدنيا لمن جهلها ومرارة الدنيا لمن عقلا

وقال من أخرى [من الكامل

[illegible] تقضي في مكان واحد دهر تفرق لاحه مولع
[illegible] لم يبق في هذي نسهملك موضع

كأنه من قول حبيب [من الوافر

[illegible] حتى [illegible] في عتب من نال
[illegible] في سعيه [illegible] على المنال

وقال [من الوافر] :

برمت من الحياة ، وأى عيش ... يكون لمن مطاعمه الخبال ؟
ولو أنى أعد ذنوب دهرى ... لضاع القطر فيها والرمال

وقال [من الوافر] :

سقام ما يصاب له طبيب ... وأيام محاسنها عيوب
ودهر ليس يقبل من أديب ... كما لايقبل التأديب ذيب
يحب على المصائب والرزايا ... فلا كان المحب ولا الحبيب

وقال [من الوافر] :

متى أرجو مسالمة الهموم ... وآمل صحة الجسم السقيم ؟
وكم الحادثات على تجنى ... جنايات القروف على الكلوم

وقال [من الطويل] :

طلاب المعالى للمنون صديق ... وطول الأمانى للنفوس عشيق
تسربل ثياب الموت أو حلل الغنى ... تعش ماجداً أو تعتلقك علوق
وما الفقر إلا للذلة صاحب ... وما الناس إلا للغنى صديق
وأصغر عيب فى زمانك أنه ... به العلم جهل والعفاف فسوق
وكيف يسر الحر فيه بمطلب ... وما فيه شىء بالسرور حقيق
إذا لم تكن هذى الحياة عزيزة ... فماذا إلى طول الحياة تتوق
ألا إن خوف الموت مر كطعمه ... وخوف الفتى سيف عليه ذلوق(١)
وإنك لو تستشعر العيش فى الردى ... لحليت طعم الموت حين تذوق

وقال [من مجزوء الكامل] :

كيف السبيل إلى الغنى ... و سحر عند الناس فضه

---

(١) سيف ذلوق . حد ذلق صح

خذ من زمانك كل شيء ... لا يجر عليك منه
ونبت بنا أرض العرا ... ق فما عناها بمحنه
غير الرحيل ، كفى البلا ... د بنقلة الفضلاء هجنه !

وقال رحمه الله [من الوافر] :

وتأخذ من جوانبنا الليالى ... كما أخذ المساء من الصباح
أما فى أهلها رجل لبيب ... بحس فيشتكى ألم الجراح
أرى التسمير فيه كالتوانى ... وحرمان العطية كالنجاح
ومن لبس التراب كمن علاه ... فلا تخضعك أنفاس الرياح
وكيف يكد مهجته حريص ... يرى الأرزاق فى ضرب القداح

وقال رحمه الله [من البسيط] :

أراحنى الله من قلب منيت به ... يهوى القعود ويهوى أشرف الرتب
اطلب لصدرك هما بالمنى كلفا ... وخل صدرى فمالى فيه من أرب
والمجد يطلب بالآفات طالبه ... لم يحظ بالمجد من لم يحظ بالنكب
ما للعوالى سوى أولاد خرن ... لم تكسروا منه فالزمان أبى

المجون والخلاعة

[من الطويل]

حبانى قدح لم يزدنى وجع بى ... مرور وحدثت الزمان بعوق
وأنى فى غيبتى وسقيتم ... فما هفت السحر ليس يحيق
فى مصر ملاحين من سرف به ... وسكر منه حر وهو مفيق
[illegible]
[illegible]

تشربه الكأس ليس يشربها يطرب من حسن وجهه الطرب

وبعد قوله ، فتى تطرب الألحان ، قوله :

ولو شئت علت المكارم شيمتى ولكننى بالمكرمات رفيق
أخاف عليها أن يجود بنفسها إذا ما أتاها فى الزمان مضيق

وقال أيضا [من الوافر] :

ومعرور يحاول نيل عرضى فقلت له : الكواكب لا تنال
يعاب فى المكارم فضل كفى ويزعم أنه ذهب النوال
ويعجب أن حويت الفضل طفلا ألا لله ثم لى الكمال
أحمل ضعف جسمى ثقل نفسى ونفسى ليس تحملها الجبال
وأسمع كل قول غير قولى فأعلم أنه خطل محال

وقال من قصيدة [من الطويل] :

رضيناوما ترضى السيوف القواضب نحاذبها عن هامكم وتجاذب
فإياكم أن تكشفوا عن رءوسكم ألا إن معناطيسهن الذوائب
أقول لسعد والركاب مناخة أأنت لأسباب المنيه هائب
وهل خلق الله السرور فقال لا فقلت أثرها أنت لى اليوم صاحب
وخير فضول الضيلمان فإنه ناسك هذا للعلا لا يناسب
عمائم طلاب المعالى صورة وأوب طلاب المعالى عمائم
ولى عند أعناق المنوك مآرب فنوب سيوفى هن وتكوبهن
حملنا بأطراف القنا لظهورهم عبوءة وقع سيوف حواجب
أؤمل مأمولا يعير صدوره فوارحمتا لى يا لخيبة آمل

ومنه من قصيدة فى صباه [من البسيط

عصل الدهر حتى صرع فى همى و ينفحر عنه حتى صار من سيمى

فلو يكون سواد الشعر فى ذمى ما كان للشيب سلطان على اللمم
فالعيش من نعمى والموت من نقمى وحكمه الفلك الدوار من حكمى
والحزم والعزم فى الأقوام من خلق كالصباحة فى الأعوال من كلمى
لو يعلم الناس قدرى فى زمانهم صلوا لوجهى واستنافوا ثرى قدمى
ما زلت أعطف أيامى وتمنحنى بيلا أدق من المعدوم فى العدم
حتى تحوف صرف الدهر مادرقى فرد كفى وأوما أن يسد فى (؟)
أذم كل خليل بات يحمدنى أنا الذى ماله خل سوى الندم
وليس سؤلى يا قلبى سوى رهج تحوده من دم الفرسان بالديم

وقال من الطويل

وعمى فى موكب الموت ممتر وقلبى أبهى الحد من هو فى الخصب
وإنى لأدرى أن فى العجز راحه وأعلم أن السهل أوطأ من الصعب
ولو طلب الناس مكارم كلهم لكان العمى كالفقر والعبد كالرب
ولكن أشخاص المعانى جمة على كل عين ليس تظفر باللب
بعد وادى حرب نزال محبر إذا عشت فى يوم يمر بلا حرب
وعش ثم بعد الكبر عش فإنه وإن يك قلبى حدب من الكبر

وقال [من الكامل]

وإذا لقيت كل عام عامص وقد رأيت مدله وأنا العمى
وإذا ثقلت من حديث تبتغى عنقى وأعلم أنه سم الكارم

وقال [من المقارب]

قد استروح عمرى همه عرب بلى لهم مسروح
وإنى على سعى المديح ست أسر أن أمدحا
وما لهم لعمر سيد على سعة أبى منه أن أفرحا

[illegible]

وقال من قصيده [من الطويل] :

وإنى لأغضى الطرف عن كل منظر ... يصب إليه الناسك المتماسك
وماذاك من جهل به ، غير أنى ... عيوف لأخلاق الأراذل تاركك

وقال من قصيدة [من الطويل] :

وآخذ عفو العيش لا أستكده ... لحى الله غنما يستفاد مع الغرم
فإن كنت أرضى بالبشاشة منكم ... ويستر عدمى شيمتى وتكرمى
فرب جواد قيد الفقر جوده ... ومبتسم تعبسه فى التبسم

وله من أخرى من الطويل

وهل ينفع الفتيان حسن جسومهم ... إذا كانت الأعراض غير حسان
فلا تجعل الحسن الدليل على الفتى ... فما كل مصقول الحديد يمانى

وله من أخرى [من البسيط] :

حى م تقدم والأيام تعلمنا ... وعمرنا يعجب الأيام بالهمم
يا أهل بابل عزمى قبله فكرى ... فى الثانيات وسيفى بعده عذلى
وعندكم نعم عندى مصائبها ... لكم وصال العوانى والصبابة لى
قالوا حسمة شجعان فقلت لهم ... كل السجاعة والإقدام فى الهول
مالى أعز على دهرى وأسعده ... ويحتمون وفى يمينه لى
إن لم أسلى عن [illegible] ... [illegible]

عزز فى مدح وهو يتصيد

قال من قصيدة من البسيط [illegible]

[illegible] ... [illegible] عن كحيل [illegible]
[illegible] ... [illegible] حور

وما تمهل يوما فى ندى وردى إلا قضيت للبرق بالكمل

ومنها فى ذم الروم والأسرى منهم :

قد كنت تأسرهم بالسيف منصلتاً فصرت تأسرهم بالخوف والوهل(١)

من يزرع الضرب يحصد طاعة عجباً ومن يربى العلا يأمن من الشكل

كانت سحابك فيهم كل بارقة حمراء تهطل بالأيدى على القلل

فاليوم سحبك فيهم كل بارقة عراء تهطل بالأموال والحلل

حتى تمنى مليك الروم حظهم وأنه معهم فى الأسر لم يزل

كأنه أخذه من قول أبى دهبل الجمحى فى قوله [من المسرح] :

ما زلت فى العفو للذنوب وإطـــلاق لعانٍ بجرمه علق

حتى تمنى البراء أنهم عندك أمسوا فى القد والحلق

ومنها فى شكر صنائعه :

وما أريد عطاء غير ودكم وبشركم ينجلى من جودكم بجلى

قد جدت لى بالنهى حتى ضجرت بها وكدت من ضجر أثنى على البخل

إن كنت ترغب فى بذل النوال لنا فاخلق لنا رغبة ، أولا فلا تنل

لم يبق جودك لى شيئاً أؤمله تركتنى أصحب الدنيا بلا أمل

وله أيضا فيه من الطويل :

سيوفك أمضى فى النفوس من الردى وحوفك أمضى من سيوفك فى العدى

فمن يتحامى لذة النوم جفنه كأن لذيذ النوم فى جفنه قذى

أطرفك ثناك أم سهادك عاشق يغار على عينيك من سنة الكرى

ومن سهرت فى المكرمات جفونه رعى طرفه فى جوها أنجم العلا

فليس ينام القلب والجفن ساهر ولا ينعمد العينان والقلب منتضى

(١) الوهل : الضعف والفزع

ومن قصيدة فى المهلبي الوزير [من الكامل] :

لا تأمنوا آراءه وظنونه إن العيون لها من الأمداد
وتعوذوا بالله من أقلامه إن السيوف لها من الحساد

ومن أخرى فى على بن دوست بن المرزبان [من الطويل] :

أما لو تخيرت المنى لمنحته كمال على أو سلوت عن الحب
نرى الشمس أما والكواكب إخوة وتنظر من بدر السماء إلى ترب
غنيت عن الآمال حين رأيته فأصبح من بين الورى كلهم حسبي
فلم أطلب المعروف من غير كفه وهل تطلب الأمطار إلا من السحب

ومن أخرى [من الوافر] :

عدتك بدائع الألفاظ طرا وأبكار القوافى والمعانى
نزلت من المكارم والمعالى بمنزلة الشباب من الغوانى
فلا زالت لياليك البواقى مواصلة بأيام التهانى

ومنه من أخرى فى المهلبي الوزير [من الطويل] :

وتطرق أقفال الغيوب بصارم من الرأى يختى الغيب منه ويرهب
وتطعن فى صدر الكتائب معلماً كأنك فى صدر الدواوين تكتب
ولست أرى كسب الدراهم نافعى إذا لم يكن لى فى المكارم مكسب
ولى همة لا تطلب المال للغنى ولكنه منك السودد يطلب

وقال لأبى العلاء صاعد بن نابت يمدحه ويستهدى منه تمراً من الخضيف :

أى يوم من صاعد لم أرح فيه بخير كثيره الأسلاب
من نوال يسرى بغير سؤال وعطاء يجى بغير طلاب
حتنه زائراً وقد ترك الأو لاك وشجه تحت فى الثواب
تعلل بمرفقه من علاه فكأنى قرأته من كتاب

وأشارت ألحاظه بدنوى فكأنى سمعت فصل الخطاب
ثم قبلت ظاهر الكف منه فكأنى قبلت وجه السحاب
يا جواداً أرواحنا من عطايا ه وأفهامنا مُنع الألباب
إن هذى الهموم تقدح فينا قدح كفيك فى السلام الصلاب(١)
فاسقنا صيب المدام سقاك الله صوب الآمال والآراب
خندريسا كأنها تتقى المز ج بدرع مسرودة من حباب
خجلت من جلالكم فأتتنا فى رداء مؤزر ونقاب
نهب المال للفقير ونهزو ه بها فى عساكر الأطراب
سرقت حسن خلقها من سجايا ك وأخلاقك الكرام الرغاب
إنها فى السحاب وبل وفى الريـــح نسيم ونشوة فى الشراب
خلق الله صاعداً يوم خلق الـــناس للكأس والندى والضراب
ما سؤال الدنيا له وهى فى عي نيه أدنى من وعدها الكذاب
قد ظلمناه فى السؤال لأنا نحن سألناه رد شرخ الشباب

وقال من قصيدة لعضد الدولة من المسرح :

يا عضد الدولة الذى قمعت دولته الدهر وهو جبار
أنت نهار والعالمون دجى وأنت طرف والناس أعيار(٢)
ليس لنا فى المديح عمدة فعلك غيث والقول نوار

وله من أخرى فيه [من المتقارب] :

سمت بك عترات الزما ن يا عضد الدولة المنتحب
ولا رئت برمع من دونه توضعت فيها بهذا اللقب

---

(١) السلام - بكسر السين - الحجارة .
(٢) طرف - بكسر فسكون - عرس . والأعيار : جمع عير ، وهو الحمار

قسمت زمانك بين الهمو م ننعم فيها وبين الدأب
فيوماً نمير عفاة النسور ويوما نمير عفاة الأدب

وقال من قصيدة فى عضد الدولة يصف فيها نار السذق [من الطويل] :

لعمرى لقد أذكى الهمام بأرضه مشهرة ينتابها الفجر صاليا
تغيب النجوم الزهر عند طلوعها وتحسد أيام الشهور الليالي
هى الليلة الغراء فى كل شتوه نغادر جيد الدهر أتلع حاليا

وقال وقد كثر الإرجاف بعلة عضد الدولة رحمه الله تعالى [من البسيط] :

إذا سمعت حديثاً عنك أحسبه يرتاع قلبي وما ألقى بمرتاع
تجلد الحر لا بنسى حفيظته ولو رأى دمه يستن بالقاع
أرجوك أقرب ما قالوا به رمق وحين يؤيس منك المؤيس الناعى
وأسأل الركب هل أحسستم فزعاً لو كان ميتاً لضاعت ثلة الراعى
أرضى وأقنع بالأطماع كاذبة فما يضرك لو أبقيت أطماعى
قد كاد يعرف وجه الذل فى نضرى ويظهر العجز والتقصير فى باعى

* * *

غرر الأوصاف

قال فى وصف فرس أدهم أغر محجل . حمله عليه سيف الدولة أبو الحسن [من الكامل] :

يا أيها الملك الذى أخلاقه من خلقه ، ورواؤه من رائه
قد جاء فى الطرف الذى أهديته هاديه بعقب أرضه سيبه
أولاية ولدت دهماء حجرها بلقاء محجلة على عقباء
كتب الصباح على أغر محجل يدعو إلى فعل الخير مرتجى
وكأنما طلب الصباح حسنه وتخير منه الخاص فى أحشائه

متمهلا والبرق من أسمائه متبرقعاً والبدر من أكفائه
ما كانت النيران يكمن حرها لو كان للنيران بعض ذكائه
لا تعلق الألحاظ فى أعطافه إلا إذا كفكفت من غلوائه
لا يكمل الظرف المحاسن كلها حتى يكون الظرف من أسرائه

وقال أيضا فى وصف هذا الفرس [من الوافر] :

وأدهم يستمد الليل منه وطالع بين عينيه الثريا
سرى خلف الصباح يطير مشيّ ويطوى خلفه الآفاق ضيا
فما خاف وشك الفوت منه تشبث بالقوائم والمحيا

وله فى وصف سكين [من السريع] :

مرهفة تعجز وصف اللسان تسيف معنى ولها معنيان
تخلفه فى حده تارة وتارة تخلف حد السنان
سـ أنصر الرامون من قبله ماء وناراً جمعا فى مكان

* * *

فقر ومدائح وأمثال وحكم

قال فى ذم العراق [من الوافر] :

بلاد أنفس الأحرار فيها كعنب القاع تروى بالنسيم
تحوز بها وينفق كل شىء سوى الآداب ضرا والعلوم

وقال يصف كماة الحرب [من الوافر] :

نسوا أحلامهم تحت العوالى ولا أحلام للقوم الغضاب
إذا كانت نحورهم دروعا فما معنى السوابغ فى العباب

وقال يصف ضيف لهواء من الوافر :

ألا يا حبذا ضيف الغبوق وملبوس من العنش الرقيق

إذا ما الصبح أسفر نبهتنى جنوب مسها مس الشفيق

ألم فيه بقول ابن المعتز [من البسيط] :

والريح تجذب أطراف الرداء كما أفضى الشقيق إلى تثنيه وسنان

(رجع)

وفتيان تهمهم هموم حديثهم ألذمن الرحيق

وقال [من الطويل] :

وكنت إذا ما حاجة حال دونها نهار وليل ليس يعتذران

حملت على حكم القضاء ملامها ولم ألزم الإخوان ذنب زمانى

وقال من قصيدة فى سيف الدولة [من الطويل] :

وأفلت نقفور برقع جلده وفيه لآثار السلاح خروق[1]

يجر العوالى والسهام بجسمه كمحتطب للحمل ليس يطيق

سرقه من قول عنترة [من المتقارب] :

وغادرن ضمنة فى معرك يجر لأسنة كالمحتضب

وقال [من الطويل] :

ألا فاختش مايرجى وجدك هابط ولا تختش ما يختشى وجدك رافع

فلا نافع إلا مع النحس ضائر ولا ضائر إلا مع السعد نافع

سرقه من قول يزيد بن محمد المهلبى من الكامل] :

وإذا جددت فكل شىء نافع وإذا حسدت فكل شىء ضائر

وقال [من البسيط] :

سعى رجال فنالوا قدر سعيهم وجاء رزقى بلا سعى ولا طلب

حسن التأنى مفاتيح التعنى وفى قدر المطالب فى شدة التعب

---

[1] نقفور : اسم رجل من الروم وهو من ألقاب ملوكهم

وقال في نظم مثل من كتاب كليلة ودمنة من المنسرح [:

أحسد قوماً عليك قد غلبوا وكل من بادر المنى غلبا
وكنت كالكرم في تكرمه تلتف أوراقه عسا قربا

وقال [من الوافر] :

وإني لا أزال ألوم نفسي على طول التجنب والبعاد
وما أعتاض بالأقوام منكم وهل يعتاض صدر من فؤاد؟

وقال [من الوافر] :

وما استبطأت كفك في نوال على عدواه نأي واقتراب
ولو كان الحجاب لغير منع لما احتاج الفؤاد إلى حجاب

هذا أحسن ما قيل في الحجاب . وأحسنه بعد قول أبي تمام من البسيط [

ليس الحجاب بمقصر عنك لي أملا إن السماء ترجى حين تحتجب

وقال [من الكامل] :

مثل الخميت على الزمان وريبه عور الدراهم آفة الأحواد

وقال [من الكامل] :

من لم يذق غصص التفرق لم يمت الموت روح والفراق سقامه

وقال [من الكامل] :

يهوى الثناء مسود ومقصر حب الثناء طبيعة الإنسان

وقال [من الوافر] :

علل الدواء إذا مرضت وهل يشفى من الموت الدواء؟
وحذر الطبيب وهل طبيب وآخر ما يقدمه القضاء؟
وما أنفاسنا إلا حسوب وما حركاتنا إلا خطا

وقال ، وهو من قلائده البديعة ، لشرف الدولة أبى الفوارس من المتقارب]:

أسر إليك مقال النصيح ولست إلى النصح بالمفتقر
علمك إذا ضاغتك الرجال بضرب الرءوس وطعن التعر
ولا تحقرن عدواً رماك وإن كان فى ساعديه قصر
فإن الحسام يحز الرقاب ويبحر عما نال الإبر
وينفع فى الروع كد الجنان كما لا تضر الشجاع الخدر
شب الرعب بالرهب وامزج لهم كما تجعل الدهر حلواً عم

* * *

أبو الحسن محمد بن عبد الله السلامى

من أشعر أهل العراق . قولا بالإطلاق ، وشهادة بالاستحقاق وعلى ما أجريته من ذكره ، شاهد عدل من شعره والذى كتب من محاسنه تزه العيون . ورقّ القلوب . ومى الهموس

ومن خبره أنه ولد فى كرخ بغداد آخر نهار يوم الجمعة سلخ جمادى من سنة ست وثلاثين وثلاثمائة . ونشأ فى بيت محروم لا نهضة له مرة بن كعب بن لؤى بن غالب وأحد شعره وقال الشعر وهو ابن عشر سنين . فى أول شعر قاله فى شكاية فقره من المنسرح]

ضايع الحسن شبه مقترنه وأعين الناس فيه سقمه
سهام لحاظه مصوبة نحو فكل فى قلبه رشقه
قد كتب الحسن فوق عارضه حد سطيح رجز بن حسنه

وذكر فى صدر صباه وهو يتكسب فى مدح [...]

[...]

جرى فظننت أن الأرض وجه ودجلة ناظر وهو السواد

ورأى فى يد غلام يميل إليه مرآة فقال [من المنسرح] :

رأيته والمرآة فى يده كأنها شمسة على ملك
فقلت للصورة التى احتجبت من غير زهد فينا ولا نسك
يا أشبه الناس بالحبيب ألا نخبرنا عنك غير مؤتفك
قال أنا البدر زرت بدركم وهذه قطعة من الفلك
قلت فإنى أرى بها صدأ فقال هذا بقية الحلك

وخرج من مدينة السلام ، ووردالموصل وهو صبي حين راهق . فوجد بها أبا عثمان الخالدى ، وأبا الفرج الببغاء ، وأبا الحسين التلعفرى وشيخ الشعراء ، فلما رأوه عجبوا منه واتهموه بأن الشعر ليس له ، فقال الخالدى : أما أكفيكم أمره ، واتخذ دعوة جمع الشعراء فيها . وحضل السلامى معهم ، فلما توسطوا الشرب أخذوا فى ملاحاته والتفتيش على قرضاعه . فبينما هم كذلك إذ جاء مطر شديد وبرد ستر الأرض ، فأتى أبو عثمان بما كان بين أيديهم على ذلك البرد ، وقال : يا أصحابنا هل لكم فى أن نصف هذا ؟ فقال السلامى ارتجالا من مجزوء الكامل :

لله در الخالدى الأوحد الندب الخطير
أهدى لنا لما لزمن عند جوده بر السعير
حتى إذا صار هذا عن حنق الصدور
هبت إليه عساكره من حاضرى الندى بشرور
لا تحسدوه فإنه أهدى الخدود إلى الثغور

ويروى أن السلامى لما وصف هذا فضل ، ويعترفون له بالحذق

إلا التلعفرى فإنه أقام على هوله الأول حتى قال فيه السلامى [من الكامل] :

يا شاعرا بسقوطه لم يشعر ... ما كنت أول طامع لم يظفر
لو كنت تعرف والدا تسمو به ... لم تنسب ضعة إلى تلعفر
تاه ابن بائعة السموق على الورى ... فتذال صفعان وسكنة أعفر
وبلادة فى الشعر تشهد أنه ... بيس ولو نصرت بطبع المحترى
يحلو بأفواه الأنامل صفعه ... حتى كأن فذاله من سكر

وقال فيه أيضا [من الوافر] :

سما التلعفرى إلى وصالى ... ونفس الكلب تكبر عن وصاله
يشاقى حلقه حلق فتأتى ... فعالى أن تضاف إلى فعاله
فصنعى العيسه فى لسانى ... وصنعته الخسيسة فى مداله
فإن أشعر فما هو من رحالى ... وإن يصفع فأنا من رحاله

ودخل يوما إلى أبى نعامة وبين يديه درع فقال . صفها . فارتجل من الكامل

يدرى سابغة حتى نعمة ... كادتها باسوء غير معمد
أصحت تصون عن المنايا مهجتى ... وظللت أذلها لكل مهند

وورد حضرة الصاحب بأصبهان واسمطر مدحه سوء عزير . وسرى فى صد . قر مير . ولقيه بقصيده منها [من الوافر]

رمى العذال أم خدع الرقيب ... سقت ورد الخدود من الشيوب
وآذان تصد به عم سوه ... يوصون الشيبه للمشيب
وقفنا موقف التوديع وصى ... بحوم لدمع فوق عروب
سحب من عماق حر دمع ... عميل شبيع بالنحيب
وقد صرق امرى مه مطر ... دحب فى بحار و خطوب
ومن ذا لا يصاب صاحب حمد ... م . . . مرث من قوس

تبسطنا على الآثام لما رأينا العفو من ثمر الذنوب

هذا البيت من إحسانه المشهور ، ولمثله أمير شعره

ولولا الصاحب اخترع العوالي لما سهل الخلاص من السيب
ومن يغنى إلى ليث هصور لواحظه عن الرشإ الربيب
وكف يمس حد السيف طوعا وريب الكف من غصن رطيب
وشبها فكنت أنا نواس ولكن جل عن قدر الخصيب
ومن يك مثل عاد أبوه يعش بين الأنام بلا ضريب

أحرز الحاتمي الحاق ، وكنز المقل المعنى ، وأخا العريب

أمالك غير رأسك من عباد ولا غير العظائم من ركوب
تروض مصاعب الأيام قهرا وتحملها على عود صلب
و[illegible] تاج الملك بيضا بيمنه تنفس الكروب
وحرت الملوك فما أصابت لدار الملك غيرك من طنب
فمن عصب الإمارة بالحواشي ومن حوى الوزارة بالعصوب
و[illegible] سكندة وهضبه [illegible] معرق فيه سلب
[illegible] بحقكم [illegible] حقب تحصور سنان وسلب
[illegible] في [illegible] وعدت بكم دين تصبر والركوب
و[illegible] حر [illegible] عن [illegible]
[illegible] أنس [illegible] عن [illegible] فتنبه [illegible]

و[illegible]

[illegible]

قد كنت فيك شككت يا بدر الدجى حتى رأيتك فى التمام هلالا
وهواك على القريض مرادى حيث أنى منه أكسب مالا
هو مهبط نحو الأمير وهمه حملت إليه صلاته آمالا
ووتيرة الشعراء فى مدح وفى مسح فتجمع مسحاً ونوالا
ضربوا لك الأمثال فى أشعارهم لكنى لك أضرب الأمثالا

ولقى الصاحب بأرجوزة حسنة . منها [من الرجز]

يا راقداً لولا الخيال ما رقد هل لك فى عارية لا تسترد
موتى أتوا الخال بالعمد وفر حظ حيده من الجيد
لو لم يغص ماء التساب لا تقد قد استدار صدغه حتى انعقد
وصين ورد خده عن ورد إن أبا القاسم كالسيف الفرند
دو بدهات لم تجد فى حله أعز مسموح به الملك اعتضد
فما تحمل الورى ما عقد عبدهم ما قاله وما اجتهد
تشابه ما بين الأسود والعمد هل تستوى البحر الخضم والثمد
أميتى من كل حر مسعد أن يسر الصاحب فى طول الأبد
حتى يقال لم يضل عمر بن قد قد أوطأت رأس معتمد
كل غلام منهم رب لد سعد من رشد ما وشد
وسم روق سيفه إذا وقد والسماء من لمرتيه صرد
كالروح لا يكمن إلا فى جسد يحمله عن السوى عن الكبد
يحده وهو عريق فى النجد وإن جرى كانت له الريح مدد
حاص الدماء وتحلى بالزبد كأنه يسبح عن فى يمد
ما جرى الفكر إلى أقصى أمد سبح فقد أبعد حتى وعد
عذراء تفرع بها سبع لجج وعرضت على أبى الجهجه

وخل من عانقك وما اعتقد فليس للحاسد إلا ما حسد

وكتب من أصفهان إلى ذى الكفايتين أبى الفتح بن العميد وهو بالرى قصيدة منها [من الكامل] :

عبر الجواد بى الفرات ودجلة وأتى نداك فليس يعرف معبرا
فالآن يرجع يا على الفهقرى لم يستطع متقدماً فتأخرا
وأعيذها من أن يعارض مثلها باد هواك صبرت أم لم تصبرا
قالت وقد بعث الملوك بمهرها مهرى سواك فكن لغيرى جوهرا
ما ضرها إلا تواطؤ طيء فيها على نحت المعالى بحترا
جمل غدا عنها جميل مفحما وكثرن فى تفصيلهن كثيرا

وكان بحضرة الصاحب شيخ يكنى بأبى دلف مسعر بن مهلهل الينبوتى يشعر ويتطبب ويتنجم ، ويحسد السلامى على منزلته ، فيتعرض له ويولع به. حتى ألقمه السلامى الحجر بأن قال له يوماً [من الخفيف] :

قال يوماً لنا أبو دلف أبـــرد من تطرق الهموم فؤاده
لى شعر كالماء قلت أصاب الـــشيخ لكن لفظه براده
أنت شيخ منجمين ولـكن ست فى حكمهم تنال السعاده
وطبيب مجرب ماله ســـنجح فى كل ما يجرب عاده
مر يوماً بى على مفقد قر عيناً فقد رزقت الشهادة

ولم يزل السلامى بحضرة الصاحب بين خير مستفيض ، وجاه عريض ، ونعمة بضة ، إلى أن آثر قصد حضرة عضد الدولة فنيروز ، فجهزه الصاحب إليها ، وزوده كتاباً خصه إلى أبى القاسم عبد العزيز بن يوسف نسخته :

قد علم مولاى أطال الله بقاءه أن ذاكرة الشعر أكثر من عدد الشعر ، ومن يوثق أن حفظه إلى جوابها من صوغ طبعه ، وحسنه إلى يؤديها من نسج فكره

أقل من ذلك . وبمن خبرته بالامتحان فأحمدته ، وقررته بالاختيار فاخترته .

أبو الحسن محمد بن عبد الله الخزرجى السلامى أيده الله تعالى، وله بديهة قوية توقف على الروية ، ومذهب فى الإجادة يهش السمع لوعيه . كما يرتاح الطرف لرعيه ، وقد امتطى أمله ، وخير له إلى الحضرة الجليلة رجاء أن يحصل فى سواد أمثاله ، ويظهر معهم بياض حاله . فجهزت منه أمير الشعر فى موكبه، وحليت فرس البلاغة بمركبه ، وكتابى هذا رائده إلى القطر ، بل مشرعه إلى البحر . فإن رأى مولاى أن يراعى كلامى فى بابه ، ويجعل ذلك ذرائع إيجابه ، فعل إن شاء الله تعالى

فلما وردها تكفل به أبو القاسم، وأفضل عليه، وأوصله إلى عضد الدولة؛ حتى أنشده قصيدته التى منها | من الطويل | :

إليك طوى عرض البسيطة جاعل قصارى المنايا أن يلوح لك القصر
فكنت وعزمى فى الظلام وصارمى ثلاثة أشباه كما اجتمع النسر
يبشرت آمالى بملك هو الورى ودار هى الدنيا ويوم هو الدهر

فاشتمس عليه جناح القبول . ودفع إليه مفتاح المأمول . واختص بخدمه عضد الدولة فى مقامه وظعنه إلى العراق . وتوفر حظه من صلاته وخلعه. واللهى تفتح اللهى . وسير فيه قصائد كتبت عيون غررها . وكان عضد الدولة يقول : إذا رأيت السلامى فى مجلس ظننت أن عطارداً نزل من الفلك إلى . ووقف بين يدى . ولما توفى عضد الدولة تراجع طبع السلامى . ورفت حاله ، ثم ما زالت تتماسك مرة وتتداعى أخرى حتى انتقل إلى جوار ربه . فى سنه أربع وتسعين وثلاثمائة

* * *

ما أخرج من غرره فى النسيب والغزل

قال [من الوافر] :

منيت بمن إذا منيت أفضت ... منای إلى بنفسج عارضيه
وفاضت رحمة لى حين ولى ... مدامع كاتى وكاتيـــه

وقال أيضا , من المتقارب] :

وعنصر الخصر من بعده ... هربت فألقيت فى صده
وقابلنى وجهـــه مقبلا ... بحد الحســـام وإفرنده
فما زلت أعصر من حده ... وأقطف من مجتنى ورده
أتم بنفسج أصـــداغه ... وزهراً نعصفر فى خده
وأظما فأرشف من ريقه ... فياحر صدرى من برده
وما للحاظ سوى وجهه ... وما للعناق سوى قده

وقال أيضا ساعده الله تعالى من الطويل

وفيهن سكرى اللحظ سكرى من الصبا ... تعاتب حلو اللفظ حلو الشمائل
أدارت علينا من سلاف حديثها ... كؤوساً وغنتنا بصوت الخلاخل

وقال من قصيدة تشتمل فيها على هجاء بديع كان منه من المتقارب :

تعلقته بدوى مســـ ... ـو وجه وبدى بيت الجمان
أعانق من قده صعده ... وبى لمحصد ما سكان لسنان
أدار التنـــام على نقره ... وأهدى التشوق إلى الأقحوان
ومسك دوائه مســـائل ... على أن دمعه خمروى
يذوب الثنياه لنبح الكلاب ... إذ هاجت مرب العطران
أحبيه بالورد والياسمين ... فيصلو إلى التبيح و كيف
يشاق فينا عواء الذئاب ... إذا هاجنا ضرب العرفان

فيا بدوى سهام الجفون صرعن ضيوفك حول الجفان
فإن كان دينك رعى الذمام فقل أنت من ذمتى فى أمان

ومن قصيدة شبب فيها بغلام عيار من الشطار من المنسرح :

يا مرهفا فى لحاظه مرهف وعطف القد سهمه عطف
من أودع الورد وجنتيك ومن نقش طرز العذار أو غلف
وما لهذا الصدغ المشوش قد عارض طرق التقبيل واستهدف
أطلع أفق العجاج لى قمرا بين نجوم تجول أو زحف
يقطر ماء الجمال منه وير تج إذا ارتج ردفه المردف
ومسرف الحسن لا يلام إذا جار على عاشقيه أو أسرف
عقف كلابه وأرهفه فقلت يكفيك صدغك الأعقف
نغنيك عن سهمك اللحاظ وعن صارمك العضب قدك الأهيف
ومال كفى على سوالفه والموت من دون لمسها يسلف
ثم مر السحاب يسحب فضل الكم عجباً وفاض المطرف
وقال والورد قد تعصفر فى خديه غضاً وآن أن يقطف
متلك يلقى بدأ على أما كاف من ناظرى أن يتلف
لو مر بى الليث مات خوفا ولو أبصر طيفى فى النوم لم يطرف
أنا العذاب المذاب والأسد الأ سود لكن المقرف المقرف
أشطر منى فتى إذا وفيت عليه عينى فى الوقت لم يتلف
إذا سرنا بدت الكروم فما السيص حيى ودلقنا تحف
ولما وقى الله سيرى عن عزيز وهت مستضعف
كم حى حتى أسير وقد هوى والأرض تحتنا تخسف
تقدمت مالا فسمت أول من أخط حلا من قبل أن يعرف

البدر لا ينسخ الظلام على ديباجتيه والبحر لاينزف
عزمت أن أدعى عليك فلا تصغ إلى من لحا ومن عنف
ولا تكلنى إلى اليمين فلو شئت أكلت الزبور والمصحف
فافتر عن لؤلؤ وأسفر عن ورد وقبلته فما استكف
وقال ما تشتهى فقلت له نقصف حسادنا بأن نقصف
فمال بى والظلام شملته وبجره فى يمينه مرهف
إلى رياض يغازل القطر ما دبج من زهرها وما فوف
ما بين فتيان لذة عرفوا العيش فنالوا نعيمه الألطف
هذا يحيى وذا يغار وذا يلثم كرهاً وذاك يستعطف
برد الثرى بردنا وقد زرر البدر علينا دواجه المحصف
وبيننا خمرتان من ريقة الكرم وريق أشهى من القرف
ولطف الله لى بمدرجة أمتالها عند مثلى تلطف
أنشدته شعر مكشف فأق يلثم تلك السطور والأحرف
ومات سكر فمت من فرح وكاد سترا عرام أن يكشف

وله فى غلام عباسى التحى فازداد حسناً [من المنسرح] :

لما التحى أصبحت عمامته السوداء تجلى مخضرة الحبك
وصار يختال أن يلين بخلق السخز عن ردفه أو الفتك
فى كل يوم تراه مؤتزراً بالروض بين الحياض والبرك
وما علمنا بأنه قمر حتى كسانى قطعة من الفلك

وقال من أرجوزة [من الرجز] :

وليلة كأنها على حذر مرهف أسرع من لمح البصر
من قصرها لم أر ليلا مختصر ولا رماناً لم يبن من القصر

والليل لا يركب إلا فى غرر إذا وفى أحبابنا فيه غدر
زاروما اسود الدجى ولا اعتكر أبيض إلا المقلتين والشعر
أغر أوقاتى إذا زار غرر فلم يسكن إلا السلام والنظر
أو قبلة غالستها على خطر حتى انتضى الصبح حساما مشتهر
وانفل من أهواه فى جيش البكر فبت تعزونا كأنى لم أزر
* واحسرتا لليلنا كيف انحسر *

وقال [من المتقارب] :

عذارك جادت عليه الرياض بأجفانها وبآماقها
وطال غرام الغوانى به فقد طرزته بأحداقها

وقال [من الخفيف] :

فاض ماء الجمال فى الأقطار كل بدر مطرز بعذار
قد أرانا عقارب الشعر من خد يه تأوى مكامن الجلنار

وقال من قصيدة [من المتقارب] :

يفض الغزال جفون الغزل وقد فضح الكحل فيها الكحل
ولا وجنى الورد فى وجنتيه ما أوجب اللثم ذاك الخجل

وقال من أخرى [من الكامل] :

ما تسرع الألحاظ تخطف وردة من خده لا عثرن بخاله
مذ نقبوه وزرفنوا أصداغه ختموا عاشه على أقفاله

وقال من الرجز :

مرض الشعر عارضيه وأطلق العشق من يديه
كان لصبا يهز فى عطفيه وحسن يجرى خجله إليه
حتى إذا أعصر وحنده حسنه نفس حاجبيه

بهاد عذاريه بعبرتيـــه كأنما يغسل من خديه
صحيفة قد كتبت عليه »

وقال من قصيدة شبب فيها بغلام تركي [من الكامل] :

علقت مفترس الضراغم فارسا رحب المدى والصدر والميدان
قمر من الأتراك تشهد أنه الـــخود الحصان على أقب حصان
البدر في ظل الغمامة والنقا في سرجه والغصن في الخفتان
ألفت طرتـــه وغرته وما كان الدجى والصبح يأتلفان
ورمى بلحظيه القلوب وسهمه عجبت كيف تشابه السهمان
نطل حمائله كعارضه وحا جبه الأزج كقوسه المرنان(١)
حيتـــه عدنا وأمطر راحتي قبلا فليت في مكان بنانى
وخدعته بالكأس حتى ارتاض لي ودرأت عني الحد بالكتمان
والمرء ما شغلته فرصة لذة ناسي العواقب آمن الحدثان

وقال من قصيدة [من البسيط] :

وأعرضت إذ رأت في عارضي درر منظومة سمها الأحزان بنتظم
وللصبـــابة قوم لا يسرهم أن يلبسوا الوشي إلا تحته سقم
أشتاق أهلي نفسي بين أرحلهم والحب يوصل إذ لا توصل الرحم

ومن أخرى [من البسيط] :

مرض عنك بموجود ولا عذلا أعز من عنده النصر التي بدلا
يحكي المطايا حنينا والهجير حوى ومن جفونا دمعا وأطلال الديار بلى

ومن أخرى من البسيط :

حب كالدهر بعضنا ويرجع لا يأس يصدع عنه ولا طمع

(١) الزجه : ما تحت الحاجب . وقوسه المرنان : سمي بذلك لرنين صوته

صحبته والصبا يغرى الصبابة بى ... والوصل طفل غرير والهوى يفع
أيام لا النوم فى أجفاننا خلس ... ولا الزيارة من أحبابنا لمع
وليلة لا ينال الفكر آخرها ... كأنما طرفاها الصبر والجزع
إذ الشبيبة سيفى والهوى فرسى ... ورايتى اللهو واللذات لى شيع
أحييتها ومدبى فى الدجا أمل ... رحب الذرى وسميرى خاطر صنع
حتى تبسم إعجابا بزينته ... لفظ بديع ومعنى فيك مخترع

ومن أخرى [من الطويل] :

رسولى إذا لم يغشهن رسول ... صباً وقبول بل صباً وقبول
وقلب سوى قلب الكتيبة باسل ... وحد سوى حد الحسام صقيل
وما حسن صبر ما تزين ولا رضا ... بنأى ولكن الحب حسول

كأنه ألم فيه بقول المتنبى [من الطويل] :

وما عشت من بعد الأحبة ساوة ... ولكنى للنائبات حمول

ومن أخرى من الخفيف] :

أنوار وأين دار نوار ... أظلم الناس فى أشط الديار
ذات صدغ من البنفسج قد ما ... ل على وجنة من الجلنار

ومن أخرى [من الوافر] :

ويغرينى بذكر الربع غيد ... به صيد وحور فيه عين
سلان من الحداق السود بيضٌ ... فما ندرى قنان أم قنون

* * *

الخمريات وما يتعلق بها من سائر الأوصاف و التشبيهات

كتب إلى صديق له يصف البرج من نوفر

أشقه بشبوح ... على حكم من ... صديق

نهر الرياح عليه درع مذهب بالمروب وبالشروق
إذا اصفرت عليه الشمس صبت على أمواجه ماء الخلوق
وقفت به فكم خد رقيق يغازلنى على قد رشيق
وجر شب فى الأغصان حتى أضاع الماء فى وهج الحريق
هدم الخيل فى ميدان تبر يصاغ لها كرات من عقيق
هل لك فى ختام المسك بعضت نوافجه ومختوم الرحيق

وكتب إليه فى وصف الجلنار [من الوافر] :

أحن إلى لقاء أبى على ويأبى أن يحن إلى جوارى
وقد جلست علينا الراح حتى ملأنا جلوة البيض العذارى
وصفر أوجه العذال يوم وجوه تموسه تحكى اصفرارى
ونهر تمرح الأمواج فيه مراح الخيل فى رهج الغبار
إذا اصفرت عليه الشمس خلنا نمر الماء ممزج بالعقار
كأن الماء أرض من لجين معتناة صفائح من نضار
وأشجار تحمله كنوسا تضاحك فى احمرار واخضرار
لدى أبصرن فى نهر سماء وهن له نجوم الجلنار
فزرنا إذ أدار الراح تكوى السندامى حيثى عار ونار

وقال فى الدير لدى بقصره أبو مدحان، وقد شربوا هنالك ونسوا أكاليل الزهر ورمو السادق من كفوبين]

أقصره أبو مدحان دونه دجور سهى لا تألف الجور غيرها
سرى ما سرى ثم انجلى بعد ركده على وجه الأصباح نشر طيرها

وكتب يستهدى سيرجا [من البسيط]

أبيت أشكو إليكم عدوه ظمئى وهو متلفات أنى سوف أعتنق

فقد كتبت إلى أن عانق قلقى وقد ترددت حتى ملنى الطرق
أنت امرؤ جوده عمر وناثله عمر ووبل نداه مسبل غدق
فابعث إلى بصفو الراح يشهه منى مريض ومنك العرف والخلق

وكتب إلى أبى القاسم عبد العزيز بن يوسف [من الوافر] :

أظن اليوم يعطل بالمدام فإن الأفق محمر الغمام
وما عودت حمل الكأس إلا على سكر الكروم أو الكرام
وعهد سماء جودك بالعطايا كعهد دم الأعادى بالحسام
إذا طلعت شموس الراح فينا وهينا كل مسرجه اللجام
أحر الجود فى بحر الأيادى وبدر الملك فى بدر التمام
ومن عدا يوسف صبر اسمى وصبره الندى مولى السلامى
إذا ركبت أناملنا كميتاً من الحبب المفضض فى لجام
حبينا بذكرك وانتقلت بمدحك دون سادات الأنام
طربت فما أبالى ما وراكى وبدر الراح مشعله أمامى
حمول المزن مدعدمت نواك نزحنا وحد لورد نامى
فأحى بها فى أحلى مياه عدم من عداك إلى خمام

وكتب إلى صديق يستدعيه أياما منه [من الكامل]

يوماً لذيذ به الخلاعة حسنه وسحنها فسحت حبر لباس
فى مجلس رحب العناء متوح الـ ـكاسات فيه مسب خلاس
والطير قد صرفت بحسن صياحها بما نطقت سبب الكاس
والشمس من خلل الغمام كأنها كعبة بعض لباس
أو لا أبالى من عقاب من لوى به حصب أو كل الناس

وقال من قصيدة [من السبط] :

وظبية من بنات الإنس فى يدها ... ووجهها للصبا والحسن خاتام[1]
قد حللت لؤلؤ الأزرار عن درر ... لمن فى ثغرها الفضى أتوام[2]
وزارت الروض منها مقلتان لها ... وحشيتان وعذب الريق بسام
والكأس المسكر التبرى صافغة ... والماء للحبب الدرى نظام
بنا تكفكف بالكاسات أدمعنا ... كأننا فى حجور الروض أيتام

هذا البيت من إحسانه المشهور فى ابتداع الاستعارة

وقال من أخرى من المتقارب] :

نفرغ أكياسنا فى الكؤوس ... نبيع العقار ونشرى العقارا[3]
حمدنا الهوى ونسينا الفراق ... ومن يشرب الخمر ينس الخمارا

ومن أخرى من الخفيف

اشربا واسقيا فتى يصحب الأيـ ... ـام نفساً كثيرة الأوطار
والنفوس الكبار أنف من ذلـ ... ـة أن يتربوا بعير الكبار
فى جوار الصباح سوف عمرت بالغصون والأفنان
وعلى أذن تضايـ ... ـر وتصغى لنغمه الأوتار
بين قوم بعضهم يحسد الكأس أو يركع على المزمار

---

[1] [illegible] فى حلة وهى [illegible]
يذهب ذات حوراء منشق ... لحنت خاتمى بسر حق

[2] الأتوام جمع توءمة وهى كل اثنين من لؤلؤ

[3] العقار الخمر سميت بذلك لأنها تعقر شاربها وهو حبسه

ومن أخرى [من الكامل] :

نسب الرياض إلى الغمام شريف ... وعملها عند النسيم لطيف
فاشرب وتقل وزن جمامك إنه ... يوم على قلب الزمان خفيف
أو ما ترى طرز البروق توسطت ... أفقاً كأن المزن فيه شفوف
واليوم من خجل الشقيق مضرج ... خجل ، ومن مرض النسيم ضعيف
والأرض طرس والرياض سطوره ... والزهر شكل بينها وحروف
وكأنما الدولاب ضل طريقه ... فتراه ليس يزول وهو يطوف

ومن أخرى [من الطويل] :

ولباسة حلى الشباب لعوبة ... تطرق الهوى عقادة للزمائم
غزال صريم فى رجوم صوارم ... وبدر تمام فى نجوم تمائم[1]
وكان رقادى بين كأس وروضه ... فصار سهادى بين طرف وصارم
ولولا نسيب مطرب من قصائدى ... لما احتال طيف فى زيارة ناتم

ومن أخرى [من الكامل] :

أنسيم هل للصلح عندك موضع ... فيزور طيف أو تهب نسيم
والشيب دونك والهموم مضمر ... والهجر وهو بفرق مكتوم
بى وبين الراح مثل حبابها ... دمع على وجناته مسفوح

ومن أخرى [من الطويل] :

وقد خالط الفجر الظلام كما التقى ... على روضة حمر ، وزرق وأدهم
وعهدى بها والليل ساق ووصلنا ... عقار وموها المسك أو كأسه فم
إلى أن بدا الصبح وعرى ... قصر عقود الدر والشرق عنه

---

[1] [illegible]

ونبهت فتيان الصبوح للذة طبوا وما فيهم سوى الليل نائم
وفى كل كأس للندامى بقية تلوح كدينار يغطيه درهم

* * *

سائر الأوصاف

نزل عضد الدولة شعب بوان والسلامى معه متوجها إلى العراق ، فقال له . قل فى الشعب ، فقد سمعت ما قال المتنبي ، فعاد إلى خيمته وكتب [من البسيط] :

اشرب على الشعب واحلل روضة أنفا قد زاد فى حسنه فازدد به شغفا
إذ ألبس الهيف من أغصانه حللا ولقن العجم من أطياره نتفا
وأثمرت حسنه الأغصان مثمره من نازع قرطا أو لابس شنفا
والماء يثنى على أعطافه أزرا والريح تعقد فى أطرافها شرفا
والشمس تخرق من أنجادها طرفا بنورها قرينا تحتها طرفا
من قائل نسجت درعاً مفضضة وقائل ذهبت أو فضضت صحفا
ظلت تزف له الدنيا محاسنها وتسعد له الألطاف والتحفا
من عارض وكما . أو طائر هتفا أو بارق خطفا ، أو ساتر وقفا

هذا مما قاله بديهاً وليس بمستحسن فى الوزن إلا أن أبا تمام قال [من الطويل] :

يهول فيسمع . ويمنى فيسرع . ويضرب فى ذات الإله فيوجع
رجع .

ولست أحصى حصى الياقوت فيه ولا درا أصادفه فى مائه صدفا
يظن من وقعت فيه نتحون به أن الصبابة شابت والهوى خرفا
عسف الشوق فيه كل ذى شجن والشوق ألطفه ما كان معنسفا
فحل عرى نظمه و سربه متسعة رق النسيم عباراة لها وصفا
ماذا يقول لك المدح ؟ قد نفدت فلك المعانى وبحر اللفظ قد نزفا

لم يبق لى حيلة إلا الدعاء فإن يسمع ظللت عليه الدهر معتكفا

وقال من قصيدة سذقية فى أبى الفوارس وأبى دلف [من البسيط] :

مازلت أشتاق ناراً أوقدت لهما حتى ظننت عذاب النار قد عذبا
يعلو الدخان بسود من ذوائبها قد عط فيها قناع التبر واستلبا
قد كللت عنبراً بالمسك ممتزجا وطوفت جلناراً واكتست ذهبا
فالنور يلعب فى أطرافها مرحا والخز يرعد فى أكنافها رهبا
وطار عنها شرار لو جرى معه برق دنا أو تلق كوكباً لكبا
لو كان وقت نثار خلتـــه درراً أو كان وقت انتصار خلته شهبا
والليل عريان فيه من ملابسه نشوان قد شق أثواب الدجى طربا
أقسمت بالطرف لو أشرفت حين خبت حملت أنفس أعضائى لها حطبا

وقال من قصيدة أخرى [من الخفيف] :

فسمونا والفجر يضحك فى الشر ق إلينا مبتراً بالصباح
والثريا كأنها أو كجام أو بنان أو طائر أو وشاح
وكأن النجوم فى يد ساق تتهاوى تهاوى الأقداح
وجمعنا بين الملاحظ والرا ح وبين الخدود والتفاح
وشممنا بنفسج الصدغ حتى طالعتنا من الثغور الأقاح
زمن فات بين لهو وشرب وغناء وراحـــه ورياح
معقلى نهر معقل فإن ارتحـــت إلى منزل فسير نجيح
وحياتى بما حوته إلى الخا ر مصروفة أو الملاح
مركبى مثل لمتى أدهم حو ن ويحكيهما مديحى ورماحى

مركبه السفنه والزورق وهما أسودان . ولمته سوداء لأنه شاب . ومدحه أسود لأنه عرق . وسنده نبيذ التمر وهو أسود

وقال ، وكتب بها إلى الشريف الرضى، وكان خرج من داره فى المطر فأعطاه كساء استتر به [من الكامل]

ما زال فى مهر الشبيبة جامحاً حتى حملت على المشيب الكابى
فسمعت أقبح ما سمعت نداءها ما بال هذا الأشيب المتصابى
إنى حلفت برب أشرف كعبة فى مشهد النشوات والأطراب
وبكل عقلوع العذار مجرر فضل الإزار مسحب سحاب
وبمصرع الدن الجريح وحرمة السوتر الفصيح وذمة المضراب
ومتى حلفت بمثلها متأولا فصدقت بالأزلام والأنصاب
وأنا دعى فى البلاغة ملصق فى الشعر منسلخ عن الآداب
ويباع فى الأكراد شعرى إنه يغلو إذا ما بيع فى الأعراب
لقدار تقت بغى أبا الحسن العلى يطمحن منه إلى الأبى الآبى
الموسوى الناصرى أبوة وخؤولة علوية الأنساب
فى حيث أرتت النبوة نارها فحبا نشور الحق كل سهاب
لا أدعى لك . إنما لك أدعى أنى وصلت إلى أعز جناب
زاد الإله بكم فريشا رفعة وأقر عين قصيها بن كلاب
متناسلين وأنت كنت مرادهم مترددين إليك فى الأصلاب
حتى ولدت فأغفلوا أنسابهم وغدا وجودك أشرف الأنساب
أنسان هاشم الذى بمروته تقرى وتظر غالب الغلاب
أشكو إليك عشية لم تفترق فيها على ملل ولا استنعتاب
ما كنت إلا حنة فارقتها كرهاً فصب على سوط عذاب
ودعت دارك والسماء تحودنى بسد الغمام فلا أرى لك ما فى
مازلت أركض فى الوحول مبادرا فيها الخيول لواحق الأقراب

فجريت والعكاز أخصر شكتى … قصراً ولكنى أعز ركاب
ورأيت غالية الطريق ومسكه … طينا ممداً لى على الأثواب
وحى كساؤك لاعدمت معيره … دراعتى وعمامتى وجبابى
فوليت يا بحر السماحة كسوتى … وولى أخوك الغيث بل ثيابى
غيثان هذا ابن الذى من أجله … خلق السحاب وذا سليل سحاب
فوصلت أشكو ذا وأشكر ذا وبالـــغيثين ما بهما من التسكاب
وخريدة عذراء رحت أزفها … ما بين ألفاظ شرفن عذاب
جاءتك بعملها الحال ، وربما … وقف الحياء بها دوين الباب
أهديتها خجلا إلى متغلغل … أفكار عصره مرة الآداب !!
لا بل القريض ابن المعافى بل أخى الـ … إعراب حين يعوه والإغراب
ضمن الحسين له وموسى رتبه … فى الفضل نافرة عن الخطاب
انظر بعين رضا إلى ما صغته … وأعره سمع مسامح وهاب
وتجاوز الخطأ لتسبيع وأخفه … عن ناظر المتعيق المغتاب
وحى إذ أنشدتها فى محفل … تعترت بين عيوبها بصواب

وقال من قصيدة عضدية فى يوم صب الماء من مجزوء الكامل :

عدل الحبيب فلن يجور … ودنا فأين [illegible] بعير
عوضت من عيش بدو … فى ظلال كئيب دور
وتركت ما وسع الصغيـــر ووردت منه حيث الكبير
ببيت بدمائى وقد … عبرت بشعرى الصور
والبدر فى أفق سما … كروضة فيه غدير
هبوا عصه … فى رفقـــة وبه وله [illegible]
وأسماء [illegible] مس … ففتنته كان [illegible] هو مشير

مرعى بمعركة تعـــف الوحش عنها والنسور
نوار روضتنا خدو د والغصون بها خصور
والعيش أستر ما يكو ن إذا تهتكت الستور
هبوا إلى شرب المدا م فإنما الدنيا غرور
طاف السقاة بها كما أهدت لك الصيد الصقور
عذراء يكتمها المزا ج كأنها فيه ضمير
وتظن تحت حبابها خمداً تقبله ثغور
حتى سجدنا والإما م أماما متنى وزير
وإذا صحونا فاللـــا ن العذب والفكر الغزير
نقتض معنى أو يولـــد بيننا مثل يسير
أو يمدح الملك الخليـــل السيد الفرد الخطير
ماعزه شيء بغـــا ه فكيف أعوزه النظير

ومنها :

وغداة أنس بشرتـــك بها المعازف والخور
إذ ماء ورد غيثنا والأرض ترتها عبير
تغرى بصب الماء با ملكا أأمله يحور
ويقول سيبك هكذا صبت على العافى البدور
ويقول سفك هكذا تجرى ، إذا غضب ، النحور
هيهات تسم الثغو ر ولم تسدبك الثغور
قد أدعت أرض العد و وجاء بالنصر البشير
هدى الأماني في عـــد والسرور معى أجير
وهنيء معصمت ص في إذ د القمر المنير

وجررت أذيالي بمجـــلسه وقلت لمن جرير
وكأن عاماً عشته في ظله يوم قصير

وقال يصف القناعة ، وألقاها على طريق الإلغاز [من الوافر] :

شغفت بداية لي أشتهيها وما فيها عن الوصل امتناع
باردة الحس وما اشعرت معصمة وليس بها صداع
تمنع أو تحل دؤاتاها ويحسر عن معارفها القناع

وقال يصف سوداء [من البسيط] :

يا رب غانية بيضاء تضحكني من العتاب كؤوساً ليس تنساع
أشتاق طرتها أم صدغها ومعي من كلها طرر سود وأصداع
كأنما لا أتاح الله مرقدها يا لمه المسك نار تحته زاع(١)

وأمره عضد الدولة أن يعمل أربعة أبيات تكتب على حواتيم الساء مكتب [من الكامل] :

مرقومة الحسنات بالبدع التي لم يهدها فض الربيع لروضـــه
كتمت روائحها فلما عدت بالنار فاح نسيمها فأعرت
وكأنما الملك الأجل "السيد" منصور عضد الملك روح الدولة
أذكى محامدها سنا ذكاته وعد الدخان على عبو غمه

وقال من قصيدة عضدية سدفه [من الطويل] :

لست ترى الأوضح في دهمة الدجى ومستوهب مستطرف بعيد
دجاً مجتلى الصفات مبرده بروق وعقد الليل فيه وثاق(٢)

---

١ الزاع عرق يصفر له الوجه

٢ سجوه سترة

وليلا كيوم الوصل أما رياضه فزهر وأما مسحكه فتتيق[١]
وبغداد بحر ساحلاه جواهر ودجلة روض طرتاه شقيق
وقد صار ياقوتا حصاها وعنبرا ثراها وأمسى الماء وهو رحيق

وقال من أخرى [من المتقارب] :

ولم نر بحراً جرى بالعقار ولا ذهباً صيغ منه جبل
إلى أن جرت دجلة فى الشعاع وطنب بالنور أعلى القلل
سحاب الدخان وبرق الشرار ورعد الملاهى وغيث الجدل
وما زال يعلو عجاج الدخا ن حتى تلون منه زحل
فكنا نرى الموج من فضه مذهبه النور حتى اشتعل

وقال من أخرى يستهدى مهراً ويصفه [من الطويل] :

إليك بعنناها شوارد ضمنت معانى لولاها لما شرف الشعر
عروساً ولكن زوجت بنت ليلة مخدرة لكن فكرى لها خدر
إذا قال جسمى تستحث بحلة نقول له رجلاى بل مهرها مهر
فمن لى به لا الدهم فازت بلونه ولا البرش حازت ردنيه ولا الصقر
كميت تذال الشهب والبلق إن بدا وتسمو بما نالته من شبهه الشقر
يخوض إذا لاقى دماً مثل لونه ولا ماء إلا ماء رونقه الغمر
فغرته مسضة وحجوله ولكن أريقت فوق سائره الخمر
وأسبق من عاف إليك وشاعر فوافيه أفراد عجلة غر
فلو شامه فى أرض فارس فارس لما أمسيا إلا ومصر له مصر
تاج فتى فى الحرب تنتج خيله وبالدم تسقى والنزال لها ضمر

---

(١) الفتيق : المشرق .

وقال من أخرى فى وصف السكر المبنى بشيراز [من الطويل] :

على نهر سل فى دجى الليل من رأى كواكبه زهراً تأمل أم زهرا
إذا طلعت فيه النجوم فما ترى به العين إلا الثلج مستودعا جمرا
ترى قد أعاد الليل مسكا عبيره وماء أعاد البدر فضته تبرا

ومن أبيات يصف فيها ارتطامه فى الوحل وتلوث ثيابه [من المنسرح] :

جلة أمرى أنى ركبت إلى دارك — لما أتيتها — الخطرا
لبست دراعتى وعمتى الـــخز فصارا كما ترى حبرا
أصبحت فى الطين عقعقاً بلقا وإن تعريت خلتنى نمرا

ومن أخرى فى وصف عمامه [من البسيط] :

حسناء صافية بيضاء ضافية كأن رونقها فى صارم ذكر
يزين أطرافها طرز كما رفقت على المجرة طرز الأنجم الزهر

وقال فى وصف زنبور [من الطويل] :

ولابس لون واحد وهو طائر ملونة أبرادها وهو واقع
أغر محتى الطيلسان مدبج وسود المنايا فى حشاه ودائع
إذا حك أعلى رأسه فكأنما تساقطه من يديه جوامع
يخاف إذا ولى ويؤمن مقبلا ويخفى على الأقران ما هو صانع
بدا فارسى الزى يعقد خصره عليه فتاه زينته الوشائع
فمجره الوردى أحمر ناصع ومئزره التبرى أصفر فاقع
يرجع ألحان الغريض ومعبد ويسفى كؤوس مؤهنا السم ناقع

غرر من مدائحه السعدية وما يتصل بها

قال من قصيدة [من البسيط] :

يزور نائلك العافي وصارمك الـ ـعاصي فتحوبهما أيد وأعناق
في كل يوم لبيت المجد منك عنى وثروة ، ولبيت المال إملاق
كم حضت في لجة كالبحر زاخره ماء المنون بها حاشاك دفاق
وفتية من ليوث الحرب قد حطمت بالمرهفات لهم في الروع أرماق
من كل نعل حياة لا يعاقدها إلا على أنه في الحرب مطلاق
أمام كل حميس كل يوم وغى كأنه في صدور الخيل ألحاق
رم أين شئت من الدنيا تنله فما للبحر عرض ولا للبحر أعماق
من شك أنك مخلوق لتملكه كفى بك من شك أن الله خلاق
فللسماء سماء من علاك وللـ ـآفاق من ذكرك المحمود آفاق

ومن أخرى [من البسيط] :

يا أهل لست عشتاق إلى وطني حتى أرى حل فاحسر بذكم
أصحى بها في الأصحى عمره لا مغرب التمر فيها ولا العجم
أصحبه أصحبه في غير يوم وغى ما أصحبك إلا الخيل واللهم
وإنما أنت لطف الله جسمه ما وفي يدك الأرزاق والقسم
عدلت حتى همما أن تحور . وكم من شاكر همّ في صمتها بقم
بن المسيح وقد ماتت دلالته ولا هدى مثلت به الأمم
في كل ناحية تزعجها أمم هدى منها بعيد والأذى أمم
إن البلاد ومن فيها مروعة بها إليك وإن ما ضلتها فرم
وما نالي إذا كنت شاهدها بن عاف معتصد عنها ومعتصم
عمر مضى أو يوم سوف أدركها وفي موتك في أمثالها قسم

ومن أخرى [من الطويل] :

يشبهه المداح فى الأس والندى ... بمن لو رآه كان أصغر خادم

فى حشمه حسون ألفاً كمنز ... وأمضى وفى خزانه ألف حاتم

ومن أخرى [من البسيط]

ومدح غيرك دس لا يقال . وما ... تصوغه فيك تهليل وتحميد

عش أعش فى ذرى رحب ودم بدم ... السحيرات لى وابق يبق الجد والجود

وقال من أخرى يصف بها قصرا بنى على دجلة ونقشت فى حيطانه أشعاره [من الكامل

فالروض عقمت الصبا أصداعه ... والموج صفقت الشمال طراره (١)

وأظل دجلة أسلمت ، أو ما رأيت ... الجسر يقطع وسطها زواره

وحكى بناء المجد فيها عارض ... عرس الصنائع حولها أشجاره

قد صور الملك المدار كأنه ... أنشاه فى كياله وأداره

وبنى على سرف الثريا قصره ... وطحا على فلك السماء داره (٢)

فالنيد يصقل صابوه لحبه ... والساج ينقش مخلصوه بضاره (٣)

شعلت حواظ وخط عوبا ... من صار نحس صوره أشعاره

أوسع مثالا بن حضرت بنائه ... وبنى لسيف الدولة بعد ذكره

يبنى العمائق واصف أحباره ... ويبين مصر معدد أمصاره

ومن أخرى فى وصف حرب ، وهو أحسن ما قيل فيها من الكلام

يا سيف دين الله ما أرضى العدى ... وأبر سعلك من عدت عدى

---

(١) الصرار جمع صرة وهى صبارة ، وهو شجر من

(٢) صحا بسقف ... من ... فى ... حسن ...

(٣) شبه ... فى ... حسن ...

ما إن سننت لهم سناناً فى الوغى إلا أطل عليه منهم أبطل
فالروض من زهر النجوم مضرج والماء من ماء الترائب أشكل
والنقع ثوب بالنسور مطير والأرض فرش بالجياد مخيل
يهفو العقاب على العقاب ويلتقى بين الفوارس أجدل ومجدل
وسطور خيلك إنما ألفاتها سمر تنقط بالدماء وتشكل

ومن أخرى فى وصف يوم الفصح وإقامة رسمه [من الكامل] :

لولا اشتياق الماء كفك لم يكن قلب الندى وحشى السحائب تنزل
ولقد نثرت على الهوا أمثاله ذا سجسج صاف وهذا سلسل
وكأنما ذهبى زرافاتنا ترمى بأسهم فضة تتسلسل
من فوق كل ذؤابتين سحابه أو بين كل اثنين منا حدول
فأرقت حتى ماء وجهى إنه مع غير ماء الورد لا يتبدل
فاترك لنا ماء الشباب ولا ترق ماء الصرارم هو فيها أجمل

ومن أخرى وقد دخل عضد الدولة إصبهان والتقى مع أبيه ركن الدولة وأخويه [من البسيط] :

لم يدر حتى وقد جاء البشير به أن الزمان لما نرجوه متسع
فزارها لست غاب تحته فرس وبدر تم عليه التاج والخلع
لما تطلع والرايات تكتنفه فى ظلها وشعاع الشمس مرتفع
أعدى بإقباله من أهلها نفراً لم يعلموا أن در السعد يرتضع
فليهنها منه روض زهره درر فتن العقود ومزن قطره دفع
لاحظ أباك هنى مصر معرضه وأنت يوسف والأسباط قد جمعوا
سكنهم ما هوا غدراً ولا نقضوا عهدا ولا أضمروا غلا ولا ابتدعوا
أن أخا الجود وابن المجد لا يلد إلا سماكك أو ما السيف يفترع

فدى لجودك آمال وسايلها ومطمع من بحار الشعر ممتنع
فالقائلون بطاء عن مداى، وإن أبدعت معنى فهم فى أخذه سرع
هم إذا خلطوا شعرى بشعرهم كالطير يهذون أو يحكون ماسمعوا

ومن أخرى يذكر فيها التقاءه بالطائع لله بعد أن رده إلى مدينة السلام وكان فارقها وهو شاب وعاد وهو أشيب [من الكامل] :

واشتاق طلعتك الخليفة مظهراً لك شوقه المطوى فى أسراره
ودعا الملوك فلم يلب دعاءه إلا أحقهم بدار قراره
عظمت أمر الله فى تعظيمه وأقمت دين الله فى استحضاره
وافاك فى برد النبى محمد بهدى النبى وسمته ووقاره
يشكو إلى الإسلام وخط مشيبه ما كلفته الترك من أسفاره
حتى بدا عضد الهدى وكأنما كان الخضاب أحال شيب عذاره
حتى إذا أبدى الإمام أمامه ملكا كبدر التم فى أنواره
خلنا على الكرسى لبسا غابه سمر القنا نبت بعبص بحاره
وغداة ظلت مساير الإقبال فى حلع الإمام وطوقه وسواره
منسوراً راهبة منطوة بالشمس أو بالبدر أو بإطاره
فى خلعه صبغ الشباب بعونه فاخلق قد حسن على زيناره

هذا من أملح ما مدح به الملوك لأسود . وقد سبق إلى ذلك

غرر من سائر مدحه وما يتصل بها

قال من قصيده فى أبى الوفاء طاهر بن محمد [من الوافر]

ركوب الموت أركبك ابتداكا وبأس بمرج أنست هلالا
ويومك يوم عيد غير أنك تحق سرى بقلبك

وله فى عبد العزيز بن يوسف يذكر قدومه على الخليفة المطائع لله زائرا من عند الدولة وبلاغته فيما تحمله [من المتقارب] :

ولما وقفت أمام الإمام تأخر خلصانه والشيع (١)
دنوت إلى تاجه والسرير هذا تعالى وذاك اتسع
وضاحك برد النبي القضيب أنساً بخوضك فيما شرع
سفرت فتيمه ما رأى وقلت فأطربه ما سمع
وأنت فضائلك الباهرات على ملك الدهر فيما اصطنع
طلعت فكنت كنجم الصبا ح دل على الشمس لما طلع
ومن كلف الدهر أمثالكم فقد كلف الدهر مالم يسع

ما أحسنها فى دلالة الرسول على المرسل !

ومن أخرى له فيه [من الوافر] :

كرمت وسدت فالجدوى انتهاب إذا رزناك والمدح اقتضاب
أخزان وما أبقيت مالا ؟ وأبواب وقد رفع الحجاب ؟

ومن عيدية من الخفيف :

وإذا هنيء الملوك فصحت من العيد أسعد التهنئات
وفداك المحل فالنحر فى أر ض منى والمهل فى عرفات
وتعجلت أجر من خلع الإحـ ـرام عنه لأطهار فى المبقات
وأجاب الإله فيك دعائى غفر الذنب سامع الأصوات
ورزقه والغنى منى ويدى فى تعب الناس عهدها بالصلات
فكذى ملكت ناصيه الدهر فصرفها على شهواتى

(١) الخلصان : الأصدقاء الخلصون

ومن قصيدة أخرى [من الكامل] :

إن كان بالكرم الخلود فأرى ... في العالمين سوى سعيد يسلم
وله من الحسن البديع براقع ... وعليه من بشر السماحة ميسم
عبق به مسك الثناء تكاد في النادى نوافج ذكره تتكلم

ومن أخرى [من الكامل] :

قد قلت حين أفاض أحمد سيبه ... يا شقوة المتشبهين بأحمد
يشرون مثل جياده وعبيده ... أفيقدرون على ابتياع السؤدد

ومن أخرى [من الخفيف] :

هو بحر من مائه ذائب التبر ... وأدنى أحجاره الياقوت
لى طعام من داره وشراب ... ومقيل في ظله ومبيت

ومن أخرى [من البسيط] :

أقبل على وقل ضيفي ومتبعي ... وشاعرى قاصدى راجي ممتاري
أنت الإمام فمن أدعو وحضرتك الدنيا فأين أقضي بعض أوطاري

ومن أخرى من المتقارب :

أفارق بغداد لا عن قلى ... وأسرى إلى البين لا عن كره
أروح وأغدو ولى قائدا ... ن عز الإباء وذل العدم
وأرجو في مكرما للندى ... كما رجت الأرض صوب الديم

ومن أخرى [من البسيط] :

ليس الوزارة إلا عندكم ولكم ... ولا مفاخرنا إلا مفاخركم
لو أنصفت كل أرض في محاسنها ... لكان في أرضكم ما شئت من كرم

الشكوى والعتاب

قال [من الكامل] :

أفلا أجاز ولى ثلاثة أشهر ... لا تعلمون بما أقيم تجمل
قد بعت حتى بعت طرفة قائما ... تحت القدور على ثلاثة أرجل
ورهنت حتى قد رهنت منادمى ... ومناشدى ومذكرى ومعللى
فرأيت حالة حاسديك كحالتى ... ورأيت منزل حاسدى كمنزلى

ومن أخرى [من الوافر] :

لبست العدم حتى صار ذيلى ... يضيق تقلبى فيه كزيق
وكادحت المطالب بعد ضر ... ودارأت المعيشة بعد ضيق
فقد أوقدت صندوقى تيابى ... وصب الماء فى حب الدقيق
فهل فى الناس يا للناس حر ... يبيض وجه ممتحن مضيق؟
أريد أخى إذا مائل عرتى ... وصرت إلى المعيشة فى مضيق
فأما حين يصلح بعض حالى ... فإن الناس كلهم صديق

ومن أخرى من الوافر] :

فضحتكم برغم المجد شهراً ... أشد على من شهر الصيام
وكيف أزوركم والمزن تبكى ... على دارى بأربعة سجام
وكانت منزلا طرق المحيا ... فصارت وادياً صعب المرام
وبحراً من عجائبه خلوصى ... إليكم ظامئاً والبحر طامى
سناى كالضفادع فى نراها ... وأهلى فى الروازن كالحمام(١)
أنادى كلما لمعت سحاب ... فأسكتنا البوارق بابتسام
حوالينا بدلك ولا علينا ... كفانا الله شرك من عمام

(١) الروازن : جمع روزنة ، وهى الكوة .

تهافت ركع الجدران فيها سجوداً للرعود بلا إمام
كأن مصون ما أحرزت فيها على أبواب مشرعة الخيام
فلا باب يرد ولا جدار يرد الطرف عن وجه حرام
وكانت جنة الفردوس عادت ملاعب جنة ووكور هام

ومن أخرى [من الخفيف] :

زرت حتى حجبت وانتقب النا س نقابين طرزا بالحشام
إن بوابك القصير طويل الـــباع فى سوء عشرتى واهتضامى
هو تعويذ ملكك البارع الحســـن وشيطان عبدك المستضام
سمج الوجه لو غدا حاجب البيـــت كفرنا بالحج والإحرام

ومن أخرى فى سابور الوزير يشكو حاله وسقطة فى سكره من الطويل]

محاسن غضت ناظرى من حيائها وفضل نهانى وصفه أن أشبها
ترى كبرياء الملك فوق جبينه فتقرأ سطراً للمهابة معربا
وليس الذى باؤه وجدوده الـــملوك كمصنوع إذا ما تنسبا
فيا ناظر الإسلام هل أنت ناظر إلى حدثه أى عليـــك وأضغا
إلى شاعر ادى وقد عر نردتى به عاد سابور على عقبها
ألم يخبر الترب المتاوى بقصتى ترى بعض تركى فى حشى هدبها
ولم يحدث فى الخدور بمعضلى عذارى بقص بعض محضا
هدى الشعراء السابقون بقصتى فى قصد شعر يصنع كوكبا
فتى ليس إلا لذى صاع أو روى ولم يقنع بحرور سمه وحسبا
أطلوا رأى إن سمعت بكسرتى فرق أوعوتب بكرى وعتبى
توهم حسى فاستمع أو تحمل ولكن عقلى من مكرى

(١) الاهدات ضرب من سير حيوان يبيه حد

وكم سار شعر قاعد عنه ربه ... ودون قبول من مُطيح وشوبا
سلوا الموت عني كيف فلت غريبه ... ونازعته نفسي وقد كر مغضبا
شربنا وكان الشرب بعد سفورنا ... على نرجس قبل الشبيبة شيبا
ودجلة تجلو في المصندل شاطئاً ... يرق وطياراً يخف وربربا
وكانت لنا في جبهة الدهر لبسة ... كمثك لان العيش فيها وأخصبا
عفا الدهر عنها بعدما كان ساخطاً ... وأحسن فيها بعدما كان مذنبا
فيا فرحتا لو كنت أصبحت سالما ... ويا سوءتا إن مركبي زل أو كبا
إذا لم أعربد في أواخر نشوتي ... فلا عار إن خطب على توثبا
وصبراً على خير الخمار وشره ... بما قلت أهلا للكؤوس ومرحبا
أروح وصبغ الراح يخضب راحتي ... وأغدو بعضو من دمي قد تخضبا
فلو نصرت عين الوزير لشاعر ... على مركب قد شانه الله مركبا
رأى اللهو ميتاً والمجون ممددا ... صريعاً وحنبال السرور معذبا
وباكر في أشياخ قومي فأكثروا ... العضول لعمري والأذى والتعجبا
يقولون لي ب لا تعود لمثلها ... وهيهات ضاع الوعظ عندي وخيبا
وكم قبلها قد مت بالسكر مرة ... وعدت فكان العود أحلى وأطيبا
كذا أبداً إما يراق بجرر ... ديولي سكراً أو كسيرا مشعبا
ولكن على الأحرار حتم مؤوس ... إذا دهمت في لهوه لدهر مذهب
ولما جفانا من ألفنا وصدنا ... وأحمد عام كان يرجى وأجدبا
رهد وصرف وبعا مبدلا ... وحب ومحبورا إلينا محببا
رأيت متى قد أحوجت نفس حسة ... وتشدت عريضاً لها وتشددا
تحول حلاحيل لنا دون ما نرى ... لمة حمحالا فقالت هيا أبا
ستبت حوراء حاجبي فما ... سواها ولا ضوقا على السحر مذهبا

فقلت لها ظل الوزير يبيحنا جنانا إذا رضنا به الدهر أعنبا
إذا كان بدر الملك سابور طالعاً فلست أبالي بعده من تغيبا

* * *

ما أخرج فى وصف شعره

قال من قصيدة فى أبى الريان [من الخفيف] :

لى فيك التى ترى البحترى امـــتار فى نظمها أبا تمام
فهى لفظ سهل، ومعنى بديع غرة الفكر درة [فى] النظام
كلما أنشدت شهدت بأن الـــشعر أمر مسلم للسلامى

ومن أخرى [من الكامل] :

وأزور دارك وهى آنس جنة فيفيض حولى من بدائك الكوثر
وأقول فيك فلا تفاخر طيء إلا وتسجد لى وتركع بحتر

ومن أخرى [من الطويل] :

وهنيته وحباً من الشعر لم يبق ألفاظ غيرى عند غيرك درهم
صحيفته قلبى إذا ما كتبته وأقلامه الأفكار والطبع نقسه

ومن أخرى من المتقارب :

وقافية منك أوضاحها ولكن لفضى فيها نجع
عرافية اللفظ تنامية [illegible] مصطنع
فى وحد المجد صيتها فى سوى وحد الشعر ما تستمع
مدحتك حتى بعت مشتاب وكنت [illegible] دون سمع

وقال من أخرى من هذا [illegible]

وأعمد [illegible]

وقال من أخرى [من المتقارب] :

ومضمومة تحت حسن الدجى مقبلة بشفاء الأمانى
تروق زهيرا أزاهيرها ويحشو إلى صوتها الأعشيان

ومن أخرى [من الوافر] :

وقد زعمت رواة الشعر أنى ملكت عنان أبلقه العقوق(١)

* * *

قد تمت — بحول الله تعالى وتيسيره — مراجعة الجزء الثانى من كتاب « يتيمة الدهر ، فى محاسن أهل العصر » لأبى منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبى النيسابورى ويليه — إن شاء الله تعالى — الجزء الثالث مفتتحا بترجمة « ابن سكرة الهاشمى » ، نسأل الله — جلت قدرته — أن يعين على إكماله ، بمنه وفضله ، آمين

---

(١) الأبلق العقوق مثل يضرب لما لا يكون ولا يوجد . قال رجل لمعاوية اقرض لى ونوهدى . قال : لا . قال : والعشيرتى ، فتمثل معاوية
ضرب الأبلق العقوق فلما يجده أراد محض الأنوق

فهـــــرس

الجزء الثانى من كتاب « يتيمة الدهر ، فى محاسن أهل العصر »
لأبى منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبى النيسابورى

ص

٣ الوزير أبو مروان عبد الملك بن جهور

٥ أحمد بن عبد ربه الأندلسي

١٠ عبد الملك بن سعيد المرادي

١١ الوزير أبو عثمان عبد الله بن يحيى بن إدريس

١٢ يوسف بن هرون البطليوسي

١٣ عبد الله بن إسماعيل بن بدر

— سعيد بن محمد بن فرج

١٤ يحيى بن عبد الملك بن هذيل

١٥ قاسم بن عبد الرحمن العجلي

— محمد بن هشام بن سعد الخير

— عبد الله بن حارث

١٦ عباس بن فرماس

— أحمد بن محمد بن فرج

١٧ أبو الصخر عبد الله بن محمد

١٨ زكريا بن يحيى المعروف بابن الطنجية

— فاتك التهواجي

٢٠ أبو بكر إسماعيل بن بدر

— مؤمن بن سعيد بن إبراهيم

٢١ الوزير أبو وهب عبد الوهاب بن محمد

— عبد بن محمد بن حسين العبسي

٢٢ الوزير أبو عثمان عبيد الله بن محمد بن أبي عبيد

— محمد بن مطرف بن شخيص

٢٣ عبد الرحمن بن أخت النظام

ص
٢٣ محمد بن عبديس الجناني
— أحمد بن أبي صفوان بن العباس بن عبد الله بن عمر بن مروان
٢٤ أغلب بن شعيب
— محمد بن سليمان الفاني الأكبر
٢٥ حسن بن محمد بن ربيع الفاني
— عبد الله بن بكر
— الكلبي
٢٦ محمد بن حفص بن فرج
— عبد الله بن محمد بن فرج الأندلسي
٢٨ محمد بن أحمد بن قادم
٢٩ محمد بن عبد العزيز العتبي
— محمد بن مروان بن حرب
٣٠ المكفوف محمد بن محمود بن أيوب العنوي
— مازن بن عمرو بن مروان بن محمد بن عاصم
٣١ أحمد بن عبد الله بن محمد العزيز بن أمية بن الإمام الحكم
— محمد بن عبد الله بن عبد الواحد المعروف بمرجوم
٣٢ عيسى بن أبي حرثومة
— أحمد بن عبد الملك بن مروان
٣٣ علي بن حوشب
— عبد الله بن سعيد الكاتب المعروف بالحجري
— عبد الله بن حسين بن محمد بن مناد
٣٤ يونس بن عبد الله بن محمد
— عبد الله بن محمد بن يونس

ص

٣٥ محمد بن عبد الجبار النظام
— أبو عامر أحمد بن عبد الملك بن شهيد
٥٠ غسان بن سعيد
— محمد بن يحيى النحوى ، المعروف بقلفاط
٥١ شهيد بن المفضل
— منصور بن أبى الهول
٥٢ غريب بن سعيد
٥٣ إدريس بن الهيثم بن براق الكلاعى
— محمد بن سعيد بن مخارق الأسدى
٥٤ محمد بن يحيى بن يحيى
— أحمد بن نصر
— سعيد بن محمد بن العاص المروانى
٥٥ عبد الله بن محمد بن عبد الله بن حسان
سعيد بن عباس
— عمر بن يوسف الخنطى
٥٦ يحيى بن عماد المسرى
— المعز بن الحكم
— يحيى بن بكير بن شمس
— نور الدولة المظفر عبد الرحمن بن مدر
٥٧ مطرف بن محمود
٥٧ أحمد بن إبراهيم بن هريه
ورقاء بن أسد الدانى

ص
٥٨ الوزير أبو محمد غانم المالقي
— غالب بن عبد الله بن عطية
— محمد بن أبي الحسن العروضي
— إسماعيل بن إسحاق المنادي
٥٩ محمد بن واقد
— خلف بن أيوب
— علي بن أحمد الأندلسي
٦٠ يحيى بن الفضل الأندلسي
— أبو بطال
٦١ الفرسي المعروف بالفرح
— إدريس بن عبد الله بن عباد اللبري
٦٢ عثمان بن إبراهيم بن النضر
— المنصور بن أبي عامر
— الوليد بن الحكم
— القاضي محمد بن عبد الله بن أيوب بن أبي عيسى
٦٣ محمد بن قطيس
— أحمد بن عبد الله بن أحمد الهوزني
٦٤ أبو عيسى عبيد بن أحمد بن عبد ربه
— حسن بن محمد بن ...
٦٥ عبد المنعم بن أحمد
— محمد بن أحمد المصري
— موسى بن أحمد المعروف بابن ...

ص
٦٦ حبيب بن أحمد الشاعر
٦٧ أبو على بن حسان الاسنجى
— أبو محمد الباجى
— عبد الرحمن بن عمرو الحجرى
٦٨ عبد الملك بن خزيمة
— أبو العباس المرداوى
— محمد بن وهيب البدسى
٧٠ أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدى النحوى اللغوى
٧١ محمد بن يحيى بن يعقوب
— الفقيه محمد بن عبدالله بن أبى زمنين
٧٢ أحمد بن محمد بن عفيف
٧٣ محمد بن عمر بن عبد الله بن عبد العزيز ، المعروف بابن القوطية
٧٤ أحمد بن محمد بن عبد ربه
٩٩ أبو عمرو يوسف بن هرون ، المعروف بأبى سبيح
١٠١ عبد الملك بن إدريس المعروف بالحريرى
١٠٣ أبو عمر أحمد بن محمد بن دراج الأندلسى ، المعروف بالقسطلى

الباب العاشر

فى شعراء الموصل ، وغرر أشعارهم

١١٧ السرى بن أحمد الكندى ، المعروف بالرفاء
١١٩ أبو بكر محمد وأبو عثمان سعيد ، ابنا هاشم الخالديان
٢٠١ أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد ... المعروف بالخياط البلدى
٢١٤ عبد ... بن عمر ... سعيد ...

القسم الثانى

فى ملوك آل بويه ، وشعرائهم

الباب الأول : فى الملوك الشعراء منهم

ص
٢١٦ عضدالدولة أبو شجاع فنا خسرو بن ركن الدولة
٢١٨ عز الدولة أبو منصور بختيار بن معز الدولة
٢١٩ تاج الدولة أبو الحسين أحمد بن عضد الدولة
٢٢٢ أبو العباس خسرو بن فيروز بن ركن الدولة

الباب الثانى

٢٢٣ فى ذكر المهلبى الوزير ، وملح أخباره ، ونصوص فصوله وأشعاره

الباب الثالث

٢٤١ فى ذكر أبى إسحاق الصابى ، ومحاسن كلامه

الباب الرابع

فى ذكر ثلاثة من كتاب آل بويه يجرون مجرى الوزراء

٣١٢ أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف
٣٢٥ أبو أحمد عبد الرحمن بن الفضل الشيرازى
٣٢٩ أبو القاسم على بن القاسم القاشانى

الباب الخامس

فى شعراء البصرة ، ومحاسن كلامهم

٣٣٥ القاضى التنوخى أبو القاسم على بن محمد بن داود بن جهم
٣٤٥ ابنه أبو على المحسن بن القاضى

ص
٣٤٧ ابن لكك البصرى أبو الحسن محمد بن محمد
٣٥٧ ابنه أبو إسحاق إبراهيم
٣٥٨ أبو عبد الله الحسين بن على النمرى
٣٦٢ المعجم البصرى
٣٦٥ نصر بن أحمد الخبز أرزى
٣٦٨ أبو عاصم البصرى
٣٦٩ أبو الحسين الطاهر البصرى

الباب السادس

فى نفر من شعراء العراق . سوى بغداد

٣٧٠ ابن القصار الواسطى
٣٧١ أبو طاهر الواسطى ، المعروف بسيبوك
٣٧٢ أبو عبد الله الحامدى
٣٧٣ أبو بكر محمد بن أبى محمد القاسم المعروف بالنهرى
٣٧٥ أبو الحسن محمد بن عمر العرنى الكاتب
٣٧٦ أبو محمد بن زريق الكوفى الكاتب
٣١٧ أبو الورد

الباب السابع

فى ذكر نفر من شعراء بغداد

٣٧٥ بن بقا السعدى أبو نصر عبد العزيز بن محمد
٣٤٤ أبو الحسن محمد بن عبد الله سلامى